شقلب أحوالك

(يوميات سعيد وراضي)

وليد نبيه

شقلب أحوالك... وليد نبيه

الطبعة الأولى: أكتوبر ٢٠١٤

تصميم الغلاف: شيماء جمال

تنسيق داخلي وتدقيق لغوي : رباب الشهاوي

المدير العام : رباب الشهاوي

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٩٠٦/ ٢٠١٤

رقم الإيداع الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٥١٥٣-٢-٩ ISBN

publishing@hotmail.com –Alfouad





شقلب أحوالــك

(يوميات سعيد وراضي)

وليـــــــد نبيـــــــه



إهداء

إلى من علماني معنى الرضا والسعادة

أبي وأمي .. أهدي كتابي الأول

يوميات راضي (١): المشهد الأول

استيقظت على شعاع الشمس المتسلل من بين خصاص النافذة، ونفس النغمة لصوت (أم حنفي) وهي تنادي على بضاعتها من الخضروات بصوتها الشبيه بصفارة القطار كعادة كل يوم..
نظرت بعينين مثقلتين بالنوم إلى المنبه فوجدت عقارب الساعة لا تزال تشير إلى الساعة الثانية صباحاً فقفزت من فراشي فزعاً، وبحركة تلقائية أمسكت بالمنبه الذي لابد أنه قد توقف عن العمل أثناء الليل.. وفي محاولة تلقائية لإنعاشه نقرت عليه بأصابعي عدة مرات كما تعودت أن أفعل في تلك الحالات وكأن تلك النقرات ستعيد شحن البطارية، ثم ألقيته جانباً على السرير وأخرجت رأسي من النافذة الصغيرة المطلة على الحارة.. كان جاري في المنزل المقابل عم (حامد) جالساً في شرفته الصغيرة يقرأ الجريدة وقد وضع كوب الشاي على السور بجواره..
ـ الساعة كام دلوقت يا عم (حامد)؟
فاجأه صوتي فالتفت لي وابتسم قبل أن ينحي الجريدة جانباً ويقول:
ـ صباح الخير يا (راضي).. صاحي بدري ليه؟
ـ عندي مقابلة في شركة النهاردة.. ادعيلي يقبلوني في الشغل هناك.
ـ ربنا يفتحها في وشك يا ابني.
قالها وهو يرفع يديه إلى السماء فابتسمت وأنا أشير إلى علبة السجائر المطلة من جيب بيجامته..
ـ يارب يا عم (حامد).. ما تجيب سيجارة بقى.
وضع الرجل يده في جيبه وأخرج العلبة، لم يكن بها سوى سيجارتين فألقى لي إحداهما وأعاد العلبة إلى جيبه ثم أمسك بكوب الشاي وهو يقول مبتسماً:

ـ تشرب شاي؟
أجبته بالنفي شاكراً فابتسم من جديد ثم عاد ليدفن رأسه في صفحات الجريدة.
نسيت أن أخبركم من أنا.. اسمي (راضي).. خريج إحدى الكليات النظرية والتي يطلقون عليها كلية الشعب.. عاطل بالتأكيد مثل كثير من الشباب..
هل قلت شباب؟ أعتقد أنني تخطيت تلك السن فعمري الآن قد ناهز الأربعين.. أعيش وحيداً في حجرة في أحد المناطق الشعبية التي لا يتجاوز عرض أكبر شوارعها مترين..
لم أجد عملاً يستمر أكثر من ستة أشهر في كل مرة تصادف أن أحصل فيها على عمل، ولم أجد راتباً يكفي نفقاتي المتواضعة شهراً كاملا في مرة واحدة من تلك المرات، ولم أجد من يرضى بي أهلها زوجاً بالتأكيد.. حتى (سعدية).. تلك الأرملة الشابة التي تسكن بالشقة المجاورة ونتبادل بعض الكلمات بين الحين والأخر، سمعتها تتحدث مع إحدى صديقاتها أنها لن تقبل أن تتزوج رجلاً بعد (حسين) - زوجها المتوفى- إلا إن كان موظفاً له مرتب ثابت ومعاش يوفر لها الأمان.
هل قلت إن اسمي (راضي)؟..نعم.. هو حالي أيضا.. راضٍ بكل ما أنا فيه، و كل ما أحلم به هو وظيفة بمرتب ثابت ومعاش، وأن أتزوج (سعدية) وأربي طفلها الصغير(محمود)..
أفقت من أحلامي عندما تذكرت أنني سألت عم (حامد) على الوقت ولم يجب..
ـ هي الساعة كام دلوقتي مقلتش؟
توقعت أن ينظر إلى ساعته قبل أن يجيب، ولكنه ضيق عينيه ونظر إلى الطريق مفكراً..
ـ الساعة تجيلها ثمانية ونص كدا.

ـ تجيلها؟ كام يعني بالظبط؟
هز كتفيه في قلة حيلة وهو يقول:
ـ والله ما عارف يا (راضي)، بس أنا فاكر أيام ما كان عندي ساعة كان عمك (زناتي) بتاع الفول دايماً تلاقي البليلة خلصت من عنده الساعة ثمانية ونص، وهو يدوب لسه مخلص.
نظرت إلى عربة الفول في الطريق وعم (زناتي) الذي غطى قدرة البليلة معلناً انتهائها أمام الجماهير الملتفة حوله أحاول ربط هذا التحليل الغريب بالوقت ثم عدت أنظر إلى عم (حامد)..
ـ ثمانية ونص يبقى هتأخر على الميعاد.. وبعدين ساعتك فين؟ الحجارة خلصت برضه ولا إيه؟
تنهد في بطء لا يناسب تعجلي، وبدا الحزن على نبرات صوته وهو يقول:
ـ والله الساعة دي كانت عزيزة عليا بس هعمل إيه بقى.. (عوضين) صاحب البيت وافق ياخدها بالعافية بدل الإيجار المتأخر.
ـ معلش يا عم (حامد) بكرة تجيب أحسن منها ، سلام بقى أحسن إتأخرت.
قلتها ودون أن أنتظر منه رداً انطلقت فغسلت وجهي وارتديت ملابسي وكنت في الشارع الرئيسي بعد عشر دقائق أصارع من أجل مكان في الأتوبيس..
بالطبع ارتديت الملابس التي كنت أحتفظ بها خصيصاً لتلك المقابلات الهامة.. القميص الأبيض والجاكيت الأخضر الزرعي والبنطلون الأسود الذي اشتريته من وكالة البلح.. وبالتأكيد كنت أكافح خلال ذلك الطريق الطويل كيلا أفسد تلك الوجاهة وسط زحام الأتوبيس..
ـ على جنب يا أسطى.
نظر لي سائق الأتوبيس شذراً متعجباً من جرأتي على الطلب ثم قال:

ـ مبنقفش غير في المحطات الرسمية يا أستاذ.

هممت بأن أفتح فمي معترضاً إلا أن ملامح وجهه العدوانية جعلتني أحجم عن محاولة المناقشة، وبهدوء واستسلام عدت إلى مؤخرة الأتوبيس كي أقفز، فالوقت قد تأخر وموعد المقابلة أوشك على الانتهاء..

ومن الباب الخلفي استطعت أن أسحب جسدي بصعوبة من وسط الكتل البشرية المكومة هناك.. بدأت بتحرير نصفي العلوي أولا ثم بصعوبة بالغة أنقذت قدمّي، ولحسن الحظ بفردتي الحذاء كلتيهما، لأقفز إلى الشارع أجري بجوار الأتوبيس لبضع خطوات محاولاً حفظ توازني دون أن أهتم بصوت تلك الفرملة العالية وذلك السباب الذي تناهى إلى مسامعي، قبل أن أستكمل طريقي مهرولاً كي ألحق بموعدي..

يوميات سعيد (١):المشهد الثاني

قفز أمامي ذلك المهرج بذلك الجاكيت الأخضر الزرعي الغريب الذي يرتديه، فأسرعت في جزء من الثانية أضغط فرامل سيارتي المرسيدس بكل قوة كي لا أدهسه، ومن خلفي سمعت أصوات صرير فرامل السيارات التي توقفت خلفي بنفس الصورة قبل أن تصطدم بي إثر توقفي المفاجئ. أما هو فكأن الأمر لا يعنيه، إذ لم يلتفت إلى ما كاد أن يحدثه من كوارث وانطلق يعدو مبتعداً كالمجنون..
ـ يا أبن ال....
لم يكلف نفسه عناء النظر ذلك المعتوه وانطلق يعدو في طريقه.. وانطلقت كلاكسات السيارات الأخرى تطالبني بالتحرك.. فعدت أنطلق في طريقي من جديد قبل أن أتوقف مجدداً بعد عدة أمتار عندما أضاءت إشارة المرور باللون الأحمر، فنفضت ذلك الموقف التافه عن رأسي وعدت للابتسام من جديد، فاليوم هو أحد الأيام الهامة في حياتي..
اليوم فقط حصلت على ما كنت أريده وانتصرت على (عادل الشامي) وضممت شركته إلى مجموعة شركاتي بعد سنوات طويلة من الحرب الباردة مع ذلك المنافس العتيد، فمن ذا الذي يستطيع أن ينتصر علي أنا (سعيد حسين)..
أمسكت مقود سيارتي في قوة وقد تملكني شعور ممتع.. ومرت في خاطري للحظات ذكريات بداياتي في عالم الأعمال عندما ترك لي والدي شركته لأديرها، وذلك النجاح الذي حققته في سنوات قليلة لتصبح تلك الشركة الصغيرة واحدة ضمن مجموعة شركات كبرى أمتلكها، ولأصبح واحداً من أكبر رجال الأعمال وعمري لا يتجاوز الثلاثين بعد، ثم دخولي عالم السياسة بعد ذلك لأحقق نجاحا مبهراً في انتخابات مجلس الشعب أمام منافسين لم يزعزع مكانهم أحد

قبلي.. رائع جداً أن تشعر أن الدنيا تسير دائماً وفق ما تريد..
دق جرس هاتفي المحمول فانتشلني من تأملاتي، فألقيت نظرة على الرقم قبل أن أرد.. كانت (ساندي) زوجتي المستقبلية إن كُتب لها الحظ..
ـ صباح الخير.. صاحية بدري كدا ليه؟
جاءني صوتها ناعساً وقد بدا أنها استيقظت للتو:
ـ وحشتني أوي، قلت أصحى أكلمك.
ـ إنتي كمان وحشتيني جداً.
ـ بس أنا اللي اتصلت.
ـ أنا عارف إنك مش بتصحي بدري وإلا كنت كلمتك على فكرة، بس إعملي حسابك أنا عازمك على العشا النهاردة وعندي ليكي مفاجأة هايلة.
ـ قولي بقى إنك هتفاجئني وتحدد ميعاد جوازنا.
أضحكتني طريقتها الطفولية في الحديث فقلت مازحاً:
ـ هو انتي مش بتفكري غير في الموضوع دا؟
ضحكت لمزحتي في بساطة:
ـ آه عايزة أبقى معاك على طول.. بقلك إيه ما تيجي أشوفك دلوقتي.. هو أنت فين؟
ـ لا للأسف مش هينفع عندي شغل كتير جداً.. وبعدين أنا جنب الشركة خلاص بس واقف في إشارة مرور، هخلص اللي ورايا وأشوفك بالليل.
استغل ذلك المتسول الفرصة وانطلق يستجدي..
ـ حاجة لله يا بيه مكلتش بقالي يومين.
نظرت إلى الإشارة الحمراء التي لا تنتهي متجاهلاً إياه بينما قالت (ساندي) متسائلة:
ـ مين يا (سعيد) اللي مكلش بقاله يومين؟

ـ دا واحد شحات.
ـ انت مركب معاك واحد شحات؟
ـ يا ستي هركب معايا برضه واحد شحات؟
ـ أمال فيه إيه؟
ـ ما قلتلك واقف في إشارة يا (ساندي).
أغلقت زجاج سيارتي.. فرفع صوته وكاد يلصق وجهه بزجاج السيارة ونظر للمرسيدس في حقد وهو يقول:
ـ ربنا يخليهالك يا بيه.
ـ هي مين دي اللي يخليهالك يا (سعيد)؟ إنت مركب معاك واحدة؟
لم أعره انتباها ونظرت إلى تلك الإشارة اللعينة..
ـ واحدة إيه بس دا بيتكلم على العربية يا ستي.
ـ (سعيد) أوعى تكون بتكدب عليا.
ـ لا والله دا بيتكلم على المرسيدس.
عاد المتسول يصيح بأعلى صوته بلهجة تمثيلية وكأنه يوسف وهبي:
ـ ناس راكبة مرسيدس وناس مش عارفة تلبس شبشب مقطوع.. حكمتك يا رب.
ـ يا حرام هو مش لابس شبشب يا (سعيد)؟
تجاهلت النظر إليه وقد بدأ يلوث زجاج السيارة بقطعة قماش قذرة في يده..
ـ معرفش.
قالت في رجاء:
ـ طيب علشان خاطري اديله يشتري شبشب.
فتحت جزء صغير من زجاج السيارة ونظرت للمتسول الذي كاد يحشر رأسه في تلك الفتحة..
ـ هو بكام الشبشب؟

ـ بعشرة جنيه يا بيه.

مددت إليه عشرة جنيهات فالتقطها فرحا دون أن يشكرني حتى، ثم ابتعد متجها إلى سيارة أخرى يمارس هوايته المحببة في التسول..

يوميات راضي (٢):المشهد الثالث

ـ عشرة جنيه إيه؟ انت شكلك كدا حرامي
نظر لي موظف الاستقبال المسئول وهو يقول في حدة:
ـ لو سمحت احترم نفسك، إنت في شركة محترمة.
رفعت صوتي لأضاهي حدته وأنا أقول:
ـ شركة محترمة دا لما تحترموا نفسكم الأول.. أنا بعتت علشان الوظيفة ورجعتوا اتصلتوا بيا علشان مقابلة للوظيفة محدش قالي تعالى عشان تدفع فلوس.
وضع الرجل الاستمارة على المكتب أمامه ووضع يده فوقها قائلاً في إصرار:
ـ هي كدا استمارة التقديم تمنها عشرة جنيه.. دا نظام الشركة.. عاجبك ادفع أو مش عاجبك أتكل على الله وراك ناس تانية عايزة تقدم ما تعطلناش.
التفت إلى الصف الطويل خلفي، كان العدد كبيراً للغاية وقد بدأت الهمهمات من خلفي تبدي ضجراً من إصراري على المجادلة في أمر العشرة جنيهات، إلا أنني صحت بأعلى صوتي كي يصل صوتي للجميع:
ـ الموضوع شكله نصب يا جماعة، عاوزينا ندفع في الاستمارة عشرة جنيه، هو إحنا أكلنا حاجة علشان نشرب عليها ميه؟ يلا بينا من هنا وخليهم يشبعوا باستماراتهم دي.
أنهيت جملتي الثورية ونظرت إليهم متعجباً، إذ لم يتحرك أحدهم من مكانه، بل لم يبد على أحد منهم أي تأثر بما يحدث وكأنني لم أقل شيئاً..
ـ انتو مش سامعيني ولا إيه؟
جاءني صوت شاب حانق من وسط الصف:

ـ يا عم اسكت وسيبنا في حالنا. مش عاجبك إنت امشي زي ما الراجل قالك، إحنا عاوزين نشتغل.
قلت في غيظ وبنفس الصوت المرتفع:
ـ ومين قالك يا فالح انك هتشتغل بعد ما تدفع العشرة جنيه، شوف كام واحد مقدم في نفس الوظيفة معاك.
رد رجل آخر في استسلام:
ـ اهو هنجرب يا سيدي عندك حل تاني؟
الحقيقة أنني كنت عاجزاً عن الرد، فلم يكن لدي أي حلول سوى رفضي القاطع لذلك الاستغلال العلني..
باغتتني صوت فتاة محتدة من الخلف:
ـ ما تنطق خرست ليه حضرتك ولا فالحين في الاعتراض على كل حاجة وخلاص؟
ـ ما أنا هنطق أهو..
رجل آخر عدل من وضع نظارته الطبية فوق عينيه قبل أن يقول في لهجة توحي وكأن تفاحة نيوتن سقطت فوق رأسه للتو لتخبره بحقيقة موقفي:
ـ على فكرة يا جماعة الواد دا عاوز يمشينا علشان ياخد الوظيفة.
أشار نحوي رجل أخر لابد أنه من أنصار نظرية المؤامرة وهو يقول مؤكداً:
ـ أصلا الواد دا شكله من دولة معادية.
نظرت إليه وأنا أقول في تهكم:
ـ دولة معاديه كمان؟
هز رجل أخر رأسه في قناعة وهو يقول:
ـ أيوه أنا مش مرتاحله من أول ما إتكلم.. سحنته دي بتفكرني بالراجل اليهودي اللي كان في مسلسل رأفت الهجان.. حد فاكر المسلسل دا؟

ضحكت فتاة وهي تقول في ابتذال:
ـ آه دا كان مسلسل جميل أوي.. ولا محمود عبد العزيز يا لهوي كان قمر أيامها.
فتاة ممتلئة جداً خرجت من صمتها وتوقفت عن التهام ثمرة الخوخ التي بيدها وهي تقول في خجل فرس النهر إن كان يصيبه الخجل:
ـ دا كمان كان بيبصلي نظرات غريبة أوي من بدري ومش راضية أتكلم.
نظر إليها رجل ما متسائلاً في تعجب:
ـ مين؟ محمود عبد العزيز؟
هزت الفتاة الممتلئة رأسها نفياً وهي تشير نحوي قائلة وقد عادت لاغتصاب ثمرة الخوخ:
ـ لا الراجل دا.
صحت في ذهول:
ـ أنا أبصلك؟
نظرت لي قائلة في حدة تنافي الخجل السابق وكأنني أهنت كرامتها:
ـ آه بتبصلي، مالي يعني وحشة ولا وحشة؟
صوت غريب جداً ذكرني بصوت الممثل (غسان مطر) أخترق المكان:
ـ أرموه بره الطابور وخلصونا منه.
لابد أن الجميع كان ينتظر ذلك النداء، أو أن إتفاقاً على الأمر حدث في لحظة نادرة للشعب المصري، إذ علت أصوات الجميع تهتف في إصرار..
ـ آه أرموه بره الطابور.
وأسرع فاعلو الخير لطردي خارج الطابور في عنف بينما أحاول الإفلات من أيدي المهاجمين المتحمسين للفتك بي..

يوميات سعيد (٢):المشهد الرابع

توقفت بالسيارة أمام مبنى مجموعة شركاتي، وأسرع أحد رجال أمن المبنى ليفتح لي باب السيارة ويحمل حقيبتي ويسرع ورائي في ممرات الشركة، كانت هناك بعض الجلبة في مدخل الشركة وصف طويل من البشر يقف أمام مكتب الاستقبال بينما يلتف مجموعة من الرجال حول آخر غريب المظهر يريدون الفتك به ويحاول تخليصه من أيديهم بعض رجال الأمن، الذين ما أن رأوني حتى تركوه ليفسحوا لي الطريق، فتلتقطه أيدي الناس من جديد ويختفي بينهم وسط صياحه، وأسرعت ورائي سكرتيرتي إلى المكتب لتأخذ حقيبتي من رجل الأمن..

ـ إيه الفوضى اللي بره دي يا (هالة)؟

قلتها في غضب وأنا ألقي بمفاتيح سيارتي على المكتب وأجلس، فارتبكت السكرتيرة وهي تضع حقيبتي قبل أن تجيب في توتر:

ـ دا طابور الناس اللي مقدمة للوظايف يا (سعيد) بيه.

ـ الفوضى دي مش طابور وظايف، أعملي خصم يومين للأمن اللي بره كله.

قلتها في حدة، فأومأت برأسها في سرعة وهي تقول:

ـ هبلغ الموارد البشرية يا فندم.

دخل الساعي محيياً ليضع فنجان القهوة على مكتبي ثم ينصرف في سرعة، فأخذت رشفة صغيرة قبل أن أقول ساخراً:

ـ كل دول مقدمين للوظايف؟ دا أنا افتكرت إنهم فتحوا فرع لمكتب التنسيق عندي في الشركة.

ابتسمت السكرتيرة لدعابتي في حذر وهي تقول:

ـ يا فندم إحنا عملنا زي ما حضرتك قلت بالظبط وخلينا استمارة التقديم بعشرة جنيه وبرضه الناس كتير أوي.

عدت لأرشف قهوتي في استمتاع:
ـ إحنا طالبين كام موظف؟
ـ طالبين أربعة في المخازن وواحد في الأرشيف.
ـ و عندك كام طلب توظيف؟
قلبت الفتاة في الأوراق التي بيدها في سرعة قبل أن تجيب:
ـ من ساعة ما الإعلان نزل، عندنا حوالي ألفين وخمسمية طلب لغاية النهاردة الصبح.
ـ كويس.. والموظف من دول بيقبض كام في الشهر تقريباً؟
ـ طبقا لإعلان الوظيفة خمسمية جنيه يا فندم.
أمسكت بالآلة الحاسبة وبعد دقات سريعة بأصابعي على الأزرار ابتسمت في إعجاب بذكائي قائلاً:
ـ جميل أوي كدا، المبالغ اللي جمعتوها من استمارات التقديم تدفع مرتبات للموظفين دول لمدة سنة تقريبا.. كفاية طلبات تقديم. بلغي الأمن يفض الفوضى اللي بره دي بقى.
أومأت السكرتيرة برأسها في طاعة وهي تقول:
ـ حالاً يا (سعيد) بيه.
أسندت ظهري إلى الكرسي ثم قلت:
ـ كمان احجزيلي للعشا النهاردة ترابيزة لاتنين.
ـ حاضر يا فندم.. تحب احجز لحضرتك فين؟
ـ مفيش في دماغي حاجة معينة قوليلي اقتراحات.
فكرت الفتاة لبضع ثوان ثم قالت:
ـ إيه رأي حضرتك في المكان اللي عزمت فيه رئيس مجلس إدارة الشركة الألمانية الأسبوع اللي فات؟
ـ آه كان كويس، احجزيلي فيه وبلغيهم يهتموا بشكل خاص.
ـ تحت أمر حضرتك.
أشرت لها أن تنصرف فاتجهت الفتاة ناحية الباب ثم تذكرت شيئاً

فعادت تلتفت نحوي:
ـ أنا آسفة يا فندم نسيت اسأل حضرتك على دعوة برنامج التليفزيون بتاع بكره. حضرتك قررت تروح ولا أبلغهم اعتذار؟
ذكرتني بتلك الدعوة السخيفة التي جاءتني للحضور كضيف في برنامج تليفزيوني يقدمه مذيع مشهور ويتضمن فقرات لحل مشكلات بعض الفقراء، فسألتها مستوثقاً:
ـ وصلهم شيك التبرع؟
ـ آه يا فندم من أول إمبارح
ـ طيب عموماً بلغيهم تأكيد الحضور.. برضه الظهور في برنامج زي دا دعاية مش بطالة علشان الدورة الجديدة في مجلس الشعب قربت.
ـ تمام يا فندم.
ـ انتي قلتيلي البرنامج دا اسمه إيه؟
ابتسمت السكرتيرة وهي تقول في حماس:
ـ إسمه شقلب أحوالك.
قلت في تعجب وقد بدا الاسم غريباً علي مسامعي:
ـ إيه البرنامج دا؟
عادت تقول بذات الحماس غير المفهوم بالنسبة لي:
ـ دا برنامج بيقدمه أستاذ (أحمد سعد)، والحقيقة البرنامج حلو جداً.
ـ ماشي، بس اسمه غريب أوي.
ضحكت وهي تقول:
ـ هو غريب شوية فعلاً.
ـ قلتيلي اسمه إيه تاني؟
ـ اسمه شقلب أحوالك يا فندم.

يوميات راضي (٣):المشهد الخامس

ـ شقلب إيه؟

جاءني الصوت عبر سماعة هاتف المقهى المجاور للمنزل يقول مؤكداً:

ـ شقلب أحوالك يا أستاذ.. شقلب.. أحوالك.

ـ هي أحوالي ناقصة شقلبة يا ولاد ال... ما تبطلوا معاكسات بقى.

كنت قد عدت لتوي من تلك الشركة بعد أن قام الواقفون في الطابور بطردي إلى الشارع، بل وأصر بعضهم على التعدي علي بالضرب لمجرد أنني حاولت الإشارة إلى أن ما يحدث هو نوع من النصب الواضح، قبل أن يأتيني صوت (حوده) صبي المقهى تحت البيت ينادي بإسمي ليخبرني أن هناك من يريدني على الهاتف.. فانطلقت متعجباً دون أن أرتدي حتى شيئا فوق الفانلة الداخلية لأجد ذلك المتصل الغريب الذي هممت بأن أغلق الخط في وجهه قبل أن أسمعه من الشتائم ما لا يرضيه، إلا أنه عاد يقول في سرعة محاولاً التوضيح:

ـ يا أستاذ إحنا التليفزيون ودا برنامج إسمه كدا.. إسمه شقلب أحوالك.

قلت متعجباً وقد بدت لهجته جادة تماماً:

ـ برنامج؟

ـ أيوه يا سيدي اللي بيقدمه أستاذ (أحمد سعد).. انت مش بتشوف تليفزيون ولا ايه؟

ـ الحقيقة مبقتش أقعد على القهوة كتير الأيام دي.

ـ ما علينا.. انت بعتلنا علشان مشكلتك انك مش لاقي شغل و عندك ميعاد بكره، هتظهر في التليفزيون على الهوا الساعة ثمانية بالليل.

تذكرت ذلك الأمر الذي غاب عن ذهني، فهذه أول مرة تأتيني مكالمة

نتيجة لخطاب أرسلته طوال حياتي، على الرغم من أنني أعتدت أن أشارك في كل المسابقات منذ اكثر من عشرين عاما بداية من مسابقات لبان (بم بم) و بسكويت (الشمعدان) وحتى أغطية زجاجات البيبسي..

ـ لا مؤاخذة يا أستاذ معلش أصلي افتكرتك واحد ابن (.....) بيعاكس.

ـ معلش حصل خير.

ـ طيب أنا متشكر أوي يعني..

ـ ماشي يا سيدي لا شكر على واجب تكون بس حضرتك موجود قدام مبنى التليفزيون الساعة ستة مساء ومعاك بطاقتك الشخصية.

قلت في سعادة وقد بدأت أشعر أن الحظ سيبتسم لي من جديد:

ـ حاضر من قبل كدا كمان.. اجيبلكو حاجة معايا؟

ـ حاجة إيه هو إحنا عازمينك على العشا؟ متشكرين هات بطاقتك بس وبلغ عند البوابة لما توصل وهنبعت حد يوصلك للدور بتاعنا.

ـ ماشي.. بس بقول لحضرتك يعني هو الكلام دا بجد ولا كدا وكدا يعني؟

قال الرجل في نفاذ صبر:

ـ بقولك إيه انت تعبتني معاك لو مش عاوز تيجي ممكن نكلم حد تاني من اللي بعتوا.

ـ لا يا عم هاجي هاخسر إيه يعني.

ـ يلا بقى سلام.

قالها في عصبية وأغلق الخط و وضعت السماعة شارداً بينما أقبل (حوده) مبتسما في فضول كالمعتاد وهو يقول:

ـ التليفزيون صحيح اللي كان بيكلمك يا أستاذ (راضي)؟

نظرت إليه وأنا وعقلي ما زال يفكر في أمر البرنامج:

ـ أيوه يا (حوده).

ـ وعايزينك في إيه؟
رفعت يدي لأمسك بياقة قميصي متقمصاً دور النجم، فلم أجد سوى كتف الفانلة الحمالات لأعلق به إصبعي..
ـ احتمال يعرضوا عليا مسلسل علشان رمضان اللي جاي هعمل فيه قصه حياتي.
اتسعت ابتسامته أكثر لتبدو أسنانه المصفرة من تجربة "الشيشة" للزبائن..
ـ طيب ما تنساش أخوك الصغير بقى يا أستاذنا لما ربنا يكرمك كدا.
ـ حاضر يا (حوده).
وتبدلت نبرة صوته في ثانية واحدة إلى الجد وهو يقول:
ـ وما تنساش تدفع حساب الأسبوع اللي فات لو تسمح يعني.
نظرت إليه في غضب مصطنع وأنا أقول:
ـ حساب إيه اللي بتتكلم معايا فيه؟
ـ مقصدش يا أستاذ بس المعلم مأكد عليا.
قاطعته وأنا ما زلت محتفظاً بتلك النبرة الغاضبة:
ـ أول ما ارجع بكره هدفعلك الحساب، إيه الكلام الفارغ دا.
وتحركت متجهاً إلى منزلي وأنا أردد "على رأي المثل.. خلي الزمان يعمل ما بدا له، اللي حوجنا للندل وسؤاله".

يوميات سعيد (٣):المشهد السادس

ـ ندل إيه بس اللي أشاورله يا (ساندي).
ضحكت وهي تشير نحوي بالسكين مهددة:
ـ آه بجد مش هو ال "Waiter" أسمه بالعربي ندل؟ بيكتبوها كدا في ترجمه الأفلام الأجنبي، أنا مثقفة على فكرة ما تتريقش عليا.
انفجرت ضاحكاً وأنا أقول:
ـ اسمها نادل يا (ساندي) مش ندل حرام عليكي .
ضحكت في خجل واحمرت وجنتيها وهي تزيح خصلات شعرها إلى الوراء..
ـ وأنا اعرف منين بقى يعني، مش مهم.
ـ مش مهم أصلا الكلام دا.. إيه رأيك في المكان.
تلفتت بعينيها تتأمل المطعم حولنا، بطاولاته الأنيقة وأزياء العاملين المهندمة، وتلك الأضواء الخافتة والشموع التي تعطي طابعاً رومانسياً بجانب صوت المقطوعة الموسيقية التي يبدعها عازف البيانو البارع في وسط القاعة..
ـ المكان حلو أوي بجد.
قالتها في إعجاب ثم تذكرت شيئاً فنظرت لي في شك:
ـ شكلك عايز تنسيني موضوع البنت اللي كانت معاك إمبارح في العربية.
ـ برضه هتقولي بنت؟ والله دا كان شحات.
قلتها مدافعاً وأنا أحاول أن أخفض نبرة صوتي بينما بدا على عينيها الزرقاوين مزيج من عدم التصديق ونظرة الإشفاق على المتسول.
ـ يا حرام، صحيح كان ماشي حافي في الشارع يا (سعيد)؟
ـ مش متأكد.. تقريباً كدا.
ـ طيب أدتله فلوس يجيب "شوز"؟

كنت أتمنى لو أعود لاسترداد ما أعطيته إياه بعد أن رأيته يسير ليستجدي آخرين بنفس الطريقة ونفس الاستفزاز:
ـ أيوه إدتله فلوس.
بدت على وجهها نظرة حزينة بريئة وهي تقول:
ـ بيصعبوا عليا أوي بجد وهما ماشيين حافيين كدا والأسفلت مولع من الشمس تحت رجليهم.
هي لا تدري أن بعض المتسولين يمارس هواية التسول، بل إن بعضهم لا يكترث بقطع ساقيه من الأساس حتى ينضم إلى نقابة المتسولين..
ـ سيبك من الكلام دا دلوقت، أنا عاوز أقولك إني النهاردة اخدت قرار في حاجة مهمة.
ـ قرار إيه؟
أقبل الساقي مبتسماً محيياً إيانا بطريقة راقية وقام بوضع قائمة الطعام أمام كل منا على المائدة، فتوقفت لحظات عن الحديث حتى أنصرف ثم عدت أقول:
ـ إحنا بقالنا قد إيه نعرف بعض؟
ارتسمت على شفتيها ابتسامة تحمل ذكرى سعيدة قبل أن تقول:
ـ نعرف بعض من حوالي سنة من ساعة ما قابلتك في أسبانيا وأنا بعيط لما فلوسي إتسرقت.. فاكر يا (سعيد)؟
ضحكت وأنا أقول:
ـ آه طبعا فاكر.. كنتي قاعدة على الرصيف بتعيطي زي العيال الصغيرة ولما حاولت أكلمك كنتي هتتخانقي معايا.
ـ ما أنا كنت زعلانة أوي علشان محفظتي كان فيها كل حاجة، فلوسي وكروت الائتمان وكل حاجة، مكنتش عارفة هرجع مصر إزاي أصلا.. بس انت بصراحة كنت شهم معايا ومسبتنيش برضه رغم إني كنت رخمه معاك أوي.

ـ آه إنتي كنتي فظيعة وإنتي بتعيطي.
ـ بس الحمد لله إن فلوسي ضاعت علشان أقابلك وأعرفك.
ـ طيب بالنسبة للفلوس اللي سلفتهالك ساعتها، مش هترجعيها ولا إيه؟
قطبت حاجبيها في غضب طفولي وهي تقول معاتبة:
ـ أنا رجعتهالك.. إنت اللي رفضت تاخدها بإصرار.
أضحكتني تعبيرات وجهها بشدة.
ـ ما تزعليش أنا بهزر.
ـ لا ما تهزرش.
ـ طيب أنا عايز أقولك حاجة مهمة بجد.
ـ قول.
ـ عاوز أقولك إني قررت أتجوز خلاص.
بدت في عينيها نظرة عدم تصديق وكأنها تنتظر مني خدعة أو مزحة..
ـ هتتجوز مين؟
ـ هيكون مين غيرك يا (ساندي) قدرت تستحملني بكل حياتي الملخبطة ومشاكل شغلي.
احمر وجهها ولمعت عينيها بدموع الفرح..
ـ انت بتتكلم جد يا (سعيد).. أوعى تكون بتهزر أحسن هموت منك.
ـ بتكلم جد.. أنا خلاص قررت.
ـ بس انت واثق انك مش هترجع في قرارك دا؟
قلت في ثقة مطمئناً إياها:
ـ أنا مقعدتش كل الفترة دي أفكر في أي مشروع في حياتي.. دايما كنت باخد القرار في أسرع وقت ودا الموضوع الوحيد اللي أخد معايا وقت طويل جداً لأنه مشروع حياتي كلها، وأكيد واثق إني مش هرجع في القرار دا أبداً.

أطالت النظر في عيني بعينيها الزرقاوين الدامعتين وهي تقول:
ـ أنا هطير من الفرح بجد.
ـ أنا كمان مبسوط أوي.
قالت في سرعة وكأنها تخشى أن أعود في قراري:
ـ طيب هتيجي إمتى تقابل بابا علشان تتفقوا؟
ـ بكرة بالليل عندي مقابلة في برنامج في التليفزيون، وبعد بكرة بلغيه إني هجيلكم البيت الساعة تسعه مساء علشان نحدد ميعاد الفرح وكل حاجة.
قالت في سعادة ممزوجة بنبرة طفولية:
ـ خلاص اتفقنا.. بس برنامج إيه دا؟
ـ برنامج اسمه "شقلب أحوالك".
صفقت بيديها في انبهار وهي تقول:
ـ برنامج أستاذ (أحمد سعد)؟ دا برنامج جميل أوي وبيساعد ناس كتير.
ـ آه.. أكيد.
نظرت لي في حب..
ـ إنت طيب أوي يا (سعيد).
ونظرت إليها وابتسمت دون أن أتكلم حتى أحتفظ بثقتها في شخصي وسعادتها بذهابي إلى برنامج لمساعدة المحتاجين، كان الأمر بالنسبة لي مجرد دعاية ليس إلا، ولم أكن أعلم وقتها أنني سأقابل أكبر مفاجأة في حياتي ذلك اليوم.. تلك المفاجأة التي قلبت أحوالي كلها وبشكل غير متوقع رأساً على عقب..

يوميات راضي (٤):المشهد السابع

ـ دعاية إيه يا عم متشكرين.
قلتها وأنا أعيد للشاب الواقف أمامنا قلم (الليزر)، فأمسكه في بلادة وهو يقول:
ـ يا برنس دا بأقل من نص التمن والشركة منزلاه دعاية صدقني، اشتري مني مش هتخسر حاجة.
وعاد ليمد يده بالقلم إلى (سعدية) التي أمسكت به في سعادة تجرب ضوء الليزر في عيني، فسحبته من يدها وأعدته للشاب مرة أخرى وأنا أقول في ضيق:
ـ يا سيدي ما قلتلك خلاص، هعمل إيه أنا بقلم (ليزر) سواء دعاية ولا مش دعاية.
نظر إلى (سعدية) وعاد ليمد يده بالقلم تجاهها..
ـ طيب مش عايزاه إنتي يا أبلة.
تعمدت استخدام أقوى طبقة في صوتي ليبدو خشناً قدر المستطاع..
ـ ما قلتلك خلاص، إتكل على الله يا سيدي.
ـ بكيفك، إنت الخسران.
قالها الشاب وهو ينظر لي في بجاحة، ثم يمسك بالقلم ويعيده إلى الحقيبة التي في يده ويتجه إلى زبون أخر يحاول أن يبيعه تلك الأقلام..
كنت قد قمت بدعوة (سعدية) على العشاء في مطعم (الكبدة) الذي تحبه، مضحياً بأخر جنيهات أملكها احتفالاً بمناسبة فرصة العمل الجديدة وظهوري المقبل في التليفزيون..
وأقبل صبي المطعم نحونا يحمل في يده عشرات الأطباق المتراصة فوق بعضها، لا أدري كيف يستطيع حملها بهذا الشكل دون أن تقع..
ثم استخرج من بينها بعض الأطباق وضعها أمامي على المائدة وهو

يقول في سرعة:
ـ طلباتك يا أستاذ، اتنين سجق بلدي.. اتنين سجق اسكندراني.. اتنين كبدة.
ـ تمام كدا.. اتنين ساقع بقى وحياتك.
كأنه لم يسمعني استدار متجهاً إلى طاولة مجاورة ليقوم بمهمته في تقديم الطلبات و رص الأطباق في آلية، وابتسمت (سعدية) في امتنان وهى تقول:
ـ كتير أوي كدا يا (راضي) اللي انت بتعمله معايا دا والله.
ابتسمت في حنان وأنا أبحث عن كلمات تناسب الموقف الرومانسي، المختلط بأغنية (عبد الوهاب) التي تصدر من المذياع بجوارنا، ورائحة قلي الكبدة..
ـ ما تقوليش كدا يا (سعدية). أنا لو أطول أجيبلك الدنيا كلها مش هتأخر عنك، إنتي عارفة غلاوتك عندي.
ـ أنا عارفة يا (راضي) ربنا يسعدك ويوفقك يارب.
تنهدت وقد تذكرت ضيق أحوالنا خلال الفترة الماضية..
ـ أيوه كدا، إدعي يمكن ربنا يستجيب ويجعل بكره دا خير يا (سعدية).
ـ بدعيلك في كل أدان.
ـ يلا كلي بقى أحسن أنا هموت من الجوع.
أمسكت بشطيرة السجق ومددتها إليها فأخذتها من يدي وقضمت منها في حياء وأمسكت أنا بأخرى وقضمت منها قضمة أنهت نصفها، ولابد أن (سعدية) تذكرت شيئاً جعل الحزن يبدو في عينيها وتتوقف عن الأكل..
ـ مالك يا (سعدية)؟
ـ صعبان عليا الواد (محمود) سايباه عند الست أم (شريف) ومعرفش يا ترى أكل ولا نام جعان.

ابتسمت لها في ود مطمئناً:

ـ كلي انتي بس وهناخدله معانا أكل، وبعدين هانت خلاص بكره نبقى في بيتنا وآخد بالي منكم انتو الاتنين.

بدا الإحراج على وجهها من جديد ولمعت عيناها بالدموع من التأثر..

ـ والله أنا بحس إني مشيلاك فوق طاقتك يا (راضي).

ـ سيبك من الكلام دا وكلي قبل ما الأكل يبرد.

قربت الشطيرة من فمها وقبل أن تقضم منها عادت لتبتسم وهى تقول في سعادة:

ـ على فكرة أنا غسلتلك الجاكيتة الخضرا بتاعتك وكويتها وبقت زى الفل علشان تبقى طالع في التليفزيون كدا أخر شياكة، دا أنا كمان قلت لصحباتي في المشغل كلهم إنك طالع في البرنامج النهاردة وهيموتوا.. بيحسدوني عليك.

ابتسمت وأنا أقول:

ـ عارفة يا (سعدية) إن دي أول مرة في حياتي حد يرد عليا واكسب أي حاجة، وحتى لو طلع الموضوع نصب أنا مش هكون زعلان.. المهم بس ما يقولوش هما كمان ادفع عشرة جنيه.

نظرت لي في عدم فهم..

ـ عشرة جنيه إيه؟

ـ لا ما تشغليش بالك .

ـ طيب يعني مش مبسوط إننا هنتجوز لما ربنا يكرمك كدا وتتوظف؟

ـ مبسوط طبعا.. دا هي دي الحاجة الوحيدة اللي بتمناها من الدنيا. بس ادعيلي الموضوع يطلع بجد.. أنا أصلا مش فاكر إني بعت في البرنامج دا.. فيه برنامج اسمه كدا أصلا؟ شقلب أحوالك؟

ضحكت (سعدية) وهى تقول:

ـ أيوه فيه.. بييجى في التلفزيون. دا أستاذ (أحمد سعد) اللي بيقدم

البرنامج دا سكر.
قلت في كبرياء:
ـ إيه يا (سعدية) الكلام دا؟ مش مالي عينك أنا ولا إيه؟
ـ مين قال كدا بس.. انت اللي سكر وعسل كمان.. طيب إنت عارف أنا لسه كنت قاعدة مع نفسي بفتكر إمبارح أول يوم قابلتك فيه لما جيت العمارة.. فاكر؟
أومأت برأسي وأنا ألوك باقي شطيرة الكبدة في فمي فعادت تقول:
ـ أول ما شفتك كدا وأنا طالعة أنشر السجادة فوق السطوح، وأنت قمت شلتها منى ونشرتهالى على السور، قلت إزاي الراجل دا الستات سايبينه لغاية دلوقتي من غير جواز.
ضحكت في تواضع:
ـ على إيه يعني يا (سعدية)؟
ـ على حاجات كتير يا (راضي)، سيبك من إن إنت غلبان زى حالاتنا أو إن شعرك قرب يقع كله ووشك كرمش من الهم.
ألقيت بالشطيرة من يدي في الطبق ونظرت إلى (سعدية) في غيظ:
ـ ما أقوم أولع في نفسي أحسن.
أطلقت ضحكتها المجلجلة التي تخطف قلبي في كل مرة ثم قالت في سرعة:
ـ مقصدش والله يا سي (راضي)، أنا قصدي إن قلبك الطيب دا وحنيتك مينفعش حد يلاقيهم ويفرط فيهم أبداً، الراجل مش بشكله ولا بفلوسه لكن بقلبه اللي زى الدهب، زيك كدا.
ـ أحرجتينى يا (سعدية) بكلامك الحلو دا..
عادت لتبتسم، ثم بدأت تأكل من شطيرة الكبدة التي أمامها وشفتيها لا تفارقهما تلك الابتسامة السعيدة..
ونظرت عبر نافذة المطعم المكسورة إلى الطريق وأضواء الليل المتلألئة على الجانب الآخر من الطريق، وسرحت في المستقبل، وتمنيت لو مر الوقت سريعاً إلى الغد.. فلم أكن أعلم وقتها ما الذي يحمله لي ذلك الغد من مفاجآت لم تكن أبداً في الحسبان..

يوميات سعيد (٤):المشهد الثامن

ـ أنا ما بحبش المفاجآت..
قلتها في غضب فارتعد (حجازي)، المدير العام لمجموعة شركاتي، في كرسيه وكاد فنجان القهوة يسقط على ملابسه، فوضعه على المنضدة أمامه بيد مرتعشة بينما عدت أقول:
ـ يعني إيه أعرف إن الشيكات اللي على (عادل الشامي) لسه ما اتحصلتش لغاية دلوقتي؟ إيه التهريج دا؟
رفع يديه محاولاً طلب فرصة لتبرير موقفه وهو يقول:
ـ يا فندم إسمحلى بس، أنا مقلتش لحضرتك إن الشيكات متأخرة لأني كلمته بنفسي ووعدني انه هيدفع المبلغ دفعة واحدة لكن محتاج مهلة، وأنا قلت نوافق أحسن ما ندخل في قضايا منعرفش هتخلص إمتى.
ضربت بكفي على المكتب في نفاذ صبر:
ـ اللي أنا بقوله هو اللي يتنفذ يا (حجازي) مش اللي انت بتقوله.
خفض (حجازي) رأسه وأحمر وجهه حرجاً وهو يقول في استسلام:
ـ أكيد حضرتك طبعا.. أنا أسف يا فندم.
ـ قدم الشيكات في البنك ولو مفيش رصيد خد رفض على كل شيك. أنا عارف الأشكال دي لازم الواحد يتعامل معاهم إزاي.
ـ حاضر.
ـ افهم اللي بقولك عليه ونفذه يا (حجازي).
ـ تمام، خلاص يا فندم بكرة الشيكات هتكون في البنك.
ـ قولي أخبار مصنع الكيماويات إيه كمان؟
سألته في ضيق فقد كان العمال قد فرضوا إضراباً عن العمل منذ يومين بسبب رغبتهم في زيادة الرواتب، فارتبك وهو يقول:
ـ للأسف لسه العمال مصرين على الإضراب وبنحاول معاهم بس

مفيش أي استجابة لغاية دلوقتي.
سحبت نفساً عميقاً من السيجار ونفثت دخانه في الهواء لأبعد ما يكون، وكأن سحابة الدخان قد تساهم في إطلاق العنان لأفكاري، قبل أن أعتدل في جلستي وأنا أقول في لهجة آمرة:
ـ كلم جريدة (الأهرام) وبكرة الصبح يكون فيه إعلان لطلب عمال، وبلغ مدير المصنع يعمل قرار فصل لكل عامل مش هيرجع شغله من الصبح.
صمت (حجازي) لحظة، ثم قال مذعناً وإن بدا في نبرة صوته وعلامات وجهه عدم الاقتناع:
ـ اللي حضرتك تؤمر بيه.
دق جرس الهاتف فأشرت له كي ينصرف وأنا أرفع السماعة، فأومأ برأسه محييا ثم انصرف في سرعة.. كانت سكرتيرتي تخبرني أن المذيع (أحمد سعد) على الهاتف..
ـ ما قالش عايز إيه؟
ـ لا يا فندم هو بيقول فيه حاجة بخصوص البرنامج، بس طلب يكلم حضرتك شخصياً.
تساءلت في نفسي متعجباً عن سبب اتصاله قبل البرنامج بساعات، قبل أن أطلب منها تحويل المكالمة على الخط الخاص بي، ثم انتظرت لمدة ثانيتين قبل أن أهتف في ترحاب مصطنع..
ـ صباح الخير يا أحمد بيه.
ـ صباحك سعيد يا (سعيد) بيه.
قالها ثم ضحك بطريقته الصاخبة المعتادة وهو يقول:
ـ أخبار سعادتك إيه؟
ـ أنا بخير الحمد لله.
ـ مبسوط جداً إني هشوف سعادتك حقيقي.
ـ دا شرف ليا.

ـ الشرف لينا طبعاً يا(سعيد) بيه.
تنحنح كأنه يصنع فاصلاً بين الترحاب وموضوع الاتصال ثم عاد يقول:
ـ أنا أسف طبعاً لإزعاجك بس المخرج النهاردة عملّي لخبطة في البرنامج وعايز يعمل فقرة إضافية وأنا قلت استأذنك طبعا.
ـ مش فاهم يعني إيه فقرة إضافية، هل فيه حاجة مطلوبة منى؟
رد في سرعة وهو لا يزال محتفظاً بنبرة صوته المبتسمة:
ـ لا لا خالص، كل الحكاية هيبقى فيه ضيف هيدخل معانا البرنامج وحضرتك موجود، لكن أنا قلت لأن حضرتك الضيف الأساسي لازم أبلغك بنفسي.
ـ مين الضيف دا؟ ممكن أعرف؟
عاد يضحك ضحكته المشوبة بحشرجة الصدر التي لابد وأنها حدثت بسبب تدخين الأنواع الرديئة من السجائر قبل أن يشتهر ويحصل على الملايين من برامجه التليفزيونية، ثم قال:
ـ صدقني أنا نفسي معنديش تفاصيل عن الموضوع ولسه عارف حالاً، بس الإعداد بلغني إنه ضيف من المغرب، هيعرض حالة غريبة، ما تقلقش يا (سعيد) بيه مش هنستضيف منافس لحضرتك لا في مجال العمل ولا السياسة من غير ما تعرف أبدا.
ضحكت مجاملاً وأنا أقول:
ـ شكراً لاهتمامك واتصالك بنفسك.
ـ ربنا يخليك يا فندم.. أشوف حضرتك على خير في ميعادنا النهاردة.
ـ أكيد.
وأغلقت الخط غير مبال بالأمر، وعدت لأنهمك في أوراقي ومشاكل الشركات..
يقول البعض إن كل المشاكل التي نتعرض لها في الحياة يسبقها

إشارات وتحذيرات، قد تكون هذه التحذيرات صريحة أو في صورة أمور بسيطة بهدف لفت انتباهنا، إلا أننا في أغلب الأحوال لا ننتبه إلى تلك الإشارات ولا نعيرها إهتماماً ولا نفهم تفسيرها غالباً إلا بعد فوات الأوان..

يوميات راضي (٤): المشهد التاسع

ـ إيه الإشارات الغريبة دي، عايز إيه يا جدع أنت ؟
صاح عم (عبده) البقال بجملته وهو ينظر لي شذراً وفى يده سكين الجبن الرومي، مما أثار انتباه الجميع حولنا فقلت وقد أحرجني الأمر:
ـ مالك يا عم (عبده) مش لازم تفرج علينا الناس يعني.
عاد يصيح في غضب مرة أخرى:
ـ ما أنا مش فاهم عمال تشاورلي كدا ليه، قلتلك هات الفلوس اللي عليك الأول يبقى تجيب اللي عليك.
حاولت رسم ابتسامة على وجهي لأخفى حرجي وقد كاد الدم ينفجر من أذني بعد تلك الفضيحة التي صنعها البقال، وخاصة أن مرتادي البقالة بدأ بعضهم في المشاهدة باستمتاع..
ـ ما أنا بقولك بكره يا عم (عبده).
رفع حاجبيه في استنكار وهو يقول:
ـ الحركة اللي بتعملها بدماغك دي يعني بكره؟ وبعدين إيه اللي هيحصل جديد بكره؟ ما أحوالك زى الزفت على طول، وخلاص كدا مش هتاخد حاجة لا النهاردة ولا بعده غير لما تسدد اللي عليك.
ـ كدا يا (عبده) بقى دي أخرتها.. طيب إيه رأيك أنا مش هشتري من عندك حاجة تاني.
لوح بيده في استهانة زادت من حرجي..
ـ هو انت أصلا بتشتري؟ انت بتسحب على النوتة وخلاص والنوتة إتملت على أخرها.
ـ هو إيه اللي على النوتة دا، وبعدين إيه يعني لو على النوتة؟ محدش بيشيل حد أبداً في الزمن دا ولا إيه؟
نظر لي في غيظ وهو يقول:

ـ دا أنا شايلك لما وسطى اتقطم بس انت زودتها أوى، روح بقى شوف حد تاني يشيل.
تدخلت امرأة بدينة تجر ورائها ثلاثة أطفال لا يتعدى أكبرهم الرابعة من عمره..
ـ ما تدفع اللي عليك يا أخينا أنت، هو إيه النظام دا.
التفت إليها في غضب بينما أخذ واحد من أطفالها في ركل حذائي بقدمه..
ـ ما تخليكي محضر خير يا ست إنتي.
أشار لي (عبده) أن أبتعد وهو يلوح بسكين الجبن الرومي من جديد:
ـ امشي بقى خلينا نشوف أكل عيشنا يا جدع انت.
ـ ماشى يا (عبده).
قلتها في توعد محاولاً حفظ كبريائي، وأنا انصرف من أمامه محبطا وقد تملكني الهم الشديد..
ما الذي يحدث لي ومتى ينتهي؟ لم أطلب يوماً الكثير ولكن الواقع أنه لا يمكنني حتى الحصول على القليل.. أقل القليل.. أشعر بالإهانة أمام البقال وأمام بائع الخبز، وكأنني شحاذ..حتى أنني بعد أيام سأصبح حتى بلا مأوى عندما يطردني صاحب البيت من الحجرة الحقيرة التي أسكن بها بسبب الإيجار..
ألقيت نظرة خاطفة على ساعة الحائط المعلقة في المقهى وأنا أعبر أمامه مسرعاً كي لا يراني (حوده) صبى المقهى ويطالبني هو أيضاً بالحساب المتأخر..
الأمل الوحيد أمامي الآن هو أن يصدق أمر ذلك البرنامج ولا أكتشف أنه مجرد خدعة أو أحد برامج "الكاميرا الخفية" ويوفر لي حقاً فرصة العمل التي وعد بها..
وانطلقت مسرعاً إلى حجرتي كي أبدأ في الاستعداد للذهاب إلى مبنى

التليفزيون في الموعد المحدد..
وعلى سطح العمارة كانت (سعدية) تقوم بإطعام بعض الدجاجات التي تربيها في قفص بجوار حجرتي، وابتسمت لرؤيتها في سعادة..
ـ إزيك يا (سعدية).
تفاجأت بوجودي فاحمر وجهها قبل أن تبتسم في سعادة بادية وهى تقول:
ـ الحمد لله يا (راضي)، طلعت أطمّن عليك وأشوفك نزلت ولا لسه علشان معادك في التليفزيون.
ـ لا هجهز وأنزل على طول أهو..
أشارت إلى الجاكيت الأخضر الزرعى المعلق على شماعة فوق حبل الغسيل الممتد بين حجرتي والحجرة الأخرى على السطوح وهى تقول:
ـ الجاكيتة أهيه مغسولة ومكوية وزى الفل.
ـ مش عارف كنت هعمل إيه من غيرك يا (سعدية).
واقتربت منها في حب فاحمر وجهها خجلاً وابتعدت في سرعة لتلتقط إحدى صفحات الجرائد من فوق العشة وهى تقول:
ـ أنا قريت حظك اليوم.. انت النهاردة نجمك عالي أوي.
ضحكت في أسى وأنا أقول:
ـ إشمعنى النهاردة يعني؟ ما أنا طول عمري نحس.
ـ بعد الشر عليك من النحس.. طيب اسمع بيقولوا إيه النهاردة.. "موعدك اليوم، لقد دخلت دورة من الحظ، تقابل شخصاً يغير لك حياتك "
أعطتني كلماتها بعض الأمل فتنهدت قائلا:
ـ لعله خير يا (سعدية).
ـ طيب يا (راضي) أنا هانزل بقى وهفتح التليفزيون من دلوقتي واقعد في انتظارك.

قالتها وألقت لي نظرة خطفت قلبي ثم انطلقت في سرعة تهبط السلالم إلى شقتها المتواضعة بالدور الأخير.. وأمسكت بالجريدة أتأمل المكتوب..

ترى هل سيستجيب لي الحظ هذه المرة..

"لقد دخلت دورة من الحظ، تقابل شخصا يغير لك حياتك "

"موعدك اليوم "

يوميات سعيد (٥):المشهد العاشر

ـ في الموعد المحدد تمام.
قلتها وأنا أخطو داخل الأستوديو فابتسم المذيع (أحمد سعد) وهو يصافحني مرحباً في حرارة..
ـ حضرتك مواعيدك زى الساعة دي مش محتاجة كلام.
ضحكت ثم نظرت إلى الديكور والكاميرات، ثم إلى الطاولة المستديرة البنية اللون التي يجلس عليها المذيع وضيوفه وأنا أقول:-
- ديكور هايل أوي.
ـ ربنا يخليك دا من ذوق حضرتك.
اقتربت من تلك الطاولة المستديرة، كان يحيط بها أربعة مقاعد ..
ـ تحب أقعد فين؟
ـ اتفضل هنا يا فندم.
قالها في سرعة وهو يشير إلى أحد المقاعد كي أجلس ثم اتخذ مكانه بجواري متسائلاً إن كان كل شيء على ما يرام، ولابد أن الصوت جاءه عبر سماعة الأذن مؤكداً، فهز رأسه ورفع يده بالتحية لشخص ما وراء الكاميرات والإضاءة المحيطة بنا، ثم نظر لي في ترحاب وسألني عن شيء يقدمه لي فطلبت فنجاناً من القهوة. رفع يده مشيراً لأحد الفتية وطلب منه فنجانين من القهوة وأوصاه بأن يكون من البن الخاص به ثم عاد ينظر لي قائلاً:
ـ لسه قدامنا عشر دقايق على الهوا.. أنا هقول لحضرتك كدا بسرعة فكرة البرنامج وإيه اللي هيتعمل. ولو فيه أي استفسار عند حضرتك ممكن تسألني طبعاً.
ابتسمت مجاملاً..
ـ مع إن مش أول مرة أطلع على الهوا في برنامج بس البرنامج

بتاعك جديد عليا، علشان كدا حاسس إني قلقان شوية.
ضحك المذيع وهو يقول ممازحاً:
ـ الموضوع بسيط جدا مفيش قلق.. دا حضرتك راجل عضو مجلس شعب وبتطلع أكتر مننا في التليفزيون يا (سعيد) بيه.
شاركته الضحك قائلاً:
ـ لا مش للدرجادى، هو مين أصلا بيتفرج على مجلس الشعب.
جاء الفتى وبيده (صينية) عليها فنجانين من القهوة وكوبي مياه، وقام بوضع كل ذلك أمامنا في احترام ثم أنصرف، فقدم لي (أحمد) القهوة وهو يبتسم..
ـ دا بقى بن مخصوص بيتعملي بتحويجة أنا اللي مخترعها، جرب وقولي رأيك.
أومأت برأسي مبتسماً وبدأت في رشف قهوتي معلناً له إعجابي بها، فرشف (أحمد سعد) من قهوته قبل أن تكتسي لهجته بالجدية من جديد وهو يسأل في اهتمام:
ـ صحيح هو حضرتك إن شاء الله ناوي ترشح نفسك في الدورة الجديدة؟
وضعت الفنجان وأسندت ظهري إلى المقعد وتنهدت وكأنني أحمل هموماً فوق صدري وأنا أجيب:
ـ لسه مش متأكد يا (أحمد) بيه والله. الموضوع صعب أوى وحمل تقيل جداً.
ـ حضرتك قدها وقدود، وبعدين أنا شايف الدايرة بتاعة حضرتك ماشاء الله، فيها شغل ممتاز الفترة الأخيرة دي ولا إيه!
لم أستطع أن أفهم تحديداً مغزى كلامه وهل يرمى بقوله الفترة الأخيرة تلميحاً لأنني أفعل ذلك من أجل أصوات الناخبين في الدورة الجديدة أم لا..
ـ بنحاول نعمل اللي علينا.. خليني بقى أعرف أكتر عن البرنامج،

إيه اللي هيحصل النهاردة؟
أومأ (أحمد سعد) برأسه موافقا وقد لاحظ رغبتي في تغيير الموضوع، فعاد يقول:
ـ إحنا يا فندم زي ما حضرتك عارف بنستضيف كل أسبوع شخصية من رجال الأعمال وفى نفس الوقت بيجيلنا جوابات وتليفونات من ناس بسيطة و محتاجين مساعدة. فيه اللي محتاج كرسي متحرك واللي عايز يدفع مصاريف المدارس بتاعة ولاده واللي عايز يعمل عملية، حاجات كدا.. إحنا بنستقبل الحالات دي وبنختار مجموعة منهم وبنقوم بحل مشاكلهم عن طريق رجال الأعمال الكرام اللي زي حضرتك.
حاولت رسم ابتسامة متواضعة لابد أن ذوى الخبرة يكتشفون اصطناعها في معظم الأوقات..
ـ دي حاجة بسيطة.
ضحك وهو يقول:
ـ بسيطة إزاي بس؟ دا المبلغ اللي حضرتك أتبرعت بيه موصلش قده للبرنامج من ساعة ما اتعمل.
ابتسمت دون أن أعقب فعدل وضع نظارته وقلب في الأوراق التي أمامه ثم قال:
ـ عندنا مجموعة مكالمات في البداية هنحل بيها شوية مشاكل لبعض الناس.. هي حاجات قد تبدو صغيرة لكن بالنسبالهم كبيرة جدا ربنا يكون في عونهم، وبعدين هنستضيف شاب بعت مشكلته وأزمته مع البطالة.
أومأت برأسي مؤيداً، قبل أن أقول:
ـ وإيه موضوع الضيف اللي كلمتني عليه إمبارح دا؟
قلب المذيع في الأوراق باحثاً عن ورقة ما نظر إليها وهو يقول:
ـ دا يا سيدي الفاضل، راجل من المغرب، بعت للبرنامج وبيقول إن

عنده أفكار هتحل مشاكل كبيرة جداً وإحنا هنستضيفه يقول كلمتين.
جاءه صوت المخرج عبر سماعة الأذن مرة أخرى يخبره أن وقت البث على الهواء قد أقترب.. فعاد ينظر لي مبتسماً في تشجيع..
ـ ثواني وهنبدأ، أستريح حضرتك.. شكة دبوس ونخلص البرنامج على طول.
قال نصف جملته الأخير ضاحكاً ثم اعتدل مواجهاً الكاميرا لترتسم الجدية على ملامحه عندما جاء صوت المخرج يطلب من الجميع الصمت.. والاستعداد للبث على الهواء..

يوميات راضي (٦):المشهد الحادي عشر

"هواء بعد خمس ثواني يا جماعة "

للمرة الأولى في حياتي أمر بمثل هذا الموقف المهيب.. كل تلك الكاميرات والمعدات والإضاءة وهؤلاء الرجال المتأنقون أمام الكاميرات..

وذلك الصمت الذي خيم على المكان فمنحه رهبة أكبر عندما نطق المخرج بتلك الكلمة..

"خمسة"

كنت أقف خلف الكاميرات بكامل أناقتي مرتدياً الجاكيت الأخضر الزرعي الأنيق والبنطلون الأسود منتظرا تلك اللحظة الحاسمة التي أظهر فيها على شاشات التليفزيون.. ياله من شعور رائع أن أظهر على شاشات التليفزيون ومع المذيع (أحمد سعد) بالذات..

"أربعة"

وعلى الرغم أن ظهوري ليس كأحد المشاهير وإنما في برنامج يقدم فيه المشاهير بعض العطف لأمثالي لكي يروا أنفسهم أو يراهم الناس بصورة أفضل..

"تلاتة"

إلا أن ظهوري يظل فرصة لمن هم مثلى، فكيف يتسنى لأمثالي الظهور على الشاشة إلا في مثل هذه المواقف، على أي حال سوف يراني الجميع وسوف تراني (سعدية)، وستظل تذكر لأقاربها بعد زواجنا أنني ظهرت على شاشه التليفزيون ومع المذيع (أحمد سعد)..

"إتنين"

وربما نسجت من خيالي بعض الحوارات التي أرويها لها عن احتفاء الناس بي هنا والعلاقة الوطيدة التي نمت بيني وبين المذيع

المشهور.. مررت يدي على رأسي أسوي شعري المجعد مبتسماً في سعادة..

"واحد"

وعلى الرغم من أناقتي المفرطة إلا أنني أحسست أن هناك شيئاً ينقصني.. ربما كان يجب أن أمر على (حلمي) الحلاق ليهذب لي شعري وأنتهز الفرصة لأضع بعضاً من كولونيا "خمس خمسات"، فالجميع هنا تفوح من ملابسهم رائحة عطرة..

"هواء"

ـ " السلام عليكم.. بنرحب بيكم أعزائنا المشاهدين في برنامج (شقلب أحوالك).. وبيسعدنا أن يكون معانا النهاردة عضو مجلس الشعب ورجل الأعمال الكبير الأستاذ (سعيد حسين).. حضرتك مشرفنا النهاردة يا فندم."

قال (أحمد سعد) جملته وابتسم وهو ينظر إلى ذلك الرجل المتأنق بشدة الذي ابتسم بدورة محاولاً إظهار بعض التواضع وهو يقول:

ـ شكراً جزيلاً يا أستاذ (أحمد) الشرف ليا طبعاً.

عاد المذيع يقول وعلى شفتيه تلك الابتسامة المحببة التي لا تفارقه معظم الوقت:

ـ النهاردة معانا كمان زى ما اتعودنا مجموعة من الحالات اللي هنشقلب أحوالها للأحسن طبعا.. الحالات دي اتصلت أو بعتت جوابات، وفيه كمان اللي بعتو "إيميلات" ودا شيء جديد الحقيقة.. هما طبعاً معندهمش (كمبيوتر) ولا أجهزة (لاب توب) لكن بعض فاعلي الخير أكيد ساعدوهم علشان يبعتوا شكواهم للبرنامج، و دا شيء جميل إن الناس بتساعد بكل الطرق الممكنة حتى لو عن طريق إنهم يوصلوا صوت شخص محتاج لحد يسمعه ويمكن يقدر يساعده، إحنا بنشكر الناس دول.. وطبعا بنشكر الأستاذ (سعيد حسين) اللي تكفل النهاردة بحل مشاكل الحالات اللي معانا."

ـ أنا كمان بشكرك على الفرصة الجميلة دي يا أستاذ (أحمد).
ـ أستاذ (سعيد).. أنا هكلم حضرتك بصفتك أحد رجال الأعمال المعروفين وصاحب مجموعة من أكبر الشركات داخل وخارج مصر، يا ترى شايف إيه الدور الاجتماعي لرجال الأعمال تجاه تنمية المجتمع؟
كان الرجل الذي يسمى (سعيد حسين) وسيماً إلى حد كبير، يكاد يشبه نجوم السينما بوجهه اللامع وعينيه الخضراوتين وجسده الرياضي وكلامه المنمق المعسول، ونظرت إليه وإلى المذيع (أحمد سعد) وهما يتحادثان، ولا أدرى لماذا أحسست أنني لا أنتمي لهذا المكان، ولا أشبه هؤلاء الأشخاص، وكأن الدنيا عالمان، عالم خُلق لنا كي نحيا فيه نتحمل البؤس والشقاء في الدنيا، وعالم خُلق لهؤلاء كي يحصلوا على كل شيء، متجاهلين حقوق أمثالنا حتى في الحياة، ثم بين الحين والأخر ينظرون إلينا نظرة عطف تخفف من إحساسهم بالذنب وتريح ضمائرهم من جديد..
أفقت من شرودي على يد توضع على كتفي فالتفت، فوضع الشاب إصبعه على فمه بما يعني ألا أصدر صوتاً، ثم سألني في صوت شديد الانخفاض:
ـ إنت (راضي)؟
أومأت برأسي مجيباً، فقال بنفس الصوت الهادئ الخفيض وهو يشير إلى المقعد المجاور للمذيع:
ـ بص يا (راضي)، بعد شوية هنطلع فاصل وهتدخل تقعد على الكرسي دا..
حاولت أن أرد بأقل طبقة صوت ممكنة:
ـ ماشي.
ـ بتعرف تقرأ طبعا.
ـ أيوه أنا بكالوريوس.

ـ طيب امسك الورقة دي.
ومد لي يده بورقة صغيرة فأمسكتها أنظر إلى المكتوب وهو يقول:
ـ الأستاذ هيسألك السؤالين المكتوبين هنا وأنت هتجاوب بالكلام دا، مش عايزين كلام بره المكتوب يا (راضي)، فاهم؟
أشرت له بإبهامي مؤكداً أن كل شيء تحت السيطرة، فابتسم في هدوء وتركني لأقرأ تلك الأسئلة وإجاباتها.. كان الحوار بين الرجل الوسيم و(أحمد سعد) مازال مستمراً..
ـ أكيد أنا مش بعرف أتكلم بشكل منمق زيك يا أستاذ (أحمد).
قالها (سعيد) و ضحك، فضحك (أحمد سعد) ممازحاً وهو يقول:
ـ تقصد إن الإعلاميين هما بتوع الكلام المنمق؟ بس حضرتك رجل ليك دور سياسي ومتحدث مفوه ولا شك، وأنا من أكتر الناس اللي تشهد على كدا.
ضحك (سعيد) بدوره وهو يقول مستدركاً:
ـ لا بالعكس الإعلام مش مجرد كلام منمق وخلاص.. دا دور مهم جداً لأن كل واحد بيساهم في حل الأزمة دي بالأدوات المناسبة والمتاحة معاه.. ودور الإعلام هو توصيل الصوت ونشر الفكر ويمكن مكنتش هبقى موجود هنا النهاردة لولا إن فيه أصوات إعلامية بتنادي وبتفكرنا إننا مش عايشين لوحدنا وإننا جميعاً مجتمع واحد.
أومأ (أحمد سعد) برأسه مؤيدا لذلك الكلام قبل أن يقول:
ـ واضح إنهم في الإعداد اتصلو بأول حالة.. ناخد المكالمة ونرجع نكمل حوارنا؟
ـ اتفضل.
عاد (أحمد سعد) ينظر إلى الكاميرا..
ـ أول شخص معانا النهاردة هو عم (محمد فوزي) من الشرقية.. عمره خمسة وستين سنة وعايش في أوضة هو ومراته وبنتين،

وكاتب إن كل أمنياته في الحياة إنه يطلع عمرة قبل ما يقابل وجه كريم.. ربنا يديلك طولة العمر يا عم (محمد).. الراجل مع إنه عايش في أوضة ما طلبش شقة يلم فيها بناته ويكون فيها مطبخ وحمام، لكن إللي عاوزه انه يعمل عمرة ويمتع عينيه برؤية الكعبة وقبر النبي عليه الصلاة والسلام.. إحنا اتصلنا بعم (محمد) عند الجيران وهو معانا دلوقتي على التليفون.. سلام عليكم يا عم (محمد).

جاء صوت الرجل عبر الهاتف ليذكرني بصوت العديد من رجال حارتنا المطحونين:

ـ عليكم السلام يا باشا.

ـ ازيك يا راجل يا طيب عامل إيه؟

ـ الحمد لله نحمد ربنا.

ـ عم (محمد) انت بعتت جواب للبرنامج تطلب فيه إنك عاوز تطلع عمرة.

أتى صوت الرجل يكاد يبكى وبجانبه أصوات همهمات أولاده وزوجته:

ـ ياريت يا باشا دا أنا نفسي أروح الكعبة قبل ما أموت.

ـ بتشتغل يا عم (محمد)؟

ـ كنت بشتغل ساعي وطلعوني معاش من سنتين.

ـ طيب يا عم (محمد) انت النهاردة دعوتك استُجيبت وهتطلع معانا رحلة عمرة إنت واتنين من الناس الطيبين اللي زيك كدا وكان مطلبهم نفس الشيء وهنتصل بيهم النهاردة.

بكى الرجل عندما سمع تلك الكلمات وبدت كلماته في الهاتف غير مفهومة وقد اختلطت بالبكاء وأصوات زغاريد زوجته وربما نساء الجيران..

إنهم يحققون الأحلام حقا..

لابد أن هذا الأمر حقيقي وربما ابتسم لي القدر أخيرا..

وبدأ قلبي يخفق في قوة..
ونظرت إلى الورقة التي في يدي أتأكد أنني حفظت الكلام جيداً، ثم إلى هندامي والجاكيت الأخضر الزرعي أتأكد من وجاهتي وقد بدأ دوري في الاقتراب..

يوميات سعيد (٦):المشهد الثاني عشر

أين رأيت هذا الرجل الواقف خلف الكاميرات يبتسم في سعادة مرتدياً الجاكيت الأخضر الغريب؟ لا أذكر الآن تحديداً ولكنني أشعر وكأنني رأيته من قبل في مكان ما..

كان الوقت يمر بطيئاً وأنا جالس في الأستوديو مع المذيع (أحمد سعد) وهو يجرى اتصالاً وراء الأخر وعلى وجهة سعادة عفريت مصباح (علاء الدين) وهو يحقق الأماني ويبذر الأموال التي هي أموالي طبعا..

ـ أعزائنا المشاهدين.. هنطلع فاصل ونرجع مع حالة واحد من الشباب اللي بعتو للبرنامج.. هيحكيلنا بنفسه عن مشكلته وهنحاول في البرنامج نشقلب أحواله للأحسن.. نشوفكم بعد الفاصل.

كانت كلمة "بعد الفاصل" هذه بمثابة تصريح بالهرج الجماعي في الأستوديو، والتفت لي (أحمد سعد) وهو يقول مبتسما:

ـ أحنا خرجنا فاصل.. قدامنا دقيقتين ونرجع تاني على الهوا.. اتفضل حضرتك اشرب العصير.. أنا عارف طبعا إن إحنا أخدنا من وقتك كتير بس خلاص قربنا نخلص البرنامج.

ابتسمت مجاملاً ثم نظرت في ساعتي متمنياً أن ينتهي الوقت المتبقي من الحلقة سريعاً وأنا أقول كذباً:

ـ مش مشكلة أنا مستمتع بوجودي معاكم.

تقدم منا رجل يبدو أنه أحد مسئولى الإعداد ومعه ذلك المهرج صاحب الجاكيت الأخضر وقدمه إلى (أحمد سعد) وهو يقول:

ـ الحالة معانا يا أستاذ (أحمد) هيطلع بعد الفاصل دا.

تقدم الرجل فصافح (أحمد سعد) في حرارة ثم صافحني وأشار له أحدهم أن يجلس على الكرسي المجاور لي فجلس على طرف الكرسي والابتسامة السعيدة لا تزال على وجهه..

قلب (أحمد سعد) في الأوراق التي أمامه ثم نظر للرجل وهو يقول:
ـ اسمك (راضي) مش كدا؟
ـ آه (راضي) إن شاء الله.
ضحك (أحمد سعد) ممازحاً وهو يقول:
ـ يعني هتبقى راضي قريب ولا إيه؟
لم يفهم الرجل الدعابة فعاد يجيب في تلقائية:
ـ لا أنا (راضي) حضرتك إن شاء الله.
ـ ماشى يا (راضي) انت هتحكيلنا عن مشكلتك زى ما كتبتها في الجواب اللي بعتته وزي ما الإعداد قالولك تتكلم، وخلى بالك إحنا على الهوا مش عاوزين أي كلام خارج نطاق المكتوب في الورقة اللي معاك.
ـ حاضر سعادتك ما تقلقش.
قالها في ثقة، فعدل (أحمد) من نظارته فوق عينيه وهو يقلب في الأوراق أمامه قائلاً وكأنه يحادث نفسه:
ـ لا أنا مش قلقان، ربنا يستر.
عاد المخرج يعطى إشارة عودتنا إلى الهواء وفى ثانية واحدة عم النظام من جديد وعاد (أحمد) يبتسم ويتحدث إلى الكاميرا مرة أخرى..
ـ رجعنا معاكم تاني بعد الفاصل.. ومعانا في الفقرة دي الأستاذ (راضي عبد الصبور) وهو بعتلنا مشكلته وإحنا استضفناه يحكيلنا المشكلة بنفسه.. أهلا بيك يا أستاذ (راضي).
بدا (راضي) متوتراً وقد جلس على طرف الكرسي، حتى كدت أنتظر لحظة سقوطه على الأرض..
ـ أهلا بحضرتك يا باشا.
ضحك (أحمد سعد) محاولا كسر توتر الرجل..
ـ باشا إيه بس زمن البشوات انتهى من زمان، ولا إيه رأيك؟

ـ تمام يا باشا.
في تلقائية أجاب، فعاد (أحمد سعد) للحديث..
ـ ماشى يا (راضي) ممكن تحكيلنا إحنا والسادة المشاهدين على مشكلتك؟
أومأ راضي برأسه ثم صمت برهة يستجمع فيها الكلمات قبل أن يقول:
ـ أنا خريج جامعة من حوالي عشرين سنة كده.. ومن سنة ما اتخرجت وأنا بحاول اشتغل بس مكنتش بلاقي شغل بالمؤهل بتاعي.
قاطعه (أحمد سعد) في حسم..
ـ معلش يا (راضي) خلينا نقف عند النقطة دي علشان الموضوع دا مهم جدا لكتير من الشباب، مش شرط انك تشتغل بالمؤهل بتاعك، ومش كل اللي بيتخرجو من الكليات ولا المعاهد بيشتغلو في تخصصاتهم، ومبقاش ينفع نسمع كلمة المؤهل بتاعي دي، ولا رأيك إيه يا أستاذ (سعيد)؟
أومأت برأسي مؤيداً:
ـ طبعا.. وهو دا فكر إعادة التأهيل اللي إحنا بنتبناه في المؤسسات بتاعتنا.
قاطعني (راضي) وهو يقول في أسى:
ـ يا باشا أنا اشتغلت حاجات كتير.. اشتغلت في فرن و كاشير في محل ملابس و أمن في فندق وحاجات تانية بس مفيش شغل كان بيعمر معايا ومش بسببي حقيقي. أنا كنت بحاول اعمل زى المثل اللي بيقول إذا لم تعمل اللي بتحبه، حب اللي بتعمله ، بس معرفش ليه الشغل هو اللي مكانش بيحبني أبداً.
ابتسم (أحمد سعد) وهو يقول:
ـ كويس إنك حاولت، بس موضوع الشغل مش بيحبك دي جديدة شوية..إنما قولي.. أنا مكتوب قدامي أن عندك أربعين سنة، إنت

متجوز؟
ابتسم (راضي) في مرارة وهز رأسه نفياً:
ـ لأ يا باشا مش متجوز.
ـ طيب قولنا إيه طلبك اللي انت بعتت للبرنامج علشان نحققهولك؟
هز (راضي) كتفيه وهو يجيب:
ـ أنا مليش أحلام كتير.. كل اللي بطلبه وظيفة أقدر أعيش منها، وبعدين أخد شقة أتجوز وأعيش فيها زى مخاليق ربنا.
نظر لي (أحمد سعد) مبتسماً يدير دفة الحوار نحوى..
ـ يا ترى يا أستاذ (سعيد) نقدر نحل مشكلة (راضي) وموضوع الشغل اللي مش بيحبه دا؟ ونشوفله شغلانة يحبها وتحبه.
ابتسمت بدوري ثم قلت:
ـ أكيد، (راضي) ممكن يتوجه بكره الصبح على طول لمكتبي وأنا هحوله بنفسي لإدارة الموارد البشرية في الشركة عندي، وهما هيتولو عملية توفير فرصة عمل مناسبة لمؤهلاته أو إعادة تأهيله للعمل في إحدى شركات المجموعة، كمان لو أثبت كفاءة في الشغل هيقدر يحصل على شقة في مشروع الإسكان اللي بنعمله لمحدودي الدخل ونخصم أقساطها من مرتبه الشهري.
أشرقت عينا (راضي) بالسعادة وفتح فمه محاولاً أن يجد كلمات يقولها ويبدو أنه لم يجد فابتسم ابتسامته البلهاء من جديد وسكت..
فابتسم (أحمد سعد) وهو يقول:
ـ طيب كدا أستاذ (راضي) هياخد العنوان من الكنترول وهيروح بكرة الصبح وإدارة الموارد البشرية في شركة أستاذ (سعيد حسين) هتعرف تشوفله الشغل المناسب.. طبعا إحنا بنشكر أستاذ (سعيد) مرة تانية وبنقول مبروك مقدماً لأستاذ (راضي).
ـ الله يبارك فيكم.. ربنا يخليكم.
قالها بأنفاس مبهورة من فرط السعادة بينما بدا على (أحمد سعد)

لحظة من التركيز للصوت الذي يتكلم في سماعة الأذن الخاصة به.. وباحتراف شديد عاد ينظر للكاميرا ويبتسم متداركا الموقف وهو يقول:

ـ المخرج بيقولي دلوقتي إن فيه فقرة معانا مفاجأة والحقيقة إنها مفاجأة ليا أنا كمان.. إحنا معانا المرة دي على الهوا مش حالة من الحالات ولا أحد فاعلي الخير زى ما كنت متوقع.. لكن معانا ساحر من المغرب الشقيق.

ثم ضحك وكأنه يسخر من الفكرة متابعا:

ـ مشكلتنا ومشكلة العالم العربي كله تقريباً انه بيؤمن بالسحر اكتر من إيمانه بالعلم.. وكتير من المشاكل اللي بتجيلنا في البرنامج وخصوصا الحالات المرضية مبتفكرش في العلاج غير بعد ما يكونو راحو لساحر أو دجال وفى أحسن الأحوال بيكون محصلش تقدم للمرض لكن في معظم الأحوال بتكون الحالة اتدهورت كتير جدا.. طبعا أنا مش عارف الساحر دا هيعمل إيه بالظبط .. بس هو زى ما المخرج بيقولي دلوقتي هو ساحر مغربي وبيدعي قدرته على تغيير الأحوال.. يعني زي ما إحنا اسم البرنامج شقلب أحوالك هو كمان بيقول انه بيشقلب الأحوال بس بالسحر.. تعالو نخرج فاصل سريع ونرجع نشوف مع بعض موضوع الساحر دا إيه.. تابعونا بعد الفاصل.

يوميات راضي (٧):المشهد الثالث عشر

بعد الفاصل كان يجلس معنا ذلك الرجل المهيب بعباءته المغربية السوداء ولحيته الكبيرة التي تحول معظمها إلى اللون الرمادي..
لم يكن عجوزا إلى هذه الدرجة.. بل أعتقد أنه لم يتجاوز الستين من العمر.. إلا أن شيئاً ما في ملامحه كان يبعث على التوتر ويضفي رهبة على مظهره.. لم يكن (سعيد) يعير الأمر اهتماماً.. جالساً بهندامه المنمق ووقاره يضع ساقاً فوق ساق وقد بدا عليه التململ قليلاً ينتظر نهاية البرنامج في نفاذ صبر، وإن كان يحاول ألا يبدو عليه ذلك.. أما (أحمد سعد) فبدت على شفتيه تلك الابتسامة الساخرة الخبيثة التي لا تمكنك من اتهامه مباشرة بالسخرية أو نفي الصفة عنه.. أما أنا فلم يكن يعنيني ما سيحدث كثيراً، بل إنني سرحت في تمنياتي أن يأتي الغد سريعاً حتى تبدأ الأقدار في التبسم لي وأحصل على ذلك العمل بعد طول انتظار..

ـ معانا النهاردة الشيخ (أبو حمزة) من دولة (المغرب) بنرحب بيه.

قالها (أحمد سعد) فأومأ الرجل برأسه في هدوء دون أن يبتسم وهو يقول بصوته العميق بلغة عربية فصحى و بلهجة غريبة لابد أنها لغته المغربية:

ـ أهلاً بكم وأشكركم لاستضافتي في برنامجكم.

عاد (أحمد سعد) يقول موجهاً سؤاله للرجل:

ـ شيخ (أبو حمزة) سمعنا انك جاي بحلول جديدة للمشاكل. ممكن تقولنا انت بتعمل إيه بالظبط؟

ـ عملي هو مساعدة الناس على تحقيق أحلامهم وعلاج أمراضهم.

قالها الرجل في بساطة، بينما بدا الاستفزاز على وجه (سعيد) فاعتدل في جلسته وهو يقول في لهجة بها بعض الحدة:

ـ إزاي يعني بتعمل الكلام دا فهمنا.

نظر الرجل إلى (سعيد) دون أن يبدو على ملامحه أي اضطراب ثم عاد يقول في اقتضاب:
ـ إنها هبتي.
ابتسم (أحمد سعد) محاولا اجتذاب الكلمات من فم الشيخ..
ـ إحنا فاهمين إن الموضوع دا بيبقى هبة بس أكيد كل واحد له طريقة.. أنا كنت عايش في منطقة شعبية في السيدة زينب، وبرغم إني مشفتش بعيني بس أسمع يعني إن فيه ناس بتقول إنها بتعتمد على الجن مثلا في العلاج.. انت من أي طائفة في دول؟
ـ أنا أعتمد على القوى الكونية في العلاج.
قالها بنفس الاقتضاب، فصمت (أحمد سعد) لحظة وكأنه يعطيه فرصة للحديث قبل أن يقول مبتسماً:
ـ ممكن توضيح أكتر يا شيخ (أبو حمزة) علشان الناس تفهم؟
أومأ الشيخ برأسه متفهماً، ورفع عينيه المرعبتين للكاميرا، ولاحظت لون عينيه الغريب الذي يمزج بين البني والأخضر..
ـ حسناً.. الناس في هذه الدنيا كأقطاب المغناطيس وحظوظهم كمعادن تطفو في سديم كبير.
كان للرجل هيبة غريبة، وعلى الرغم من أنني لا أفهم نصف ما يقول، إلا أنني رأيت بعيني الكثير في حارتنا حيث أسكن، رجال يتلبسهم الجن وأعمال سحرية تتراشق بها النساء كيداً لبعضهن أو لأزواجهن.. وتوقف الرجل لحظة ربما ليبدو كلامه أكثر غموضاً، ثم عاد يقول:
ـ تلك الأقطاب التي نتحدث عنها منها ما يجذب الحظ الحسن ومنها ما يجذب الحظ السيئ.. أما ما أقوم به في العلاج هو تعديل تلك الأقطاب لتجتذب الحظوظ الحسنة فقط.. وبنفس تلك الطريقة يمكن شفاء الأمراض المستعصية إذا استطعنا أن نجتذب قوى الكون الموجبة ونطرد من الجسد ما هو سيء وخبيث.

نظر (أحمد سعد) للكاميرا وعلى شفتيه ابتسامة ذات مغزى..
ـ طبعا الكلام دا على مسئولية الشيخ (أبو حمزة).
ابتسم (سعيد) وهو يقول في تهكم واضح:
ـ الكلام دا بصراحة غريب جدا.. قوى كونية ومغناطيس ومش عارف إيه، حضرتك درست الكلام دا في جامعة إيه بالظبط؟
أحسست بقشعريرة تعتري جسدي عندما نظر له الشيخ دون أن تتغير تعبيرات وجهه وأكاد أجزم أنني رأيت ألوان عينيه تختفي لثانية فتبيض عيناه ثم تعود من جديد..
ـ قلت لك إنها هبتي.. وقد عالجت الكثيرين في مختلف دول العالم.
ابتسم (أحمد سعد) وهو يقول في سرعة:
ـ طيب دي فرصة بالنسبالنا النهاردة.. إحنا معانا حالة هنا لشاب ممكن نقول حظه قليل شوية.. يا ترى ممكن نعمل عليه تجربة لتغيير الأحوال يا شيخ (أبو حمزة)؟
أحسست بالذعر عندما نطق المذيع بتلك الكلمات.. بالتأكيد هو يمزح ويعتقد أن الأمر مجرد تسلية، ولكنني اعرف هؤلاء السحرة جيداً، فما زالت جارتنا (أم تحية) تنتابها حالات فزع في منتصف الليل وتقلق منام أهل الحارة بالصراخ والعويل نتيجة عمل من أحد هؤلاء السحرة، ولم يفلح أي من الشيوخ الذين جاءت بهم في تخليصها منه..
ـ لا أنا متشكر حضرتك.
قلتها في خوف، فبدت ابتسامة على وجه (سعيد)، وارتسمت ابتسامة ماكرة على وجه (أحمد سعد) لم يحاول إخفائها وقد رأى الرعب على ملامحي..
ـ ما تقلقش يا (راضي).. بالراحة عليه يا شيخ (أبو حمزة).
لم يتكلم الرجل وإنما أخرج كرة بلورية صغيرة من حقيبة تحت قدميه، ووضعها على المنضدة أمامه ثم بدأ ينظر فيها ويتمعن.. ثم

وضع يده اليسرى عليها وأمسك ساعدي بيده اليمنى وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة..

أحسست وقتها بقشعريرة تغمر كياني.. لا أدرى كيف أصف ذلك الشعور ولكنه كان كتيار كهربائي خفيف يمر بجسدي كله.. وقبل أن أصرخ فزعاً ترك الرجل يدي ثم نظر لي وابتسم ولمعت عيناه مختلطة الألوان..

ـ من الآن ستتغير أحوالك.

لم أعقب ولكنني ظللت انقل نظري بين الرجل وبين الكرة البلورية وقد بدا لي أنني أرى فيها خيالات تظهر وتختفي في لحظات.. لا أدري كم مر من الوقت وأنا على هذا الحال.. صامتاً لا أنبس ببنت شفة، كالواقع تحت تأثير مخدر قوي يشعر بكل شيء حوله، لكنه لا يقوى على الاستجابة..

يوميات سعيد (٧): المشهد الرابع عشر

لا بد أن هذا الرجل يتعاطى مخدرا ما..
أحسست بذلك منذ الوهلة الأولى لرؤية تلك الابتسامة البلهاء المرتسمة على وجهه و التي يحتفظ بها طوال الوقت، بالإضافة إلى ملابس المهرجين التي يرتديها..
يبدو لي أحيانا منطقيا في كلامه ثم سرعان ما يبدد أي شعور جيد نحوه وخاصة بعد اعتقاده في صدق ذلك الدجال ونظرة الهلع التي ارتسمت في عينيه عندما أوهمه بالسحر.. لابد أن أتذكر أن أبلغ المختصين في الشركة لدي كي يخضعوه لبعض الاختبارات النفسية قبل تعيينه في أي وظيفة..
كنا قد خرجنا من البث إلى فاصل قصير، بينما كان (راضي) لا يزال مسمراً في مكانه لا يتكلم وفى عينيه نظرة فارغة ثابتة حتى أنها أثارت قلقي للحظة.. وكان الدجال يبتسم في خبث وكأنه حقق انتصارا رأي العين، وعدل (أحمد سعد) نظارته للمرة المائة ونظر إلى (راضي) ثم إلى الدجال متسائلاً:
ـ خلاص كدا يعني يا شيخ (أبو حمزة)؟
أومأ الرجل برأسه بطريقة تمثيلية وكأنه خرج لتوه من أحد أفلام السحر القديمة:
ـ نعم.
ـ والمفروض نشوف إيه بقى علشان نعرف إن كلامك صحيح؟
سألته مستهزئاً فنظر لي (أبو حمزة) وقد أحمر وجهه غضبا وهو يقول اعتراضا على لهجتي الساخرة:
ـ كن أكثر تهذيباً في حديثك معي حتى لا أغضب.
قطبت حاجبي ونظرت له في تحدٍ مبادلاً إياه تلك النظرة الغاضبة وأنا أقول مستهزئاً من جديد:

ـ هتحولني لأرنب ولا إيه؟
ـ يمكنني أن أفعل الكثير.. أكثر مما يظن عقلك الصغير.
كانت نظرة الرعب تزداد على وجه (راضي)، بينما جلس (أحمد سعد) دون أن يتدخل وكأنه يستمتع بذلك الحوار..
ـ طيب ما تورينى حاجة، تعرف تطلع (جوز حمام) من كم العباية بتاعتك؟
ـ بل أعرف كيف أؤذيك إن أحببت أن تجرب.
قالها في غضب عارم، وتوترت الأجواء إلى أقصى درجة قبل أن يأتي صوت المخرج مرة أخرى ليخبرنا بأننا على سبيل العودة للبث.. وصمت الجميع بينما عاد (أحمد سعد) ليواجه الكاميرا ويبتسم قائلاً بلهجته المحببة للجمهور:
ـ رجعنالكم مرة تانية، بس للأسف وقت برنامجنا خلص فعلا ومش هنلحق نشوف نتائج التجربة دي.. و على أي حال إحنا لا مع، ولا ضد أي فكر.. إحنا بنعترف بالعلم، ولو فكرة اجتذاب الطاقة الكونية دي أمكن إثباتها فعلا بشكل علمي وعملي وطلع إن كل اللي محتاجينه كرة زى دي علشان نحقق الأحلام ونخلص الأمراض من الدنيا يبقى أهلا وسهلا.. عز الطلب. إيه اللي هيزعلنا يعني، ونقفل البرنامج ونشوف حاجة تانية.
قالها وضحك ثم وضع الأوراق التي في يده على المنضدة أمامه قبل أن ينظر لي..
ـ سعداء جدا بتشريف الأستاذ (سعيد حسين) رجل الأعمال الشهير، وبنشكره باسم كل الحالات اللي قدرنا نساعدها النهاردة.
ابتسمت في ود مصطنع وأنا أقول:
ـ شكرا يا أستاذ (أحمد)، سعدت بوجودي معاكم.
والتفت إلى (راضي) الذي كان ما زال مشدوهاً..
ـ وبنقول مبروك مقدما لأستاذ (راضي) على الوظيفة الجديدة.

اكتفى (راضي) بابتسامه خائفة صغيرة ولم يرد.. فالتفت المذيع إلى ذلك الدجال وهو يقول:
ـ وطبعا اتشرفنا بالشيخ (أبو حمزة) رجل الأعمال برضه بس من نوع تاني أكيد، وللأسف وقت البرنامج مسمحش إننا نشوف نتائج تجربته في العلاج بالقوى الكونية.
هز المدعو (أبو حمزة) رأسه محييا وهو ينطق ببعض كلمات الشكر بلهجته المغربية، بينما أستطرد (أحمد سعد):
ـ وسعداء بيكم أعزائنا المشاهدين وميعادنا يوم الأربع القادم في نفس الميعاد إن شاء الله مع برنامجكم شقلب أحوالك.. سلام عليكم.
جاء صوت المخرج يعلن انتهاء البرنامج، وفى لحظات انتشر العمال في كل مكان لفصل كشافات الإضاءة المحيطة بنا وجمع الأدوات، وقمت من مقعدي سعيداً كطالب أنهى يومه الدراسي وحان الوقت للعودة إلى المنزل.. فوقف (أحمد سعد) يصافحني في حرارة ويعتذر عن وقتي الثمين الذي منحته للبرنامج و.. قشعريرة غريبة مرت بجسدي عندما أمسك ذلك الكف اللزج بساعدي..
التفت لأجد ذلك الدجال يمسك بساعدي ويبتسم في برود وفى عينيه نظرة وكأنها نظرة تشفٍ وغل..
سحبت يدي في غلظة دون أن أتكلم بينما ظل هو محافظا على ابتسامته ونظرته الخبيثة وخرجت كلماته كأنها تأتى من أعماق سحيقة:
ـ أنت أيضاً.. من الآن ستتغير أحوالك..

يوميات راضي (٨):المشهد الخامس عشر

دا في المشمش لو حاجة اتغيرت..
هكذا حدثت نفسي وأنا أخرج من مبنى التليفزيون.. قد يكون هذا الساحر عبقرياً .. ربما.. لكنني أعرف جيداً أن حظي التعس أقوى من جميع سحرة العالم.. لقد جربت أمي رحمها الله أن تصنع لي "حجاباً" عند أحد الشيوخ في صغري اعتقاداً منها أن سوء أحوالي الصحية سببها عين الحسود، فوقعت أثناء عودتي من المدرسة وكسرت يدي في نفس اليوم وسرقت حقيبتي المدرسية وبها ذلك "الحجاب"..
وتذكرت نظرات (أبو حمزة) الغاضبة التي رمق بها (سعيد)، لقد أخافتني حقاً، أتمنى ألا يصيبه بمكروه ما قبل أن أحصل على وظيفتي عنده.. سوف أحرص على الذهاب إلى الشركة مبكرا لمقابلته، وليته يفي بما وعد فيعطيني وظيفة جيدة في إحدى شركاته، و حينها أستطيع أن أبدأ حياتي فأتزوج (سعدية) وأسعد بما تبقى لي من العمر..
كنت أحدث نفسي وأنا أخطو خارجاً من بوابة مبنى التليفزيون و لا أدرى ما هذا الزهو الذي أصابني، كنت أشعر وكأن الجميع ينظر لي في حسد لأنني كنت بداخل ذلك المبنى، وفى تؤدة وخطوات واثقة كأنني أحد النجوم سرت.. مستمتعاً للغاية ومتباطئاً وكأنني أريد أن ألتصق بالمكان لأكبر فترة ممكنة وأستمتع بذلك الشعور..
وبجانبي مر رجل فقير بائس الحال، يرتدى ملابس رثة و يتكئ على عصا صنعها من فرع شجرة هزيلة مثله، يستجدي الناس، ويحاول سؤال كل شخص يمر بجانبه في إصرار، وبصوت يائس إلى حد البكاء..
كنت قد عزمت على إعطائه بعض الجنيهات، فاليوم هو يومي

الأخير في الفقر ومن الغد ستبدأ رحلة جديدة من النجاح والمال إن صدق وعد أي من رجلي الأعمال اليوم..
ووقفت مكاني أنتظر المتسول كي يقبل ناحيتي ووضعت يدي في جيبي متأهباً لإخراج الجنيهات المعدنية..
واقترب الرجل فابتسمت مستشعراً ذلك الإحساس الذي يحاول الأغنياء الشعور به وهم يتفضلون على من هم أقل منهم حظاً، لابد أنه شعور رائع أن تكون ممن لا يحملون هم غدهم.. وأخرجت النقود من جيبي ونظرت إلى الرجل الذي وقف بجواري ينتظر أن يخرج أي شخص من مبنى التليفزيون حتى يستجديه دون أن يعيرني انتباهاً..
ـ إنت يا أخ.
قلتها وقد بدأت أغتاظ من ذلك التجاهل، كان المتسول وكأنه لا يرانى، والتفت لي عندما سمعني وعلى وجهه تلك النظرة المسكينة، التي سرعان ما تحولت إلى نظرة تفحص، ثم إلى نظرة غاضبة وأقبل نحوى وقد فرد ظهره الذي كان منحنياً منذ لحظات و أمسك بعصاه بقوة وهو يقول بحدة:
ـ عايز إيه يا عم انت.. دا مكاني روح شوفلك مكان تاني.
لم أفهم ما سر ذلك التحول الغريب ولا ما الذي يعنيه بقوله فسألته في تعجب:
ـ مكان تاني إيه مش فاهمك؟
عاد يقول بنفس اللهجة الغاضبة المتحدية وهو يضغط حروف كلماته ويخفض من صوته:
ـ المكان دا بتاعي، شوفلك مكان تاني استرزق فيه وما تقاوحش كتير.
ـ مكان أسترزق فيه يعني إيه؟
ـ انت شكلك لمض، ما تخلنيش أعورك.
قالها وهو يدفعني بيده في صدري، فتراجعت خطوتين إلى الوراء

في ذهول..
ـ إنت مجنون يا جدع إنت ولا إيه؟
ثم قفزت إلى ذهني تلك الفكرة التي كادت تجعلني أطبق على رقبته..
ـ إنت فاكرني؟.. بشحت !!
قال مستهزئاً وهو ينظر إلى ملابسي:
ـ امال جاي تعمل إيه هنا؟
ثم هدأت ملامحه بعض الشيء وهو يقول وكأنه أدرك شيئاً:
-اااه.. أنت كومبارس وبتعمل دور شحات يعني؟
قفز الدم إلى رأسي وقد كدت أنفجر غضبا وأنا أقول في ذهول:
ـ شحات!!
وأعدت الجنيهات إلى جيبي وقد تأهبت للرد على ذلك المتسول الوقح بما يستحق، وقبل أن أرد وقاحته بأسوأ منها تذكرت أنني هنا لأستجدي فعلاً، فما الفارق بين استجداء الناس في الطريق أو استجدائهم في برامج التليفزيون، إلا أنني لا أريد إحسانا من أحد سوى أن يتيح لي حقي في العمل والحياة، وأحسست بالحزن يستبدل تلك السعادة التي كانت في قلبي، ونظرت إليه في صمت وابتسمت في انكسار، قبل أن يرتفع صوت صافرة إحدى السيارات بشكل مبالغ فيه، تلاه صوت جلبة غير عادية على الجانب الأخر من الطريق جعل الجميع يلتفت إلى مصدر الصوت..
والتفت فإذا بكارثة مروعة تحدث أمامي..
و أمل جديد في الحياة لم يكد يظهر حتى أراه بعيني يختفي من الوجود..

يوميات سعيد (٨):المشهد السادس عشر

كنت أتمنى أن يختفي كل ما حولي في لحظة واحدة وقد مللت الأستوديو بكل هذه الأضواء والكاميرات، وهذه النوعيات من البشر..

أنا لا أكره الفقراء، أو ربما أدعى ذلك أمام نفسي حينما أحادثها، فاعترافي بكره الفقراء هو عنصرية تحسب على من هم مثلي، ولكنني على يقين أنني أكره طريقتهم في الحياة وعدم النظام الذي يسيطر على حياتهم ..

أكره بساطتهم المبالغ فيها إلى حد الإهمال، و إهمالهم الذي يعتقدون أنه بساطة..

كان العمال حولنا يغلقون الكاميرات والإضاءة ويحملون أدواتهم وكأنهم خلية نحل تعمل في نظام وسرعة، وكان طالب الوظيفة المدعو (راضي) قد أنصرف على أمل أن يأتي إلى شركتي في الصباح ليحصل على الوظيفة والمال كما يظن مقابل مظهره السيئ وثقافته الضحلة..

كذلك أنصرف الدجال الذي يظن أن ألاعيبه الحمقاء سوف تخيفني أو تزعزع ثقتي، ولكن لست أنا من يسقط أو يسمح لنفسه بالسقوط في ذلك الفخ.. فأنا أدرى الناس بألاعيب هؤلاء المشعوذين الذين يمتلئ بهم عالم الأعمال، بل أعرف شخصيات بعينها من بعض كبار رجال الاقتصاد لا يتخذ أحدهم قراراً استثمارياً إلا بعد استشارة واحدا من هؤلاء والتأكد من مواقع النجوم وكل هذه الترهات التي لا أومن بها ولا أصدقها..

وأصر (أحمد سعد) على مرافقتي حتى الخروج من مبنى التليفزيون.. وعند بوابة المبنى مد يده مصافحاً وهو يقول في امتنان شديد:

ـ أنا عاجز عن الشكر يا (سعيد) بيه.. حضرتك شرفتنا النهاردة وأسعدت ناس كتير.
ابتسمت مجاملاً وأنا أقول:
ـ الشرف ليا يا أستاذ (أحمد) دا واجب على أي واحد بيحب البلد انه يشارك في الإصلاح بالطريقة اللي يقدر عليها.
كان الكلام هو عادتي اليومية في عشرات الاجتماعات والمقابلات، حتى أنني لم أعد أفكر في رد لكل حوار بل أصبحت الجمل محفوظة ومكررة.. يجب أن أتذكر إضافة بعض التعديلات لاحقا، لا بأس من بعض الإبداع..
ـ عموما نتمنى نشوف حضرتك مرة تانية في البرنامج.
أومأت برأسي مؤكداً وأنا أقول:
ـ أكيد يا (أحمد) بيه، لازم يحصل وعن قريب جداً.
قطع حوارنا جرس هاتفي المحمول، فشددت على يد (أحمد سعد) مرة أخرى بالتحية واتجهت إلى البوابات ووقفت لحظات كي أجيب على الهاتف، كان الرقم المتصل لمدير أحد أكبر مصانعي..
ـ أيوه يا (مراون).
جاءني صوته عبر الهاتف وهو يقول في فزع:
ـ أنا أسف يا فندم، بس فيه كارثة.. المصنع بيتحرق.
أجبت في عدم تصديق وقد اعتراني بعض الذهول:
ـ بيتحرق يعني إيه؟ حصل إيه؟
أتاني صوته يحمل نفس الفزع وهو يحاول التبرير:
ـ والله ما عارف يا (سعيد) بيه، أحنا فجأة لقينا النار في كل مكان.. أكيد ماس كهربائي.
قلت في غضب وأنا أهتف حتى يسمعني بسبب الضوضاء بالطريق:
ـ ما تعرفش؟ أمال مدير مصنع إيه وزفت إيه؟ أنا هخرب بيوتكم كلكم.

ـ يا فندم زى ما بقول لحضرتك محدش يعرف إزاي حصل دا رغم كل أنظمة الأمان في المصنع.. دي زى ما تكون عفاريت ولعت في المكان في لحظة.
قاطعته في ثورة عارمة:
ـ بس بلاش كلام فارغ، بلغتوا المطافي ولا لسه؟
ـ حضرتك المطافي جت و الدنيا تحت مقلوبة بيحاولوا يسيطروا بس الحريق كبير أوى للأسف.
ـ أقفل، أنا جاي حالاً أشوف المصيبة دي.
قلتها وأغلقت الخط وأسرعت أتصل بسائقي..
ـ إنت فين يا (مرعى)؟
ـ أنا راكن على الرصيف الناحية التانية يا (سعيد) بيه، هلف لحضرتك حالاً.
قلت في سرعة وقد بدأ عقلي ينسج السيناريوهات بخصوص حريق المصنع وحجم الخسائر التي ستحدث إن لم نتمكن من الوفاء بالتزاماتنا تجاه العملاء:
ـ لا خليك عندك مفيش وقت، أنا هعدي الشارع.
أغلقت الخط ووضعت الهاتف في جيبي وأسرعت أعبر الطريق..
كانت السيارات تسير في سرعة وصوت قوى لصافرة سيارة اخترق أذني، فالتفت لأنظر إلى مصدر الصوت..
كانت سيارة (ميكروباص) متهالكة تنطلق محاولة تجاوز السيارات الأخرى، ويطلق سائقها صافرته كي يفسح له الجميع الطريق، إلا أنه أصطدم بالرصيف و فقد السيطرة على مقود سيارته ورأيت السيارة تقفز نحوى في إصرار..
ولم يعد بينها وبين الاصطدام بي إلا ثوان معدودة..
وذكريات عديدة من حياتي مرت بخاطري في أجزاء من الثانية..
هل حقاً سمعت أحدهم يقول إن المقبل على الموت يرى شريط حياته كله في لحظات؟
وما كل هذه الأشياء التي رأيتها تظهر أمام عيني لتخيفني من الموت للمرة الأولى في حياتي..

يوميات راضي (٩):المشهد السابع عشر

في مجرد ثوان معدودة اختفت كل أحلامي..
كان (سعيد) ملقى على الأرض مضرجاً في دمائه وقد اجتمع حوله عدد كبير من البشر، وتوقف المرور وقد ارتطمت سيارة (الميكروباص) بإحدى السيارات الملاكي فهشمت جانبها تماماً بعد أن أطاحت به في وسط الطريق..
أسرعت إلى وسط الزحام أحاول الوصول إليه للاطمئنان إن كان ما زال حياً وأنا أهتف في الواقفين أن يطلب احدهم الإسعاف..
ويبدو أن سائقه كان متواجداً في المكان فأسرع إليه يبعد الناس من حوله ويتصل مذعوراً بشخص ما كي يطلب الإسعاف.. وأقترب مجموعة من الشباب يريدون حمله بعيداً عن الطريق فمنعهم شخص آخر من تحريكه حتى لا يصاب بأضرار مبالغة إن كان هناك ضرر في عموده الفقري كما قال..
كان الهرج شديداً حول (سعيد)، يريد البعض أن يشاهد الشخص المسجى على الأرض، ولا أدرى لماذا يعشق البعض التجمع حول الحوادث دائما يريدون المشاهدة حتى أنهم يمنعون بتكدسهم أحيانا إنقاذ المصاب، و أمسك آخرون سائق (الميكروباص) يضربونه في عنف ولا أدرى لماذا يعشق البعض أيضا المشاركة بتلك الصورة وكأنهم ينتظرون تلك اللحظة لتفريغ طاقة غضب مخزون وجدوا لها متنفساً، وقد أقبل بعض أفراد الشرطة من أمام مبنى التليفزيون لمحاولة السيطرة على تلك الفوضى العارمة..
اقترب مني رجل يبدو في منتصف أعوامه الخمسين يحمل في يده قرطاساً ورقياً من (الترمس) ويلوك في فمه بعضاً منه، يحاول أن ينظر إلى المصاب الملقى أرضاً فلا يصل إليه من كثرة التزاحم حوله..

ـ هو مات ولا لسه عايش؟
وجه السؤال وهو يضع بعض حبات (الترمس) في فمه مستمتعاً وكأنه يشاهد مباراة دون أن ينظر لي، فنظرت إليه وأنا أقول في نبرة بائسة:
ـ مش عارف.. ربنا يستر؟
إلتفت نحوي وهو يقول وكأنه فوجئ بإجابتي:
ـ هو قريبك ولا إيه؟
هززت رأسي نفياً وأنا أقول:
ـ لا !
عاد ليضع بعض حبات أخرى في فمه وهو يقول متعجباً:
ـ امال مالك زعلان كدا ليه؟
ـ يا سيدي راجل واتصاب في حادثة، طبيعي إنها حاجة تزعل.
أخذ نفسأ عميقا وقد تذكر شيئاً فعاد يقول:
ـ هو إنت شفت حوادث؟ دا من أسبوع في نفس المكان دا كان فيه حتة حادثة.. خمس عربيات دخلوا في بعض..
قاطعته قبل أن يسترسل في الحديث:
ـ خلاص يا سيدي.
ـ بس أصل شكلك زعلان برضه.. دا إنت لو شفت الناس جرالها إيه جوه العربيات..
عدت لأقاطعه من جديد في نفاذ صبر:
ـ خلاص مش زعلان يا عم.. تحب أرقص دلوقتي؟
أطلق ضحكه مجلجلة لا تناسب الموقف إطلاقا وهو يقول:
ـ الله يحظك يا أخي.. حلوة ترقص دي.
ـ يا سيدي لا حلوة ولا وحشة. خليني في حالي.
ـ تاخد شوية ترمس؟
قالها في بساطه فهززت رأسي نفيا وأنا أقول:

ـ لا مش عايز شكرا.
وتركته مبتعدا بعض الخطوات في حين علا صوت سرينة سيارة الإسعاف من بعيد، وسط زحام السيارات..
عاد الرجل ليقترب وهو يقول:
ـ تفتكر لو عايش هيلحق يوصل المستشفى؟
ضغطت على أسناني في غضب وأنا أجيب:
ـ إن شاء الله.
ـ والله ما عارف هنعمل إيه في زحمة البلد دي.. يعني أنا بقالي ساعة واقف مستني الأتوبيس ولسه ما جاش.. تخيل كل يوم كدا.
لم أعقب على كلامه وقد أقبلت سيارة الإسعاف وأسرع المسعفون لحمل (سعيد) على النقالة ووضعه داخل السيارة، فهرولت إلى السائق قبل أن يتحرك وتبعنى ذلك الرجل صاحب (الترمس)..
ـ مساء الفل يا أسطى.
قالها الرجل للسائق وهو يمد له يده ببعض (الترمس) فنظر لنا في امتعاض، وهو يقول وكأنه يبصق الكلمة من فمه:
ـ نعم..
حاولت أن ألطف الأمر معه في الحديث فابتسمت في هدوء وأنا أقول:
ـ مالك بس يا أسطى؟
قال في غيظ:
ـ مالي إيه بس؟ حوادث طول النهار وزحمة وقرف وجاي يقولي مساء الفل؟
أطلق الرجل ضحكته المجلجلة من جديد وهو يقول:
ـ الله يحظك يا أسطى.. والله عندك حق، بس هقولك إيه طيب بس؟
صرخ السائق في وجهه قائلا:
ـ ما تقولش حاجة أصلا.. إنت عايز إيه؟

أخرجت سيجارة من جيبي وأعطيتها إياه، فأخذها منى ووضعها في جيبه في صمت فعدت أقول:
ـ إنت تبع مستشفى إيه؟
لم تختفي تلك النظرة من وجهه على الرغم من تضحيتي وإعطائي إياه لأخر سيجارة معي وهو يخبرني بإسم المستشفى، بينما مضغ صاحب (الترمس) أخر حبات في كيسه الورقي ثم ألقاه على الأرض وهو يقول:
ـ ورايحين على هناك دلوقتي؟
رد السائق في غيظ وهو يضرب بيده على المقود في نفاذ صبر:
ـ يارب الصبر.. لا رايحين على بلطيم.
عاد الرجل يضحك من جديد بينما كان المسعفون قد انتهوا من مهمة وضع (سعيد) بداخل السيارة، وطلبوا من السائق أن ينطلق، فأشار لنا أن نبتعد كي يقوم بمهام وظيفته، وأدار محرك السيارة وأطلق سرينته ثم تحرك مبتعداً في سرعة، معلنا انتهاء الحفل وانصراف المشاهدين عن الطريق، وبدء مأساة جديدة في حياتي..

يوميات سعيد (٩):المشهد الثامن عشر

هل انتهى الحفل؟
هل هي نهاية رحلتي في الحياة؟
أرى أضواء مبهرة حولي في كل مكان.. وجسدي كأنه يطفو على الهواء..
لا أرى نفسي كما كانوا يذكرون في تجارب الموت والعودة..
لا أرى نفسي مسجى والناس حولي يبكون، ولا أرى جسدي وحوله الجراحون يعلنون أنه قد انتهى أجلي على الأرض..
ولا أرى ملائكة تأتى لتأخذني إلى الحساب...
بل أنا فقط وسط أضواء شديدة تعمي بصري تأتي من كل مكان..
لكنني أشعر بخفة جسدي، هل أستطيع الارتفاع عن الأرض والطيران!..أترك الحرية لجسدي فيرتفع عن الأرض وكأنني خارج الجاذبية الأرضية فينتابني الخوف من الضياع وأحاول إعادة جسدي إلى الأرض ولكن لا جاذبية على الإطلاق..
أرى وجوهاً كثيرة تظهر من حولي، أتلفت في سرعة أبحث بينهم عن شخص أعرفه فلا أجد.. وجوه مبتسمة ووجوه غاضبة ووجوه حزينة.. لكنني لا أعرف منهم أحداً على الإطلاق.. أو ربما لا أذكر أحداً..
كيف لا أذكر منهم أي شخص.. سوف أسأل إن كانوا يعرفونني..
ولكن.. من أنا !!
أنا لا أذكر شيئاً على الإطلاق..
لا أعرف من أنا..

يوميات راضي (١٠):المشهد التاسع عشر

ـ على جنب يا أسطى.
قلتها لسائق الميكروباص، وقد بدت أمامي بوابة المستشفى وسيارات الإسعاف الواقفة أمامها على الجانب الآخر من الطريق..
إلا أن السائق لم يسمعني أو تجاهلني كعادة سائقي الميكروباص..
ـ على جنب يا أسطى لو سمحت.
عدت أرفع صوتي قدر الإمكان، ويبدوا انه تنبه هذه المرة لما أقول فضغط دواسة الفرامل فجأة لتتوقف السيارة فوراً في منتصف الطريق، ووجدتني أرتفع عن مقعدي حتى كدت أقفز فوق كتف الرجل الجالس أمامي، بينما انطلقت كلاكسات السيارات حولنا وقد أوشكت على الاصطدام بالميكروباص من أثر التوقف المفاجئ..
خرجت من السيارة وأنطلق السائق حتى قبل أن أغلق الباب خلفي، وسط سباب وكلاكسات سائقي السيارات، واتجهت إلى بوابة المستشفى بخطوات مسرعة متجهاً إلى مكتب الاستقبال..
ـ مساء الخير.
لابد أنني قطعت حواراً بين الفتاتين الواقفتين خلف مكتب الاستقبال، إذ نظرت لي أحداهما بطرف عينيها في ضيق وهى تتشدق بقطعة من اللبان، قبل أن تقول:
ـ مساء الخير يا أستاذ.
ـ من فضلك فيه واحد جه في حادثة دلوقتي كنت عايز اطمن على أخباره.
نظرت في الكشف أمامها في روتينية ثم نفخت في الهواء لتصنع بالونة من قطعه العلك في فمها لتتركها تنفجر أمام شفتيها ثم تقول:
ـ إسمه إيه؟
قلت في لهفة وقد بدأ قلبي في الخفقان السريع:

ـ (سعيد حسين).
قلبت بصرها في الكشف لحظات سريعة قبل أن تومئ برأسها قائلة:
ـ لسه طالع من الطوارئ حالاً.
ـ طيب هو فين؟
أشارت إلى ممرضة قصيرة سمينة تضع يدها في جيبها وتسير متبخترة في ممر المستشفى، ثم قالت:
ـ اسأل (مس هناء) هناك أهيه.
شكرتها فلم تعيرني إنتباها ملتفتة إلى زميلتها لتستكمل نقاشاً ما، بينما أسرعت إلى المرأة السمينة وأنا أقول محاولاً الابتسام في تملق:
ـ مس هناء؟
التفتت لي دون أن تبتسم وهى تقول:
ـ أيوه.
ـ كنت حضرتك عايز أطمن على حالة واحد إسمه (سعيد حسين) وصل هنا في حادثة.
نظرت المرأة إلى ملابسي، ويبدو أنها تعجبت من الصلة بيني وبين (سعيد) وهى تقول:
ـ هو كويس.. دي كلها كدمات سطحية..
ـ بجد؟
قلتها في سعادة وأنا أخرج الجنيهات التي في جيبي وأضعها في يدها، فنظرت للجنيهات المعدنية في استهانة مصحوبة بالتعجب، ثم وضعتها في جيبها وهى تقول:
ـ آه بجد.
عدت أقول في لهفة:
ـ طيب هو أنا ممكن أشوفه؟
كادت أن تقول شيئاً ثم تراجعت ويبدو أن قلبها رق للهفتي، فعادت

تقول:
ـ إنت بتشتغل عنده؟
ـ تقريباً كدا.. ولو الراجل دا جراله حاجة أنا مستقبلي هيضيع.
ابتسمت وهى تقول في رقة لا تناسب مظهرها:
ـ شكلك غلبان زى حالاتنا، بص هو في الدور الرابع، غرفه ٤٠٥، بس أنا مقلتش حاجة علشان أهله اتصلوا بالمستشفى ومانعين الزيارة لغاية ما ينقلوه لمستشفى تانية.. شكلهم ناس أغنياء أوي.
شكرتها في حرارة، فابتسمت ساخرة وهى تقول:
ـ ما تقلقش أوي كدا. دا زى القطط بسبع أرواح.
ابتسمت لها مجاملاً وأنا أكرر شكري، ثم انطلقت أصعد السلالم أبحث عن الغرفة محاولاً ألا ألفت انتباه العاملين في المستشفى. أربعة أدوار صعدتها على السلالم في سرعة لا تناسب لياقتي.. وفى الممر وقفت أنظر حولي، لم يكن يوجد أي شخص على الإطلاق، سوى صرصور يسير على الحائط في حرية يبحث عن شيء ما.. لابد أن نقل رجل مثل (سعيد) إلى هذه المستشفى لم يكن إلا اضطراراً لأنها الأقرب لموقع الحادث، ولابد أنهم سينقلونه إلى إحدى مستشفياتهم الراقية التي تشبه الفنادق الفخمة بمجرد وصولهم..
اقتربت من باب الغرفة وهممت بأن أفتح الباب، عندما سمعت صوت امرأة من الداخل..
ـ أنا مقدرش أعمل كدا، أروح في داهية.
أصغيت السمع واقتربت أكثر من الباب..
ـ لو معملتيش كدا، ألف ممرضة غيرك هتعمل اللي إحنا عايزينه ولو فتحتي بقك هتحصليه. مش هينوبك غير إن الفلوس هتروح عليكي، أنا قلت إنتي أولى برضه ولا إيه؟
كان صوتاً قاسيا لرجل يحمل نبرة تهديد مخيفة، بينما عادت المرأة

ترد بصوت مذعور:
ـ دي مسئولية يا دكتور ولما يموت في المستشفى أهله مش هيسكتوا، وهيتفتح تحقيق و سين وجيم وأكيد ممكن نتسأل في الموضوع، وأنا مش حمل بهدلة.
ـ الراجل جاي في حادثة مخبوط بعربية.. عادى إن العربية تكون مكسرتش عضمه لكن ممكن يموت بهبوط في الدورة الدموية.. وبعدين ما تقلقيش من موضوع أهله دا.
قالها بطريقة ذات مغزى فقالت المرأة في تعجب:
ـ هما اللي عايزين يموتوه؟
ـ الدنيا ما بقاش فيها أمان خلاص.
صمتت المرأة ولم ترد للحظات وظننت أن أحدهما قد يفتح الباب فابتعدت خطوة في سرعة خشية أن يروني، ولكنني سمعت صوت المرأة تقول:
ـ هو الراجل دا ممثل؟ أنا الشكل دا شفته قبل كدا بس مش فاكرة فين !
عاد صوت الرجل ليكتسي بالقسوة من جديد:
ـ مش شغلك.. إنتي تعملي المطلوب منك وتاخدي فلوسك وخلاص من غير كلام كتير.
ـ انت قلتلي هيدفعوا كام؟
ـ مبلغ عمرك أنتي ولا أهلك ممكن تحلموا بيه.. خمسين ألف جنيه.. بس العملية تخلص بسرعة ومن غير دوشة..
بدا أن المبلغ لعب بعقلها فقالت وقد تبدلت لهجتها الخائفة لتتحول إلى الجشع:
ـ هو المبلغ دا يخلى الواحدة تفكر تقتل جوزها علشانه.. بس أنا هاخد الفلوس كاش.
أجاب الرجل مؤكداً وقد أطمأن أنها استجابت للعرض:

ـ أول ما تنفذي.
قالت في لهفة:
ـ خلاص أنا موافقة.. عايزني أديله الحقنة دلوقتي؟
قال في حسم وهو يضغط على كلماته مؤكداً:
ـ لا.. أستني نص ساعة لماورديتي تخلص وأمشي، إنتي هتاخدي فلوس علشان ما يموتش في الوردية بتاعتي.
ـ ما تقلقش يا دكتور ماشي.
ـ خلاص هستناكي في القهوة اللي قدام المستشفى، تجيبي الخبر، تستلمي فلوسك، ودا عربون.
بدا أنه أعطاها مبلغا كبيراً إذ شهقت في سعادة وهي تقول:
ـ أيوه كدا.
عاد الرجل يقول في صوت يحمل نبرة تهديد:
ـ لو غلطتي أي غلطة أنا معرفكيش، ولو قلتي أي حاجة أنا وانتي هنضيع، إنتي مش عارفة إحنا بتعامل مع مين.
ـ خلاص يا دكتور أعتبر الموضوع حصل، وما تقلقش.
وبدت أصوات أقدامهما تقترب من باب الغرفة فأسرعت أبتعد متجهاً إلى السلم أحاول هبوط الدرجات في خفة قبل أن يراني أحد لأختبئ خلف أحد الأعمدة..
كان الأمر أخطر مما توقعت وكان علي أن أتخذ قراراً، سواء بإنقاذ الرجل وإنقاذ مستقبلي معه وربما في ذات الوقت تعريض حياتي للخطر، أو الاكتفاء بالتخلي عنه ليواجه مصيره أياً كان والعودة كما كنت من جديد..

يوميات سعيد (١٠):المشهد العشرون

أفقت فزعاً على هزات متوالية، وفتحت عيني لأجد نفسي مستلقياً على سرير صغير في مكان ما وأمامي رجل غريب يشبه الأشباح في أفلام الرعب يحاول إيقاظي..

كان الألم يعصف بجسدي كله، حتى أنني عجزت عن رفع رأسي لأدافع عن نفسي.. ففركت عيني محاولاً التمسك بأمل أنني مازلت نائما أحلم، ثم عدت لأفتح عيني من جديد.. أين أنا، وما هذا المكان الغريب؟

وعدت أنظر للرجل وقد بدأت الصورة الضبابية أمام عيني تتضح تدريجياً.. كان ما زال واقفاً ينظر لي وكأنه شبح مذعور، ويتحدث في سرعة يحاول أن يخبرني بشيء ما، إلا أنني لم أفهم كلمة واحدة مما يقول..

لم يكن عقلي قد بدأ يعمل بعد ليترجم لي ما يدور.. كل ما كنت أشعر به في تلك اللحظات هو الدوار والألم في كل جزء من جسدي..

وعندما عاد الرجل ليهتف في ذعر من جديد حاولت أن أستجمع كل قواي كي أسمع ما يحاول أن يخبرني به..

ـ لازم نمشي من هنا بسرعة.. فوق أرجوك.

ـ إنت مين؟

خرج صوتي واهنا متحشرجاً وأنا مازلت لا أقوى على الحديث أو الحركة، فنظر لي الشبح في تعجب ثم قال:

ـ أنا (راضي).

هززت رأسي في عدم فهم وقد بلغ بي الألم منتهاه:

ـ راضي إزاي؟

ـ أنا (راضي) يا باشا اللي كنت معاك من شوية في التليفزيون.

لم أكن أعي ما الذي يتحدث عنه رغم محاولاتي لاستيعاب الأمر..

ـ تليفزيون إيه؟ .. هو أنا مين أصلا؟
كانت الصورة تتضح أمام عيني أكثر إلا أنها تتضح لتصبح أكثر رعباً وكآبة.. لم أكن أعرف من أنا ولا أذكر أي شيء على الإطلاق.. ونظر لي الرجل في ذهول قبل أن يسأل في عدم تصديق:
ـ مش فاكر حاجة يعني إيه؟
ـ مش عارف.. أنا مش فاكر أسمي إيه ولا أنا مين.. يا نهار أسود.
قلتها في فزع وأنا أعيد رأسي للفراش من جديد وأغمض عيني، فعاد الرجل يمسك بيدي وهو يقول في توتر:
ـ شكلك متلخبط من الحادثة، بس أنا سمعت ناس بتقول إنها عايزة تقتلك، إنت لازم تكلم حد يجيلك بسرعة.
نظرت إليه في رعب:
ـ حادثة إيه؟ وناس عايزة تقتلني ليه؟
قال وهو ينظر إلى باب الغرفة في توتر:
ـ كلم حد الأول ياخدك من هنا أبوس إيدك وبعدين أفهمك، بقلك فيه ناس عايزة تقتلك.
أومأت برأسي مؤيداً كلامه:
ـ ماشي.. أنا لازم اكلم حد الأول وبعدين أفهم انت بتقول إيه.
ونظرت حولي أبحث عن شيء ما..
ـ أنا كان معايا تليفون محمول؟
ـ أكيد.. دا إنت كان معاك سنترال تليفونات.
قلت متسائلاً:
ـ طيب وفين السنترال دا؟
هز كتفيه وهو ينقل بصره بيني وبين باب الغرفة مجيباً بذات التوتر:
ـ أنا أعرف منين يعني، تلاقيها اتسرقت منك.. خد تليفوني أهو.
قالها ومد يده بهاتف محمول عتيق فأمسكت به وهممت بوضع أصابعي على الأزرار قبل أن أتوقف وأنظر إليه من جديد في حيرة:

ـ أكلم مين؟
ـ أنا اللي هعرف؟
ـ ما أنا بقلك مش فاكر أي حد ولا أي حاجة.
ـ يا نهار أسود.. إنت بتتكلم جد؟
ـ هو إنت فاكرني كل دا بهزر معاك؟
فكر الرجل لحظة قبل أن ننتبه إلى صوت يأتي من الخارج، فأشار لي أن أتمدد في فراشي كما كنت وأدعي النوم، بينما أسرع هو ليختفي خلف الساتر الموجود في طرف الغرفة..
أغمضت عيني محاولاً ألا أصدر أي حركة، ثم أتاني صوت الباب يفتح في هدوء وصوت أقدام تحتك بالأرض تقترب مني.. ثم جرس تليفون محمول يتلوه صوت نسائي خفيض..
"ألو.. ما تقلقش يا دكتور، أنا خلاص عنده في الأوضة، هديله الحقنة اللي أخدتها منك، بس إنت متأكد إنها هتخلص عليه من غير ما حد يكتشف حاجة؟ حاضر خلاص هكلمك أول ما أخلص واخرج من المستشفى"
خفق قلبي في عنف وقد بدا أن الأمر قد أصبح وشيكاً للغاية..
وبينما يعمل عقلي لمحاولة التفكير في تصرف ما سمعت طرقة سريعة على باب الغرفة تلاها صوت صرير باب الحجرة، ففتحت عيني وكأنني استيقظت للتو، ورأيت تلك الممرضة القصيرة تقف أمامي ممسكة بمحقن طبي، وقد بدا عليها التوتر، بينما دخل الحجرة طبيب شاب، ابتسم عندما رآني وأقبل نحوي في سعادة:
ـ حمد لله على السلامة يا (سعيد) بيه.
بقيت صامتاً بينما نظر الطبيب إلى الممرضة متسائلاً:
ـ حقنة إيه دي؟
ابتسمت في افتعال وقد بدا أنه أفسد عليها خطتها، قبل أن تقول في توتر:

ـ دي حقنة المضاد الحيوي يا دكتور.
نظر في كشف المتابعة المعلق على طرف سريري وهو يقول في لهجة لائمة:
ـ مش معادها دلوقتي، ابقي راجعي المواعيد كويس.
أومأت الممرضة برأسه مطيعة، فعاد الطبيب ينظر لي وهو يقول:
ـ إنت كويس زي الفل أهو ما شاء الله.
ـ الحمد لله.
عاد يبتسم وهو ينظر في عيني فاحصاً، بينما كنت أفكر في سرعة ولكنني لا أجد أفكاراً في رأسي..
ـ أنا مش فاكر حاجة خالص يا دكتور.
قلتها في خوف بينما قطب الطبيب حاجبيه وهو ينظر لي في عدم فهم:
ـ مش فاكر ايه؟
ـ كل حاجة.. أنا مش فاكر اسمي حتى.
قلتها في عصبية واهنة فأشار الرجل لي بيده أن أهدأ وهو يقول:
ـ ما تقلقش دي غالباً حالة نفسية من الصدمة وهتروح، ارتاح وأنا هرجعلك تاني..
ثم نظر إلى الممرضة وهو يقول:
ـ إديله حقنة مهدئة وأنا هنزل أشوف دكتور (وصفي)..
ـ أنا مش عايز حقنة مهدئة..
عدت أهتف في غضب، فأشار للممرضة التي أومأت برأسها مطيعة وخرج مسرعاً.. فأسرعت المرأة تخرج المحقن من جيبها وتقترب مني.. لم أكن أقوى على الحركة ولكنني رفعت يدي كي أبدأ المقاومة من أجل تلك الحياة التي لا أتذكرها، عندما سمعت صوت صرخة أنثوية مكتومة تلاه صوت ارتطام على الأرض، ونظرت لأجد ذلك الرجل الذي أخبرني أن أسمه (راضي) يقف أمامي والممرضة ملقاة

على الأرض بجوار فراشي، ثم أسرع يخلع الجاكيت الذي يرتديه ومده إلي وهو يقول:

ـ خد إلبس دا.

مددت يدي فأمسكت بالجاكيت ثم وضعته على الفراش وهممت بالقيام من مكاني فخانني توازني، فأسرع ليفصل عني خراطيم المحاليل المتصلة بجسدي، ثم أمسك بكتفي مساعداً إياي على الوقوف..

ـ يلا.. خليني أخرجك من هنا.

ارتديت الجاكيت، بينما أسرع هو إلى باب الغرفة وفتحه في هدوء ليلقي نظرة إلى الخارج يتأكد أن لا أحد هناك، ثم أشار لي أن أتبعه وهو يقول في صوت خفيض:

ـ حاول تمشي عادي.. محدش هنا في المستشفى حاسس بحاجة.. هنخرج من هنا على الشارع اللي ورا.

أومأت برأسي الملفوف بالضمادات وأنا أقول:

ـ ماشي وبعدين.

ـ لما نخرج نبقى نشوف. وبعدين في المصيبة اللي إحنا فيها دي.

ـ ماشي.

وعاد لينظر إلى الخارج من جديد، ثم خطا خارجاً من الغرفة وهو يسير على أطراف أصابعه في هدوء، ثم أشار لي أن أتبعه لنجتاز درجات السلم إلى الطريق الخلفي خارج المستشفى..

يوميات راضي (١١):المشهد الواحد والعشرون

خارج المستشفى وقفنا لحظات نلتقط أنفاسنا.. كان (سعيد) مشوش الشعر والفكر، يرتدي الجاكيت الخاص بي ويقف ناظراً لي في عدم فهم وفي عينيه تدور العديد من التساؤلات.. لم يكن يذكر من هو حقاً.. وكارثة هي إن لم يتذكر وأحصل على ما وعدني به..

نظر لي في تعب وهو يكاد يسقط من الإجهاد ثم قال:

ـ هنعمل إيه دلوقتي؟.. أنا مش قادر.

ـ أول حاجة هنعملها إننا نبعد عن هنا شوية؟

أومأ برأسه موافقاً فطلبت منه أن يستند على كتفي، فمد يده ليضعها مستنداً على كتفي بينما أخذنا نبتعد في إصرار.. ونظرت إلى الخدوش في وجهه ورأسه الملفوف بالضمادات قبل أن أقول:

ـ قولي يا (سعيد)..

ـ (سعيد) مين ؟

ـ إنت اسمك (سعيد).

وقف فجأة وكأنه وجد ضالته ونظر لي وهو يقول بعينيه المحمرتين من التعب:

ـ إنت تعرف اسمي؟

ـ آه طبعا.. مش بقلك كنا مع بعض بنصور في التليفزيون من شوية.

قلتها وأنا أواصل السير فعاد يستكمل طريقه ورائي ويسأل في إنهاك:

ـ طيب أنا مين، وإيه اللي بيحصل؟

ـ هقولك اللي أعرفه بس أصبر لما نشوف هنروح فين.

عاد يقول وكأنه يحاول ربط الأشياء ببعضها ليصل إلى أي شيء له معنى:

ـ إحنا كنا بنصور؟ هو إحنا ممثلين؟
ـ ممثلين؟
قلتها في تعجب وأنا مازلت لا أصدق كيف يفقد رجل كل معلوماته عن نفسه حتى. وعلى الرغم من إشفاقي على حالته، إلا أنني كنت في حيرة أكبر من حيرته، وكنت أتمنى أن يصمت عن الحديث قليلاً حتى أفكر ما الذي يمكن أن نفعله في تلك الكارثة التي حدثت ..
ـ آه إحنا ممثلين.
ـ مشهورين يعني؟
كنت أتمنى أن يصمت الآن بأي شكل، فرأسي تكاد تنفجر من التفكير ومن الورطة التي أوقعت نفسي فيها بكامل إرادتي..
ـ إحنا ممثلين.. بس ممثلين كومبارس.
نظر إلى الجاكيت الذي يرتديه ثم قال في استسلام:
ـ أكيد كومبارس هنكون إيه يعني بالهدوم اللي إحنا لابسينها دي.. بس مقلتليش إيه اللي بيحصل؟
أشرت إلى (سعيد) أن ينتظر قليلاً وأمسكت بهاتفي المحمول أجري اتصالاً ..كان تفكيري قد هداني إلى الشخص الوحيد الذي يمكنني ائتمانه على ذلك السر، الأستاذ (رامي) جاري وصديقي في بعض الأحيان..
ـ ألو أستاذ (رامي).
جاءني صوته جافاً كعادته عند الحديث في الهاتف:
ـ أيوه
ـ ازيك يا أستاذ أنا (راضي).
ـ عارف يا (راضي) رقمك ظهر عندي مش محتاج تقول إنت مين كل مرة.
أحرجني قليلاً كعادته أيضاً..
ـ أنا عايز حضرتك في موضوع مهم.. ينفع أتكلم دلوقتي؟

ـ خير حصل حاجة؟
ـ شفت البرنامج بتاع أستاذ (أحمد سعد) النهاردة؟
صمت لحظه قبل أن يقول:
ـ أنا مش بتفرج على البرامج دي.
ـ طيب تعرف (سعيد حسين)؟
ـ مين؟
نظر لي (سعيد) عندما سمع إسمه فحاولت أن أدير وجهي لأبعد المحمول عنه قدر المستطاع وأنا أقول:
ـ يا أستاذ (رامي).. اللي بيطلع في التليفزيون دا..
ـ رجل الأعمال؟
ـ أيوه هو.
ـ آه عارفة، دا راجل حرامي وأفاق، ماله الراجل دا؟
ابتلعت ريقي في صعوبة وألقيت نظرة على (سعيد) الذي جلس على الرصيف من الإرهاق قبل أن أقول:
ـ بص من غير دخول في تفاصيل دلوقت.. هو معايا.
قال متسائلاً في تعجب:
ـ معاك فين؟
عدت أخفض صوتي حتى لا يسمعني (سعيد) الذي بدأ البعض يمر بجواره ويلقي إليه ببعض النقود معتقداً أنه أحد المتسولين:
ـ معايا في الشارع بيشحت أهو، ومش عارف أروح بيه فين.
ـ إنت بتخرف يا (راضي) ولا إيه؟
قلت وقد بدأت أفقد أعصابي من التوتر:
ـ يا أستاذ (رامي) أنا مش هعرف أشرحلك كل التفاصيل دلوقتي.. بس هو معايا وفاقد الذاكرة وفيه ناس عايزة تقتله وحاجات غريبة بتحصل..
ـ فهمني إيه الموضوع دا.

لم يستطع (رامي) استيعاب هذا الأمر دفعة واحدة، لذلك بدأت في الحديث ومحاولة شرح الموقف من البداية، وبدأ الموقف يتضح له تدريجياً.. وبدا من تعليقاته أن هناك أموراً أكبر بكثير مما أعرف وأن خطراً كبيراً ينتظرني بسبب تلك الفعلة، لا محالة..

يوميات سعيد (١١):المشهد الثاني والعشرون

"أنا مش عارفني.. أنا تهت مني.. أنا مش أنا !!"

أطلق سائق (الميكروباص) صوته الأجش بالغناء في استمتاع وهو يرفع صوت الكاسيت لأعلى درجة ممكنة.. بينما أبدى البعض في المقاعد الخلفية تعليقاً على استحياء أن الصوت شديد الارتفاع، دون أن يبدي السائق أدنى استجابة، فقد كان متأثراً بالأغنية إلى درجة أنه كان يغلق كلتا عينيه أثناء القيادة وهو يغني محاكيا صوت الشخص الصادر من (كاسيت) السيارة..

نظرت إلى ذلك المدعو (راضي) الذي جلس بجواري صامتاً ينظر لي حيناً وإلى الطريق حيناً آخر.. أنا حقاً لا أعرف من أكون..

"أيوه يا أستاذ يا كبير"، قالها السائق وهو يبدي انسجاماً أكبر واستمتاعاً بالأغنية ويتمايل بالسيارة غير عابئ بكل السيارات حوله..

كان جسدي يؤلمني بشدة ورأسي يكاد يتحطم من الصداع، وأخذت أنظر إلى الطريق عل شيئاً من المشاهد حولي يذكرني بأي شيء أعرفه، ولكنني لا أجد في رأسي أي أفكار.. وكأنني قد ولدت للتو في هذه الحياة.. وبدأت رحلتي لأكتسب التجارب والخبرات من جديد.. ترى هل هو خطأ مني الموافقة على الهروب مع (راضي) هذا من المستشفى؟ وما الذي يؤكد لي صدق قوله وأنه من جانب الأخيار.. بالتأكيد لي أقارب أو أصدقاء يعرفونني ويتساءلون عن سر اختفائي.. وربما كانت لي زوجة وأولاد يبكون الآن من أجلي وتتمزق قلوبهم جزعاً في هذه اللحظة..

ـ أنا عايز أنزل.. أستني هنا.

قلتها فجأة وقد أخذت قراراً بالعودة إلى المستشفى، يجب أن أعرف من أنا ومن الذي يحاول قتلي فالتفت لي (راضي) في توتر وهو

يقول:
ـ تنزل فين؟
ـ هنزل هنا.. وهرجع المستشفى تاني.
كان صوتنا مرتفعاً، ولاحظت أن بعض راكبي الميكروباص قد بدأ في متابعة حديثنا، حتى أن السيدة بجانبنا غيرت وضيعة جلوسها كي تشاهد بصورة أفضل..
ـ مينفعش يا.. (منصور).
قالها (راضي) وهو ينظر لي موجهاً حديثه، فقطبت حاجبي أنظر إليه متعجباً..
ـ (منصور) مين؟ انت مين أصلا؟
نظر لي في دهشة، و ارتسمت ملامح الأسى على وجهه قبل أن أقول:
ـ معلش يا (منصور).. هي فترة وهتعدي.
صحت في غضب وقد أصبح الجميع يتابع الحوار، حتى أن سائق الميكروباص قام بخفض صوت الكاسيت وبدأ في متابعتنا في المرآة الأمامية للسيارة..
ـ أنا معرفكش، أنا هرجع تاني المستشفى.
ـ معلش يا صاحبي إهدى بس.
تدخلت المرأة التي تجلس بجانبنا ووجهت حديثها نحوي قائلة:
- هو فيه إيه يا خويا؟
ـ إنتي مين إنتي كمان؟
التفت (راضي) إليها قائلاً بأسلوب تمثيلي رديء:
ـ معلش دا صاحبي وعمل حادثة وشكلها مأثرة على دماغه شوية.
بدت القصة أكثر تشويقاً للركاب، وهدأ سائق الميكروباص من سرعته حتى لا نصل إلى محطتنا قبل انتهاء الرواية، بينما عدت أهتف في غضب:

ـ أنا مش صاحبك ولا أعرفك.
أخذ البعض ينقل بصره بيني وبين (راضي) في توجس، الذي قال على الفور متصنعاً الأسى على حالي:
ـ هو إنت فاكر إنت مين أصلاً يا صاحبي، معلش شدة وتزول.
أمسكت برأسي الملفوف بالضمادات وقد بدأت أشعر بالتعب الشديد..
ـ أنا.. مش عارف.. بس مش عارفك برضه.
نظر (راضي) إلى الرجل الجالس بالمقعد الخلفي وهو يقول:
ـ يعني مش عارف نفسه يا حاج تفتكر هيفتكرني أنا؟
نظر إلى الرجل في إشفاق وهو تقول:
ـ معلش يا ابني ربنا يشفيك، خليك مع صاحبك هو عارف مصلحتك وإن شاء الله تبقى كويس.
قال (راضي) مؤيداً:
ـ قوله يا حاج.
أخذت أقلب نظري بينهم قبل أن أصيح في غضب وقد أوشكت على الإغماء من التعب:
ـ دا مش صاحبي، أنا معرفش حد.. أنا عايز أرجع..
وأحسست بالدوار الشديد وكادت رأسي تسقط إلى الأمام فأسندت رأسي إلى المقعد، وأغمضت عيني وأنا ما زلت أسمع تعليقات الركاب حولنا على الموضوع، وصوت (راضي) وهو يقول:
ـ شدة وتزول يا صاحبي.
فتحت عيني في وهن و فضلت الصمت لحظات حتى أستجمع قواي، ونظر السائق إلينا في المرآة الأمامية موجهاً حديثه إلى (راضي) في فضول:
ـ هو ماله يا أستاذ؟
أجابه (راضي) في تلقائية شديدة:
ـ كان عامل حادثة يا أسطى.

ـ حادثة إيه؟
ـ كنا ماشيين في الشارع راجعين من الشغل والشارع كانت المجاري ضاربه في كل حتة..
قال السائق في حماس وعلى شفتيه شبه ابتسامة:
ـ إتزحلق في المجاري؟
أبعدت المرأة الجالسة خلفنا رأسها قليلاً في تقزز، بعد أن كانت تدس وجهها بيني وبين (راضي) الذي عاد يقول:
ـ أنا مخدتش بالي منه وهو راح متزحلق نازل زي الطوبة.
لم أكن أقوى على الاعتراض ونظرت إلى (راضي) في غيظ بينما عاد السائق يقول في استمتاع وقد أعجبته القصة:
ـ هو دا اللي خلاه يفقد الذاكرة؟
هز (راضي) رأسه نفياً وهو يقول:
ـ لا يا أسطى هو وقع أتعور بس.
ـ وبعدين؟
ـ وهو طالع بقى من البلاعة لسه بيخرج دماغه علشان يطلع.. عيل بيشوط كورة جت في دماغه..
علت الهمهمات والتصعب والجميع يتابع القصة، بينما جاء صوت رجل من المقاعد الخلفية..
ـ فقد الذاكرة من خبطة الكورة أكيد، أنا الواد ابني جاله ارتجاج قبل كدا من الكورة.
وبدأ الرجل يحكي قصة ابنه الصغير وارتجاج المخ، بينما التفت إليه البعض يتابع قصته، وانتهز (راضي) الفرصة ليطلب من السائق أن يتوقف، فأذعن وهو يبدي استيائه من عدم معرفته لباقي الأحداث، بينما أسرع (راضي) يجذبني خارجاً ..
لم أكن أفهم ما الذي يحدث لي ولا من أنا..
ونظر إلينا السائق و (راضي) يغلق باب السيارة بعد نزولنا، ثم عاد ليرفع صوت الكاسيت من جديد.. ليعود الرجل للصياح بذلك الصوت الحزين.. أنا مش عارفني.. أنا تهت مني.. أنا موش أنا.

يوميات راضي (١٢):المشهد الثالث والعشرون

أمسكت بذراع (سعيد) الذي أسند رأسه إلى كتفي وقد كاد يغشى عليه من التعب، بينما طرقت باب شقة أستاذ (رامي) في هدوء حتى لا أثير التساؤل حول ذلك الرجل الغريب عن (الحارة)..
ومن وراء الباب جاءني صوته يسأل عن الطارق فأخبرته باسمي ففتح الباب وتوقف لحظات ينظر إلى (سعيد) يتفرس في ملامحه غير مصدق أنه هو نفسه (سعيد حسين)..
ـ مش هندخل يا أستاذ (رامي) ولا إيه؟ الراجل هيقع.
تنبه (رامي) فتنحى عن الباب وأشار لنا أن ندخل، ثم نظر إلى السلم يتأكد أن لا أحد يرانا قبل أن يغلق الباب و يساعدني في وضع (سعيد) على الكنبة في الصالة..
وجلسنا لحظات نستجمع أنفاسنا دون أن نتكلم..
كان الأستاذ (رامي) مدرس التاريخ هو الشخص الوحيد الذي يمكنني سؤاله عن الأمر، لدرايتي بثقافته وثقتي في كتمانه للسر، ورغم أنه يصغرني بعدة أعوام إلا أنني أنبهر كثيراً بتحليلاته السياسية التي يلقيها على مسامعنا في الأمسيات على المقهى منذ عدة أعوام. ورغم أن معظم الجالسين لا يفهم كثيراً مما يقول، إلا أننا كنا نجد في كلامه شيئاً مميزاً ومختلفاً عن كل ما يعرض علينا في برامج التليفزيون والقنوات الفضائية..
كان (رامي) في منتصف الثلاثينات، ممتلئ الجسم قليلاً، متجهم الوجه طوال الوقت حتى عند الابتسام، يعيش وحيداً في شقته بالدور الأرضي بنفس المنزل الذي أسكن على سطحه، تلك الشقة التي ورثها عن والديه، ويمارس هوايته في الحديث من خلال وظيفته كمدرس في المدرسة الإعدادية بالإضافة إلى مقالاته في بعض جرائد المعارضة..

ـ إيه اللي حصل؟

قالها (رامي) وهو مازال ينقل بصره بيني وبين (سعيد) الذي غاب عن الوعي تماماً وأصبح صوت أنفاسه فقط هو الذي يخبرنا بأنه مازال على قيد الحياة..

ـ مش عارف ابتدي منين يا أستاذ (رامي).

ـ ابتدي من أي مكان بس فهمني بالظبط إيه اللي حصل؟

ابتلعت ريقي وأنا أحاول أن أجد بداية مناسبة لكل هذه القصة ثم قلت:

ـ زي ما قلتلك في التليفون.. أنا قدمت في البرنامج بتاع المذيع (أحمد سعد)، البرنامج دا اللي اسمه "شقلب أحوالك" علشان عايز وظيفة، والنهاردة صوروا معايا أنا والراجل اللي مرمي قدامك دا.

نظر (رامي) إلى (سعيد) الملقى على الكنبة مرتدياً الجاكيت الخاص بي ورأسه ملفوف بالضمادات، ثم قال في تعجب:

ـ كان بيعمل إيه هناك دا؟

قلت وصوتي يقطر حزناً على الفرصة الضائعة:

ـ هو دا بقى اللي كان هيشغلني عنده ووعدني بشقة في العمارة بتاعته كمان.

صمت لحظة يستجمع أفكاره قبل أن يقول:

ـ وبعدين؟

ـ طلعلنا شيخ في البرنامج، بيقولوا جايبينه من تونس ولا الجزاير حاجة كدا.

ـ بيعمل إيه في البرنامج؟

ـ دا بيقولوا انه ساحر طيب كدا زي الساحر اللي طلع للأستاذ (فريد الأطرش) في فيلم كهرمانة.. بس (سعيد) شكله زعله، قام الشيخ عملها معاه.

ـ فريد الأطرش إيه وكلام فارغ إيه؟ إيه اللي شلفط الراجل دا كدا؟

ـ آه.. وهو خارج من التليفزيون خبطه ميكروباص، ونقلوه للمستشفى.
رفع (رامي) حاجبيه متعجباً من الحدث الغريب دون أن يتكلم فعدت أقول:
ـ أكيد دا من العمل صدقني، أنا كمان الشيخ عملي عمل يعدل أحوالي، بس أنا عارف نفسي هتحصل معايا بالعكس وأدي أولها.
ـ بلاش تخريف يا (راضي).. وكمل اللي حصل.
ـ أنا رحت وراه المستشفى أطمن عليه، ما هو يا أستاذ لو مات محدش هيعبرني في شركته ولا هشوف شغل ولا شقة ولا أي حاجة.. أنا كنت رايح بس أطمن على حظي المهبب.
قال في ذهول وهو يرمقني بنظرة اتهام:
ـ يعني إنت خطفت الراجل من المستشفى علشان الشقة؟
عدت أقول مدافعاً:
ـ يا أستاذ ما أنا قلتلك في التليفون.. وأنا هناك قبل ما أدخل سمعت راجل وست بيتفقوا علشان الست الممرضة دي تقتله وكانت هتديله حقنه تخلص عليه من غير ما حد يعرف.
ـ مسمعتش إسم الراجل اللي عايز يقتله دا؟
فكرت لثانية قبل أن أهز رأسي نفياً فأنا لا أذكر أنني سمعت أي أسماء..
ـ لأ اللي كان بيكلم الممرضة دا دكتور في المستشفى وشكله قابض كتير أوي من اللي عايزين يخلصوا من أستاذ (سعيد)، تخيل الممرضة لوحدها واخدة خمسين ألف جنيه.. بس فهمت كدا من وسط الكلام إن صاحب المصلحة في العملية دي حد من أهله.
فكر (رامي) لحظات قبل أن يسألني في حيرة:
ـ طيب ليه مبلغتش البوليس يا (راضي)؟
ـ يا أستاذ (رامي) مكانش فيه وقت وكان لازم أتصرف قبل ما يقتلوا

الراجل.
ـ طيب والحل دلوقتي؟
ـ أنا جايلك علشان تقولي الحل.
عاد (رامي) يصمت مفكراً من جديد لبعض الوقت..
ـ بص يا (راضي)، أنا شايف إنك ورطت نفسك في جريمة خطف ومحدش هيصدق موضوع القتل والكلام دا، ومش عارف أقولك إيه.
نظرت إليه في فزع وأنا أقول:
ـ خطف إيه؟ أنا كنت بحميه.
مط شفتيه في استياء وهو يقول:
ـ هو الموقف هيبقى كدا للأسف.
ـ طيب أعمل إيه دلوقتي، أنا مش فاضل في حياتي مصايب محصلتش غير السجن، أرجوك تساعدني يا أستاذ (رامي).
أومأ برأسه مطمئناً وهو ينظر إلى (سعيد) مرة أخرى، قبل أن يقول في هدوء:
ـ هفكر في حل يا (راضي).
ونظرت إليه في رجاء أتمنى أن يجد حلاً لتلك المصيبة التي لم تكن في الحسبان..

يوميات سعيد (١٢):المشهد الرابع والعشرون

فتحت عيني لأجد نفسي ممدداً على كنبة صغيرة، ورفعت يدي لأتحسس رأسي، كانت الضمادة تلتف حول رأسي إلا أنه لم يكن يؤلمني بقدر ما يمزق الألم كل عظمة في جسدي، ورفعت رأسي محاولاً النظر حولي كي أستجمع أفكاري..
كنت في حجرة استقبال صغيرة بها تلك الكنبة التي أتمدد فوقها، و أربعة كراسي قديمة كبيرة الحجم. هممت بأن أضع قدمي على الأرض، ثم تنبهت إلى أن قدمي مست شيئاً غريباً فرفعت قدمي في تحفز ونظرت لأجد ذلك الرجل النائم على السجادة يتوسد يده..
عدت لأضع قدمي بعيداً عنه، فتقلب في مرقده وفتح عينيه ونظر لي لحظات دون أن يتحرك من مكانه وكأنه مازال نائما بعينين مفتوحتين، ثم قام من رقدته جالساً، ووضع يده على فمه متثائباً وهو يقول في صوت لم يفارقه النوم:
ـ صباح الخير.
أومأت برأسي ولم أتحدث.. فأستند (راضي) إلى ذراع الكرسي المجاور له وهو يقوم من جلسته على الأرض ثم قال:
ـ هقوم أحضرلك حاجة تاكلها.. تحب تقوم تغسل وشك؟
كنت أشعر بالجوع الشديد، وكأنني لم أذق الطعام منذ أيام طويلة.. وربما حقاً لم أكل منذ أيام فأنا لا أذكر شيئاً على الإطلاق، فنظرت إليه وكأنني أنتظر أن يخبرني عن مكان الحمام، فأشار بيده إلى ممر ضيق وهو يقول:
ـ الحمام هناك في آخر الطرقة.
تحاملت على نفسي حتى وقفت على قدمي، وانتظرت مكاني لحظات أستجمع قوتي فيها قبل أن أتجه إلى حيث أشار.. كان حماماً ضيقاً لا يتجاوز المترين، وفوق الحوض مرآه مكسورة باهتة، نظرت فيها

إلى وجهي وكأنني أراه للمرة الأولى.. كانت به بعض الخدوش البسيطة إضافة إلى تلك الضمادة الطبية فوق جبهتي، غسلت وجهي جيدا، ثم تلفتت حولي فلم أجد منشفة، فخرجت ووجهي يقطر ماء..
ونظر لي (راضي) وابتسم وهو يقول:
ـ إنت بقيت زي الفل أهو ماشاء الله.
هززت رأسي موافقاً دون أن أعقب، بينما خرج من إحدى الغرف رجل ممتلئ الجسد غير حليق يرتدي بيجامة بها خطوط طولية زرقاء، وابتسم محدقاً بي قبل أن يبادره (راضي) بالتحية..
ـ صباح الخير يا أستاذ (رامي).
ـ أهلا يا (راضي).
قال (راضي) وهو يتجه إلى الحمام:
ـ هغسل وشي وأنزل أجيب الفول من عند عم (زناتي) حالاً.
وضع الرجل يده على بطنه ثم قال:
ـ آه وحياتك يا (راضي) أنا هموت من الجوع.
ثم التفت موجها حديثه نحوي وكأنه يعرفني قائلاً:
ـ عامل إيه النهاردة يا أستاذ (سعيد)؟
كنت لم أزل لا أفهم شيئاً، ولا أعرف من يعرفني ممن لا يعرفني، فهززت رأسي هزة خفيفة وأنا أقول:
ـ الحمد لله
عاد الرجل يقول و هو يحاول إبداء الود:
ـ أنا (رامي).
لم يلق مني إجابة فعاد يقول:
ـ ما تقلقش هقولك كل حاجة، خلينا نفطر الأول وبعدين نقعد نتفاهم.
خرج (راضي) وقد غسل وجهه ورأسه وبدأ يفرد أكمام قميصه المشمرة، ثم ابتسم موجهاً كلامه نحوي وهو يقول:
ـ حالاً هنزل أجيب الأكل وأطلع اعمل الشاي ونقعد نفطر سوا.

وفي ثوان كان قد غادر المنزل، وجلس (رامي) على إحدى الكراسي الضخمة المتهالكة، ثم قال:

ـ ما تقلقش أنا عارف إنك متلخبط بسبب الحادثة، بس خليك واثق إن كل حاجة هتبقى تمام.

أومأت برأسي موافقاً بينما سمعنا صوت طرقتين على الباب، فقام (رامي) متجهاً إلى الباب وهو يقول:

ـ الجرايد وصلت.

ثم فتح الباب وانحنى ليلتقط الجريدة من أمامه ثم عاد إلى كرسيه ليجلس وهو يفتح صفحات الجريدة..

تغير وجهه قليلاً وهو يقلب بين الصفحات، وبدا أن خبراً ما أزعجه بشدة، حتى أنه أعاد تصفح الجريدة من جديد يبحث عن شيء ما بين سطورها، قبل أن يلقيها جانباً.. وتتغير ملامحه من الهدوء إلى التوتر الشديد..

يوميات راضي (١٣):المشهد الخامس والعشرون

في أخر الحارة كان عم (زناتي) بائع الفول يقف بعربته الصغيرة أمام المقهى منهمكاً في ملء الأطباق من القدر الضخم الذي أمامه، وحول العربة يلتف عدد كبير من الناس على اختلاف نوعياتهم حتى كاد يختفي بعربته في منتصف تلك المظاهرة، واتسعت ابتسامته عندما رآني أحاول الاقتراب وتوقف عن حركته الميكانيكية في ملء الأطباق وهو يقول في سعادة:

ـ ألف مبروك يا (راضي) يا ابني.

قالها فالتفتت الناس إلي وكأنهم فوجئوا بظهور أحد النجوم، وبدأ الجميع في تهنئتي بالوظيفة والشقة الجديدة.. بينما أخذت أرد على تهانئهم في ود..

كانت مشاعر أهل الحارة جميعاً خالصة من القلب دون مجاملات لهذا كنت أحب وجودي في هذا المكان مهما قست ظروف الحياة وتعسرت الأحوال. ملأ لي عم (زناتي) طبق الفول وزاد، ثم مده إلي رافضاً أن يحصل على المال وهو يقول:

ـ دي حلاوة الوظيفة الجديدة يا (راضي) بالهنا والشفا.

ـ ربنا يخليك يا عم (زناتي).

وأمسك ببعض أرغفة الخبز وحزمة من البصل الأخضر..

ـ خد دول كمان.

أخذتهم منه ممتناً والتفت لأنصرف وسط تهاني أهل الحارة المحيطين بعربة الفول الذين بدأوا في العودة مجدداً للإحاطة بعم (زناتي)، وخرج (حوده) صبي المقهى مسرعاً فارداً ذراعيه في ترحاب وهو يقول وعلى شفتيه ابتسامة واسعة:

ـ ازيك يا نجم.

ـ والله يا (حوده) أنا لسه مجبتش فلوس بس صبرك يومين كدا.

نظر لي في لوم وكأنني جرحت مشاعره وهو يقول:
ـ عيب يا (راضي)، إحنا إخوات فلوس إيه بس اللي بتتكلم فيها، دا أنا كنت عايز أهنيك على الوظيفة والشقة.. وبعدين إنت كنت نجم إمبارح في التليفزيون، ولا وإنت بتتكلم كدا.. يا لهوااااي.. نجم حارتنا يا (راضي).
ـ ربنا يخليك يا (حوده).
ضيق عينيه واقترب مني متسائلاً:
ـ والشقة أخبارها إيه؟
ابتسمت وأنا أقول دون أن أبدي ما يعتمل بصدري من توتر:
ـ ربنا يسهل، أنا لسه ما استلمتش حاجة.
أومأ برأسه بطريقة العارف بالأمور وهو يقول:
ـ أكيد فاهم، بس هتروح النهاردة زي ما الراجل دا قالك.
ـ إن شاء الله.
ـ طيب شد حيلك شوية بقى.
ـ ما تقلقش، أول ما أقبض هدفعلك.
ـ برضه عايز تفهمني غلط، الفلوس دي أخر حاجة بفكر فيها.
ـ طيب إيه مش فاهمك؟
اقترب مني وحرص على خفض صوته قليلاً حتى لا يسمعه أحد ثم قال:
ـ إنت عارف أنا زهقت من شغلانة صبي القهوة دي، وعايز أفتح ورشة تطريز، و(وفاء) مراتي أخدت دورة واتعلمت الصنعة وبقت أسطا بريمو.
لابد أن نظرتي كانت توحي بعدم الفهم فعاد يبتسم في لزوجة وهو يقول:
ـ يا (راضي) إنت كلك مفهومية، أنا كلمت عم (عوضين) صاحب العمارة علشان أخد الأوضة بتاعتك أعملها ورشة وهو معندوش

مانع، بس أنا هستنى تنقل شقتك الجديدة، بس عايزك تشد حيلك بقى.
ـ حاضر يا (حوده).
وتركته يبتسم في سعادة ويصفق بيديه في حماس وهو يمني نفسه بحجرتي، بينما أنا أحمل في داخلي هموماً لا أستطيع البوح بها.
انصرفت أتجه إلى المنزل، وقبل أن أخطو إلى الداخل وجدت (سعدية) واقفة أمامي ..
ـ ازيك يا (راضي).
قالتها في مزيج غريب من السعادة والحزن..
ـ ازيك يا (سعدية)، عاملة إيه؟
انفجرت قائلة في لهجة لوم عذبة:
ـ قلقانة عليك من إمبارح يا (راضي) ولا حس ولا خبر، أنا قعدت أتفرج على البرنامج وشفتك كدا وانت زي القمر ومنور الدنيا، وبعدين فضلت فاتحة باب الشقة علشان أشوفك وانت طالع وأباركلك على الشغل والشقة، لغاية ما الوقت اتأخر أوي، ومن النجمة طلعت أشوفك بس لقيت اوضتك مقفولة بالقفل.. إنت كنت فين؟
نظرت إليها وأنا أحاول أن أبدو سعيداً كي لا أفسد عليها فرحتها، واعتقادها أن الوقت دنا كي نصبح سويا..
ـ معلش أصل أستاذ (أحمد سعد) أصر نتعشى سوا إمبارح بعد البرنامج.
فتحت عينيها حتى أخرهما في سعادة وارتسمت على شفتيها ابتسامة كبيرة وهي تهتف غير مصدقة:
ـ بجد؟
قلت في ثقة وأنا أصبغ نبرتي بالجدية:
ـ طبعا يا بنتي دا إحنا بقينا أصحاب جدا.
وقبل أن تفتح فمها بالرد، سمعت صوت سرينة سيارة الشرطة يأتي من خلفي، فالتفت لأجد (بوكس) الشرطة الأزرق يقف أمام المنزل ويهبط منه ضابط شرطة وخلفه مجموعة من العساكر، أشار لهم أن يتبعوه ثم انطلقوا يهرولون متجهين نحوي في سرعة..

يوميات سعيد (١٣):المشهد السادس والعشرون

ـ أنا مش فاهم أي حاجة.
قلتها وأنا أضع كوب عصير (الجوافة) من يدي على الطاولة التي أمامي وأنقل بصري بين شاشة التليفزيون الذي يعرض فيلم (أيام السادات) و(رامي) الجالس أمامي يحاول أن يشرح لي الموقف، فعاد يقول في هدوء:
ـ بص يا (منصور)..
قاطعته في توتر وقد بدأ رأسي يؤلمني من جديد:
ـ أنا اسمي (سعيد) ولا (منصور)؟
صمت لحظه وكأن السؤال فاجأه ثم عاد يقول:
ـ اسمك (منصور سعيد).
نظرت له في تعجب، قبل أن أكرر الاسم محاولاً التذكر:
ـ (منصور سعيد) ! أنا مش فاكر حاجة خالص.
عاد يقول من جديد محاولاً بث الطمأنينة في قلبي:
ـ معلش اللي حصلك مش سهل يا(منصور).. علشان كدا مش عايزك تضغط على نفسك أوي دلوقتي.. واحدة واحدة هتبقى أحسن.
أرحت رأسي إلى مسند المقعد وقد شعرت ببعض الدوار:
ـ أنا تعبت.
مد يده بكوب العصير وهو يقول:
ـ اشرب إنت محتاج شوية سكريات.
أمسكت بالكوب من يده وشربت القليل قبل أن أعيده إلى الطاولة مجددا وأنا أقول:
ـ قولي تاني كدا إيه اللي حصل بالظبط.
تنهد (رامي) في إشفاق وهو يقول:
ـ إنت مش قادر تفتكر أي حاجة خالص؟

أطرقت في حزن وأخذت أعتصر ذاكرتي علني أتذكر أي شيء، لكن ذاكرتي كانت مثل صحراء جرداء تماماً بلا أي معالم، فعدت أنظر إليه قائلا في أسي:

ـ مش فاكر ولا أي حاجة.

أومأ برأسه في تفهم ثم قال محاولاً طمأنتي:

ـ ما تقلقش هتفتكر بالوقت.. اللي حصل زي ما قلتلك، إنت كنت في مظاهرة قدام مبنى التليفزيون، حصل ضرب غاز وأنت وقعت والناس داست فوقك.

ـ داست فوقي؟ طيب والمظاهرة دي كانت ليه؟

نفخ صدره وخرج صوته تمثيلياً أكثر من (أحمد زكي) وهو يتحدث بلهجة السادات:

ـ أنا مش مصدق إنك مش فاكر.. إنت بطل يا (منصور).. كنت بتطالب بحقوق زمايلك الكومبارس، بحقوقكم إن يبقى ليكم نقابة وتأمين، يعني ما ينفعش لما واحد منكم يقع ما يلاقيش حاجة يتسند عليها.

قلت في تعجب وأنا لا أشعر بوقع تلك الكلمات في نفسي:

ـ أنا بطل؟.. طيب والناس اللي عايزة تقتلني دي إيه؟

ـ آه.. لا.. دا موضوع تاني.. غالباً دي غيرة فنية.

ـ غيرة فنية إيه وأنا مجرد كومبارس.

رفعت حاجبي في ذهول وأنا أردد الكلمة، فعاد يقول مؤكداً:

ـ أيوه غيرة فنية، إنت مش عارف قيمة نفسك، دا إنت كان فيه كلام إنك تاخد بطولة مطلقة قريب ولو حصل الكلام دا لا تقولي بقى (أحمد عز) ولا (كريم عبد العزيز).

ثم التفت إلى الشاشة وقفز من مقعده وهو يشير إلى مشهد يخطب فيه (السادات) أمام الشعب ثم قال:

ـ إنت أهو.

نظرت إلى الشاشة أقلب بصري بين الحشود باحثاً عن نفسي وأنا أقول في سرعة:
ـ فين؟
عاد يشير إلى نقطة ما وسط الحشود من جديد وهو يقول مؤكداً:
ـ إنت هنا أنا شفت وشك. الكاميرا جت عليه من شوية.
انتهى المشهد فجأة، ليعود (رامي) إلى مقعده مبتسماً وهو يقول:
ـ إنت بتمثل هايل بصراحة.
رفعت حاجبي متعجباً وأنا أقول في استنكار:
ـ أنا مشفتش أي تمثيل في المشهد، الكادر جايب مجموعات.
ـ إزاي بس.. دا إنت فنان.
نظرت إليه في عدم فهم والتزمت الصمت لحظات قبل أن أقول في حيرة:
ـ هو إحنا نعرف بعض من زمان؟
ابتسم وهو يقول:
ـ آه من زمان أوي.. إحنا عشرة عمر.. ومظاهرات واعتصامات وحاجات.
ـ إنت بتشتغل إيه.. يا (رامي)؟
ـ زي ما قلتلك، أنا مدرس تاريخ، ومدوّن بكتب أحيانا بعض المقالات في جريدة (الحرية).
عدت أسند رأسي إلى المقعد في استسلام فعاد يقول في فخر:
ـ تحب تقرأ حاجة من كتاباتي؟
لم أعر جملته انتباهاً وأنا أقول:
ـ أنا مش عارف المفروض هعمل إيه دلوقتي؟
اعتدل في كرسيه وهو يقول محاولاً إعطائي جرعة من الإحساس بالأمان:
ـ إنت مش هتعمل حاجة خالص دلوقتي.. أهم حاجة تستعيد ذاكرتك، وتعرف إن أنا و(راضي) أصحابك ويهمنا مصلحتك.
قطع الحديث طرقات متتالية على باب الشقة، طرقات قوية ومخيفة للغاية حتى أن (رامي) قفز من مقعده فزعاً ووقف صامتاً يحدق في الباب الذي كاد ينهار تحت وطأة تلك الطرقات القوية..

يوميات راضي (١٤):المشهد السابع والعشرون

وقفت أنا و(سعدية) على السلم بينما اقتحم الضابط ورجاله شقة (رامي) الذي تراجع بضع خطوات دون أن يتكلم وقد ازرق وجهه من الخوف، بينما جلس (سعيد) في صمت تام مذهولاً وقد بدأ أفراد الشرطة في تفتيش الشقة وقلب محتوياتها في إصرار، ونظرت لي (سعدية) متسائلة عن (سعيد)، فأشرت لها أن تصمت الآن حتى ينتهي الأمر، وما هي إلا دقائق حتى بدأ أفراد الشرطة يعودون الواحد تلو الأخر ليعلنوا أمام الضابط أنم لم يجدوا أي شيء.. ونظر الضابط إلى (رامي) وهو يقول في لهجة مهددة:

ـ إنت مش هتتلم يا جدع إنت؟

بدأ (رامي) يستجمع شتات نفسه قبل أن يقول في صوت ما زال متهدجاً من أثر المفاجأة:

ـ خير يا (هيثم) باشا، أنا عملت إيه بس؟

عاد الضابط يقول في غضب:

ـ إنت عارف أنا أقصد إيه يا (رامي).

كان (رامي) قد بدأ يشعر بالطمأنينة قليلاً وخاصة أنهم لم يجدوا الشيء الذي كانوا يبحثون عنه فقال في لهجة تشوبها بعض السخرية:

ـ حضرتك تقصد إيه؟ ممنوعات لا سمح الله !

دفع الضابط أحد الكراسي بقدمه في عنف ..

ـ إنت هتستهبل؟ إنت عارف أنا اقصد إيه..

قالها ثم خفض من نبرة صوته قليلاً وأقترب من (رامي) وأمسك به في قوة من ملابسه وهو يتابع:

ـ المنشورات والمقالات اللي عمال تكتبها في الجرايد الزبالة بتاعتكم دي، بتبوظوا بيها عقول الناس وتقلبوهم على الحكومة.

ـ يا باشا منشورات إيه بس؟ البيت قدامك لو عايز تفتش تاني.
تركه الضابط ونظر إليه في غضب لحظات قبل أن يقول وقد بدا في لهجته نوع من الترهيب:
ـ أحسنلك بلاش مقاوحة واستهبال وإلا هتندم، المرة دي أنا جايلك زيارة بس.. لكن المرة الجاية هتشرف إنت معايا.. وعارف إني مش محتاج ألاقي عندك حاجة علشان أجيبك.
ـ شرفت يا باشا.
لم ينطقها (رامي) ولكن قلبي كاد أن يتوقف عندما نظرت فرأيت (سعيد) يقوم من كرسيه وهو ينظر للضابط في تحد ويلقي بجملته، فنظر إليه الضابط في استنكار وهو يقول:
ـ إنت مين إنت كمان؟
نفخ (سعيد) صدره في ثقة ونظر للضابط وهو يقول:
ـ حضرتك ما شفتنيش قبل كدا؟
تسمرت في مكاني وقد أوشك الأمر أن ينقلب فوق رأسي، في حين دقق الضابط لحظات في وجه (سعيد) وبدا التفكير على ملامحه قبل أن يقول:
ـ شكلك مش غريب عليا، إنت مسجل ياد؟
نظر له (سعيد) في غطرسة بدت طبيعية تماماً وهو يقول:
ـ أنا ممثل.
هدأت ملامح الضابط قليلاً وقد أدرك أن هذا الرجل الذي تبدو عليه أثار النعمة لا يصلح إلا أن يكون ممثلاً وأنه ربما رآه في التليفزيون أو السينما من قبل ولا يذكر، وسحبت (سعدية) من يدها في هدوء دون أن يلحظ أحد ذلك ثم همست في أذنها ببضع كلمات، بينما عاد الضابط يقول في لهجة مستهزئة:
ـ اسمك إيه بقى؟
ـ اسمي (منصور سعيد)، حضرتك ما شفتش فيلم (أيام السادات)

ولا أيه؟
قطب الضابط حاجبيه في تعجب وعاد ينظر إلى (سعيد):
ـ شفته طبعا.
ـ أنا كنت بمثل فيه.
اقترب الضابط من (سعيد)، بينما يبدو أن (رامي) قد شعر بالدوار فجلس على المقعد في صمت، وتفحص الضابط وجه (سعيد) وضماداته قبل أن يقول في لهجة أقل تحفزاً وهو يضع يده على الضمادة التي تلتف حول رأسه في فضول:
ـ ممكن أكون شفتلك حاجة بس مش فاكر، إنما إيه البطحة اللي في دماغك دي؟ مكياج؟
أبعد (سعيد) رأسه في ألم وهو يقول:
ـ لا دي حادثة في مظاهرة..
تدخلت في الحوار مقاطعاً في سرعة وأنا أحاول الابتسام موجهاً كلامي للضابط:
ـ لا حضرتك دا حادثة في مشهد أكشن..كنا بنمثل مظاهرة في فيلم.
التفت لي الضابط مستنكراً تدخلي ونظر لي في ازدراء وهو يقول:
ـ وإنت مين؟
ـ أنا ممثل برضه حضرتك.
ـ إيه البلد اللي بقى كلها ممثلين دي؟ صحيح هي خربت من شوية.
عاد (سعيد) يقول بنفس طريقته التمثيلية وقد صدق كونه ثوريا:
ـ البلد خربت بالفساد وبالناس اللي فاكرة نفسها أسياد وعايزة كل حاجة تمشي على مزاجها.
التفت إليه الضابط وابتسم في شراسة وهو يقول:
ـ إيه دا، إنت طلعت منهم إنت كمان؟
وقبل أن يرد (سعيد) انطلقت صرخة مستغيثة طويلة من خارج المنزل لتقطع ذلك الحديث .. صرخة رنانة تشبه صوت صافرة

القطار.. كان الصوت المميز لبائعة الخضروات (أم حنفي) تستغيث، ونظر لنا الضابط متسائلاً:

ـ حد بيصرخ؟

قلت في سرعة وقد تهدجت نبرات صوتي من الانفعال:

ـ دي (أم حنفي) يا باشا، شكل كدا فيه مصيبة بره.

أشار الضابط إلى رجاله أن يتبعوه وانطلق إلى الخارج يهبط الدرجات القليلة ومنها إلى الحارة لتقصي الأمر، وتحركنا ورائهم في سرعة لنعرف سر صراخ (أم حنفي)..

يوميات سعيد (١٤):المشهد الثامن والعشرون

ـ مين (أم حنفي)؟
سألت (راضي) مستفسراً وقد خرجنا نهرول وراء الضابط إلي الشارع، فابتسم وهو يقول:
ـ دي بياعة الخضار اللي على الناصية.
وفي الخارج كانت جلبة شديدة أمام المقهى و(أم حنفي) تمسك بتلابيب فتى نحيل يبدو في الخامسة عشرة من عمرة تقريباً، وتصرخ بصوتها المزعج في تواصل، والناس حولها مجتمعين يحاولون تخليص الفتى من بين يديها..
اقترب الضابط لمحاولة التدخل وتخليص الفتى الذي ظلت (أم حنفي) مصرة على التمسك بملابسه رغم محاولاته للإفلات ورغم سنوات عمرها التي تجاوزت الستين، وصرخ الضابط محاولاً مجاراة ارتفاع صوتها..
ـ فيه إيه يا ست إنتي إيه اللي حصل؟
ـ إلحقني يا باشا..
أمسك الضابط بالفتى يحاول تخليصه من بين يديها في إصرار وهو يقول:
ـ سيبيه وقوليلي عمل إيه الواد دا؟
ـ لا.. مش هسيبه..
هتف بها الضابط في غضب:
ـ يا ست إنتي أهدي شوية وفهميني فيه إيه؟
كان العدد كبيراً حتى أن الضابط ومعاونيه اختفوا وسط دائرة كبيرة من أهل الحارة الذين التفوا لمشاهدة الذي يحدث، بينما وقفت أنا و(راضي) نراقب عن بعد..
ـ هو الواد دا سرقها ولا إيه؟

نظر لي (راضي) ضاحكاً وهو يقول:
ـ ولا سرقها ولا حاجة دا ابن أختها.
ـ ابن أختها سرقها؟
ضحك (راضي) وهو يقول:
ـ سرقها إيه بس، كل دي تمثيلية علشان نلهي الظابط ونخلص الليلة.
قطبت حاجبي متعجباً وهززت رأسي في عدم فهم:
ـ تمثيلية إزاي؟
عاد يضحك من جديد وهو يقول:
ـ أنا خليت (سعدية) تروح تقول لـ(أم حنفي) تعمل كدا، هي متعودة على الحركات دي كل ما تحصل مشكله في الحارة.
ـ والموضوع دا بينفع؟
ـ هتشوف دلوقتي.
كان الزحام شديداً، حتى أنني لا أعرف كيف اجتمع كل هؤلاء البشر في وقت قصير، وكيف يسكن كل هؤلاء في تلك الحارة الضيقة.. وما هي إلا دقائق حتى بدأ الزحام ينفض، وبدأ كل من الواقفين يتجه إلى حال سبيله.. وتركت (أم حنفي) الفتى وقد هدأت وهي تبدي مسامحتها له على ما فعل وهو يقبل يديها، وخرج الضابط من وسط الزحام وقد تبعثرت ملابسه كمن كان في معركة، ثم نظر إلينا ونحن نقف على بعد أمتار بجوار المنزل، ثم فكر لحظة وكما توقع (راضي) تماماً، قرر الاتجاه إلى (البوكس) وانطلق هو ورجاله في صمت.. ورأيت امرأة تتجه نحو (أم حنفي) ضاحكة، ثم تقبل خديها، وتتجه نحونا، بينما صفق (راضي) بيديه في انتصار وهو يقول:
ـ شفت، حركة (أم حنفي) عمرها ما بتخيب أبداً.
نظرت إلى المرأة المقبلة نحونا، كانت في بداية الثلاثينات تقريباً، تبدو ملامحها الرقيقة واضحة رغم الخطوط الدقيقة التي خلفتها

الحياة على وجهها، وكانت تبتسم في سعادة، والتفت إلى (راضي) وأنا أقول:
ـ مين دي يا (راضي)؟
أجاب في تلقائية والابتسامة لم تغادر شفتيه:
ـ دي (سعدية).
ـ شكلها ست لطيفة جداً.
نظر لي (راضي) وقد اختفت الابتسامة من وجهه قبل أن يقول:
ـ آه هي ست محترمة طبعاً.
أقبلت (سعدية) نحونا مبتسمة قبل أن تنظر لي في حياء ، ثم تعود إلى (راضي) متسائلة:
ـ معرفتناش مين الأستاذ.
مددت يدي مصافحاً إياها وأنا أبتسم في ود مجيباً عليها:
ـ أنا (منصور)، اتشرفت بمعرفتك يا هانم.
أمسك (راضي) بيدها يسحب إياها من يدي وهو يقول في جدية:
ـ (سعدية) اطلعي إنتي دلوقتي على بيتك.
ثم رفع صوته ليتأكد من استيعابي لكلماته وهو يتابع:
ـ اطلعي شوفي الواد ابنك أحسن يكون عايز حاجة.
نظرت له (سعدية) وقد بدا على ملامحها بعض التعجب، ثم ألقت التحية وأطاعت مسرعة الخطى إلى المنزل، بينما عاد (راضي) ينظر لي قائلاً:
ـ بالإذن ثواني وراجعلك.
ثم أسرع خلف (سعدية) يصعد السلالم ورائها وهو ينادي باسمها في لهجة حادة، وابتسمت لتصرفه وقد أيقنت أنه يحب تلك المرأة ويغار عليها.
ألقيت نظرة على الزحام الذي انفض، قبل أن التفت إلى المنزل لأجد ذلك الرجل أمامي يسد الطريق بوجهه المتجهم وملامحه الحادة:

ـ إنت مين يا كابتن؟

قالها بطريقة غريبة وكأنه واقع تحت تأثير مخدر ما يعيق لسانه عن النطق بسلاسة. نظرت إلى هيئته الغريبة بداية من شعره الشبيه بالقنفذ والسلاسل التي تحيط بعنقه وملابسه مختلطة الألوان، قبل أن أجيب في تردد وأنا أتراجع خطوة صغيرة إلى الخلف:

ـ أنا (منصور).

نظر لي الرجل في عدم فهم بعينيه نصف المفتوحتين، وبدون مقدمات أخرج من بين حزامه سكيناً صغيراً مشهراً إياه في وجهي:

ـ (منصور) على نفسك يا عم.

ونظرت إلى ذلك النصل الحاد في ذعر، وقد أصبحت عاجزاً عن النطق من المفاجأة..

يوميات راضي (١٥):المشهد التاسع والعشرون

ـ اتفاجئت؟

قالتها (سعدية) في استنكار وقد وقفنا على السلم أمام باب شقتها..

ـ أيوه اتفاجئت بتصرفك يا (سعدية). إيه اللي انتي عملتيه دا؟

قلتها في غضب، وقد التهب قلبي غيرة من نظرات (سعيد) لها، فنظرت لي في لوم وهي تقول معاتبة:

ـ عملت إيه يا (راضي)؟

ـ واقفة وعايزة تتكلمي مع راجل غريب.

قالت في ذهول وكأنها لا تصدق اتهامي لها بهذا الأمر:

ـ أنا يا (راضي)؟

قلت في حدة غير عابئ بمحاولتها للتملص من الموضوع:

ـ أيوه إنتي.

أشاحت بوجهها عني، ثم ابتعدت مقتربة من سور السطوح وهي تقول في نبرة حزينة وقد أولتني ظهرها:

ـ الله يسامحك.

ـ ما تبصيش الناحية التانية وأنا بكلمك.

التفتت (سعدية) نحوي ورأيت الدموع تسيل من عينيها، وفي لحظة واحدة أحسست بغبائي، وكيف أنني تركت غيرتي تحركني بهذا الشكل الأحمق..

ـ ما تزعليش يا (سعدية) أنا مش قصدي حاجة.

مسحت دموعها بباطن كفيها وهي تقول في صوت باك:

ـ خلاص يا (راضي) محصلش حاجة.

ـ لا حصل، أنا غلطان أنا عارف، بس سامحيني أنا متلخبط لوحدي وبغير عليكي أوي.

هدأت ملامحها نوعا وبدأت نظرة الحزن على وجهها تتبدل بالحنان

وهي تقول:ـ وأنا مقدرش أزعلك ولا ممكن أفكر أبص لغيرك أبداً.
كانت غيرتي بلا مبرر حقاً ولكن وجود (سعيد) جعلني أتوتر لأقصى درجة، فمثل هؤلاء قد يطمعون في كل شيء، حتى في امرأة بسيطة مثل (سعدية)..
ـ ولا أنا أقدر على زعلك.
ابتسمت (سعدية) وقد بدت عيناها أكثر جمالاً ولمعانا وقد غسلتهما الدموع ثم قالت:
ـ طيب ممكن أعرف إيه اللي بيحصل بقى، ولا هتزعقلي تاني؟
تذكرت الكارثة التي تحلق فوق رأسي فتدفق الدم في أوردتي لينبض قلبي في عنف..
ـ أنا أصلا عايز أحكيلك يا (سعدية).. أنا في مصيبة.
ضربت بيدها على صدرها في قلق وهي تقول:
ـ مصيبة! احكي يا اخويا أنا سامعاك.
أخذت نفساً عميقا محاولاً استعادة زمام أمري وأنا أقول وقد غلبني الغم:
ـ عارفة الراجل اللي اتخانقت معاكي علشانه دا يبقى مين؟
ـ تاني يا (راضي).. أنت عايز توقعني في الغلط؟
هززت رأسي نفيا وأنا أقول في صدق:
ـ لا أنا بتكلم جد.
ـ مين؟
ـ دا يبقى الراجل اللي كان معايا إمبارح في التليفزيون..
فتحت عينيها عن آخرهما في ذهول وقد تذكرت شكله فهتفت غير مصدقة:
ـ دا البيه بتاع الأعمال؟
ـ أيوه هو.
ـ وإيه اللي جابه عندنا وإيه اللي عمل فيه كدا؟

ـ أنا خطفته من المستشفى.
عادت لتضرب بيدها على صدرها وهي تصرخ:
ـ يا لهوي !!
ـ أسكتي وافهمي يا (سعدية)، أنا مش ناقص.
أومأت برأسها مذعنة، وفتحت عينيها عن أخرهما تنظر لي في محاولة للفهم، فعدت أقول:
ـ الراجل الساحر المغربي اللي كان موجود دا عملّه عمل.
أشاحت بيدها وكأنها تبعد عن نفسها شراً ما وهي تتمتم بكلمات لم أسمعها ..
ـ المهم وهو خارج من التليفزيون قام أتوبيس خبطه.
ـ يا ساتر، وبعدين؟
ـ أنا يا ستي رحت اطمن عليه في المستشفى علشان كنت خايف يكون جراله حاجة وتضيع مني الشقة، وحظي بقى إني وأنا واقف بره الأوضة أسمع حد بيخطط علشان عايز يقتله معرفش ليه، قمت هربته من المستشفى وأخدته معايا.
ـ إيه كل دا يا (راضي)؟ دا ولا الأفلام.
ـ هو كدا يا سعدية اللي حصل بالظبط.
ـ طيب ما بلغتش البوليس ليه؟
ـ معرفش بقى بس أستاذ (رامي) نصحني استنى لأني مش هعرف أسلك في وسط الناس الكبار دول وهيتهموني بإني خطفته وهروح في داهية، و(سعيد) فاقد الذاكرة ومش هينفعني في حاجة.
ـ والعمل إيه؟
ـ هقولك أنا اتفقت على إيه مع أستاذ (رامي).
نظرت لي في انتباه تريد أن تعرف ما الذي سنفعل في هذه الكارثة، بينما أتانا صوت جلبة قوية من الشارع جعلتنا نصغي السمع، لأجد صوت (سعيد) يهتف مستنجداً باسمي في فزع..

يوميات سعيد (١٥):المشهد الثلاثون

هتفت أستنجد بذلك المدعو (راضي) وأنا أنظر إلى المختل الواقف أمامي مشهراً سلاحه في وجهي بينما يضيق عينيه ويمد رأسه نحوي كأنه يتفحصني من وراء "ميكروسكوب"، وهو يقول:

ـ اسمك إيه ياد؟

ـ قلتلك اسمي (منصور) حضرتك.

لوح بمطواته في وجهي وهو يقول:

ـ (منصور) مين و إيه اللي جابك حارتنا؟

ـ أنا قريب أستاذ (رامي).

ـ بتاع التاريخ؟

ـ أيوه.

ـ طيب مش عيب تدخل الحارة من غير ما نعمل معاك الواجب؟

ـ ربنا يخليك متشكرين.

ـ لا ما يصحش أبدا.. هات الفلوس اللي معاك.

ـ نعم؟

ـ بقلك هات الفلوس اللي معاك ياد.

وضعت يدي في جيوبي أبحث عن أي شيء فلم أجد ما يمكن أن يسكت ذلك الرجل، في حين رأيت (راضي) و(سعدية) يخرجان مسرعين من المنزل يتبعهما (رامي)، ليقف الجميع حولي مستفسرين عما يحدث.. ونظر (راضي) إلى البلطجي المخمور وهو يقول:

ـ إيه يا معلم (شوقي) الراجل دا ضيفنا.

التفت إليه (شوقي) مشيراً بالمطواة وهو يقول في حدة:

ـ ضيفك يبقى تدفع إنت.

كان قد التف حولنا مجموعة لابد أنهم من أهل الحارة ومن نفس

النوعية التي تستمتع بمشاهدة مباريات المصارعة المزعومة، ووقفوا ينتظرون ما الذي سينتهي إليه ذلك الأمر، ولابد أنهم تعودوا ذلك من البلطجي حتى أن الأمر لم يكن مزعجاً لهم بقدر ما لمحت في وجوه بعضهم الاستمتاع بما يجري..

ـ عيب يا (شوقي) دا إحنا ولاد منطقة واحدة.

قالها (رامي) في لوم محاولاً إقناع ذلك البلطجي الذي هز رأسه في لامبالاة موجهاً كلامه إلى (راضي) قائلا:

ـ لا منطقة ولا كلام من دا، مش اللي بيشتري حاجة من بلاد بره بيدفع عليها جمرك؟ أنا بقى عايز جمرك على الراجل دا.

كنت قد توترت وأحرجني ذلك الموقف كثيراً، فاستجمعت شجاعتي وأنا أقول:

ـ جمرك إيه يا مختل !

لابد أن الكلمة قد أصابت شيئاً بداخله، إذ نظر لي متسائلاً في غضب وهو يقول:

ـ أنا مختل؟

قالها ورفع مطواته ثم طوحها في وجهي يريد إصابتي.. لم يكن الموقف يحتمل الكثير من التفكير، وفي رد فعل تلقائي وجدتني أمسك بذراع (شوقي) لأضرب كفه بركبتي لأسقط المطواة من يده ثم أوجه ركبتي مرة أخرى إلى بطنه ليطلق الرجل صيحة ألم قوية قبل أن يسقط مكوماً على الأرض أمامنا دون حراك..

ـ يا نهار أسود.

قالها (راضي) وهو ينظر في فزع إلى الرجل الملقى أرضاً غير مصدق لما حدث..

ـ الله عليك يا بطل، أيوه كدا خليه يتلم شوية.

قالها رجل مسن يقف إلى جواري بينما أطلقت (سعدية) زغرودة، تبعتها أخريات من الشرفات حولنا ابتهاجاً بما حدث..

ـ إيه اللي حصل يا (منصور)، إيه اللي وقعك في سكة (شوقي).
سألني (راضي) في توتر، وأنفاسه تختلج من الذعر..
ـ دا راجل مختل، كويس إننا ضربناه.
ـ يا نهار أسود، إنت اللي ضربته يا عم.. هو إحنا ناقصين مصايب !
قالها (راضي) وهو يضع يده فوق رأسه، بينما تدخل (رامي) مشجعاً وهو يقول:
ـ برافو عليك يا (منصور)، دا بلطجي وكان لازم حد يلمه من زمان.
قلت في عدم فهم:
ـ بلطجي؟
عاد (رامي) يقول في غيظ:
ـ آه، ومسجل خطر كمان.
كان الرجال يلتفون حول الرجل الملقي أرضا ينظرون إليه في شماتة واستمتاع بتلك الإهانة التي لحقت به، والأطفال يملأون الحارة صياحا وضجيجاً..
ـ أنا خايف لما يفوق يعمل حاجة.
عاد (راضي) ليتحدث بنفس لهجته المذعورة طوال الوقت حتى بدأت أظن أنه لا يتوقف عن الخوف والقلق من كل شيء، بينما قال (رامي) في لهجة متحدية:
ـ ولا هيقدر يعمل حاجة.
ـ إنت راجل مية المية على فكرة.
إلتفت إلى صاحب الصوت لأجد رجلاً ضخماً يرتدي جلباباً شعبياً رمادي اللون يبتسم في سعادة لتبدو أسنانه الصفراء من تحت شارب كبير لم أره إلا في الأفلام العربية القديمة، اقترب وربت على كتفي مشجعاً، فقدمه (رامي) لي على أنه صاحب المنزل الكبير على ناصية الحارة، وكذلك المقهى، المعلم (حسونه).. شكرته على مجاملته، بينما أصر الرجل على استضافتنا في المقهى، وقبلنا على

مضض.. وبجواري جلس (راضي) و(رامي) والمعلم (حسونه) الذي بدأ يحاول التحري عني وخاصة أنه كما أخبرني (راضي) هامساً يعتبر نفسه جهاز مخابرات الحارة ولا يقبل أن يمر شيء من تحت أنفه دون أن يعرف أدق تفاصيله..

كان ذلك البلطجي قد أفاق من إغماءته دون أن يحدث شيئاً من الشغب، ثم ذهب مبتعداً في صمت، ويبدو أنه كان مازال تحت تأثير مخدر ما جعله لا يقوى حتى على محاولة رد كرامته المهدرة بأي شيء..

ـ تشرب إيه يا أستاذ..

قالها (حسونه) وهو يمد في حروف كلمة أستاذ وكأنها سؤال، فأسرع (رامي) يخبره أن اسمي هو (منصور) وأنني أحد أقرباءه من المنوفية، وأنني جئت لقضاء بعض المصالح في القاهرة..

ـ شرفت ونورت يا أستاذ (منصور).

ـ الله يخليك يا معلم.

قلتها ثم نقلت بصري بين (رامي) و(راضي) وكأنني أتعجلهم تخليصي من ذلك الموقف، فقال (راضي) مبتسماً موجهاً لكلامه للمعلم (حسونه)..

ـ معلش يا معلم خليها وقت تاني، إحنا كنا لسه هنطلع نفطر..

قفز (حسونه) من مقعده صائحاً وكأن (راضي) قد وجه له إهانة:

ـ مش ممكن أبداً.. الفطار ييجي حالا، واد يا (حوده).

أقبل صبي المقهى مسرعاً، فعاد المعلم يقول:

ـ تروح تجيب أحلى فطار للبهوات وبسرعة.

ـ ماشي يا معلم.

ـ يلا بسرعة.

قالها وضربه بكف يده ضربة خفيفة على قفاه فانطلق الفتى يعدو مسرعاً ليحضر الإفطار.

ـ مكانش ليه لزوم يا معلم، الأكل فوق محدش قرب منه لسه.
قالها (رامي)، فهز المعلم رأسه في إصرار وهو يقول:
ـ ما تجيش أبداً.
تعجبت من تلك الضربة التي ضربها (حسونه) للفتى وتذكرت أنني أحد الرجال الثوريين المطالبين بحقوق الفقراء، فكيف أصمت على إهانة كهذه، فنظرت للمعلم وأنا أقول في حزم:
ـ إنت ليه بتعامل الصبي بتاعك كدا يا معلم؟
لم يفهم الرجل ما أعنيه ولكنه نظر لي متعجباً وقد قطب حاجبيه:
ـ إزاي يعني؟
ـ إنت ليه ضربته دلوقتي؟
اضطرب (راضي) في كرسيه وهو يقول في سرعة محاولاً تبسيط الأمر:
ـ لا دا مش ضرب، دا المعلم بيهزر يا (منصور).
قال (رامي) على الفور:
ـ لا ضرب وإهانة طبعا.
عدت أقول مؤكداً:
ـ أيوه دي إهانة لإنسانيته طبعاً.
نظر لنا (حسونه) في عدم فهم، وفي عينية نظرة قاسية، سرعان ما تلاشت لتحل محلها ابتسامة قبل أن يقول:
ـ عندك حق والله يا أستاذ، الواحد لازم يعامل الموظفين بتوعه بحنية شوية برضه، إنتوا منورينا والله.
التفت (راضي) نحوي في استنكار لم أفهم إن كان يعني تعجباً من موقفي المدافع عن صبي المقهى أم من شيء آخر! ورأيت أن أؤجل تساؤلاتي قليلاً حتى أعرف المزيد عن نفسي التي لا أعرفها بعد..

يوميات راضي (١٦):المشهد الواحد والثلاثون

تساؤلات كثيرة دارت بذهني وأنا أشاهد (سعيد) يفعل ما يفعله، يدافع عن حقوق رجل بسيط وكأنه يصدق أنه ذلك الرجل الثوري والممثل البسيط، ونظرت إليه وهو يأكل معنا في استمتاع بتلك الأصناف الشعبية التي اعتدناها، وتلك الضحكات التي كانت تخرج من قلبه وهو يستمع إلى نكات (رامي) وتعليقات (حسونه)، وتساءلت بيني وبين نفسي، ما الذي يلوث الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فيحولهم من تلك الطيبة والنقاء، إلى قلوب قاسية لا تعرف الرحمة، وكيف يتحول الرجل من حال إلى حال لمجرد حادث أصابه؟ وتذكرت أنني سمعت في إحدى خطب الجمعة أن الشيطان كان ملاكاً في يوم من الأيام، وأن نفسه هي التي أغرته وسولت له فأصبح ذلك اللعين الذي ينتظر العذاب..

ابتسم (سعيد) قائلاً وهو يقضم قرصاً من الطعمية:

ـ حلوة أوي دي.

أومأ (رامي) مؤيداً وهو يقطع رغيفاً من الخبز:

ـ آه طبعا دي الطعمية اللي انت بتحبها.

تناول (سعيد) لقمة ليلتقط بها بعض الفول وهو يقول:

ـ فعلا دي حلوة جداً، كمان البتاع التاني دا تحفة.

ضحك المعلم (حسونه) وهو ينظر إلى (سعيد) الذي يأكل في نهم، ثم التفت إلى (رامي) وهو يقول:

ـ بالهنا والشفا، الفول بتاع عمك زناتي دا لا يعلى عليه.

قال (رامي) في استمتاع وبفم مليء بالطعام:

ـ أكيد.

نظرت إليهم وابتسمت، كان الأمر جدير بالتأمل حقاً.. من يتخيل أن أجلس أنا مع (سعيد حسين) على طاولة في مقهى شعبي نتناول

الفول والطعمية سوياً..
وعندما أنهينا الطعام جلس (سعيد) مستمتعاً وهو يشرب الشاي وقد نسي تماماً أمر فقدانه للذاكرة وكأنه تعود في لحظات على كيانه الجديد، حتى أنه لم يهتم أن يقطع متعته بتلك الجلسة ليسألني أو يسأل (رامي) شيئاً عن نفسه..
وسريعاً مر الوقت، حتى أنني عرفت أن صلاة الظهر قد اقتربت عندما رأيت الشيخ (عادل) متجها إلى المسجد كما أعتدنا أن نراه يفعل قبل الصلاة بدقائق_ منذ ترك وظيفته كمندوب مبيعات منذ عدة أشهر وقد أغلقت الشركة التي كان يعمل بها بعد أن تسببت منتجات العناية بالشعر التي يروجون لها في سقوط شعر رأس عدد من النساء، ومعظم شعر رأسه هو شخصياً، وربما يكون قد قرر إطلاق لحيته بعد ذلك على سبيل التعويض_ فنظرت إلى المعلم (حسونه) وأنا أقول:
ـ أنا كدا الحمد لله، هقوم بقى أتوضى علشان صلاة الظهر.
ونظرت إلى (رامي) المنهمك في الطعام وأنا أقول:
ـ هصلي وأبقى أرجعلكم تاني.
زفر المعلم (حسونه) بعض دخان الشيشة من رئتيه، ثم تذكر شيئاً فقال في سرعة قبل أن أنصرف:
ـ صحيح يا(راضي) العيال قالولي إنك طلعت في التليفزيون إمبارح.
ـ آه يا معلم، في برنامج أستاذ (أحمد سعد)؟
ضرب كفاً على كف وهو يقول:
ـ خسارة مشفتش البرنامج إمبارح كنت بشتري بضاعة للقهوة.. بس الواد (حوده) قالي انك كسبت شقة، الكلام دا صحيح.
هزت رأسي نفياً وأنا أقول وقد رسمت على شفتي ضحكة لابد أنها خرجت ممتزجة بالحزن:
ـ ما كسبتش شقة ولا حاجة يا معلم، دول هيوظفوني ولو اشتغلت

كويس هيسلموني شقة بالقسط.
ابتسم (حسونه) في جذل وهو يقول:
ـ طيب حلو أوي.
ثم عادت حاسته المخابراتية لتعمل من جديد وهو يقول في شك:
ـ مش كان المفروض تروح تستلم النهاردة برضه؟
ـ الواد (حوده) قالك برضه؟
ـ آه
ـ لا كلموني وأجلوا الميعاد يومين كدا يا معلم.. أنا هروح بقى أتوضى في الجامع قبل الزحمة وبعدين نتكلم.
قلتها وأنا أقوم من مقعدي كي لا يستمر المعلم (حسونه) في أسئلة لا تنتهي، فنفض (سعيد) يديه من الطعام وهو يقول:
ـ خدني معاك..
ثم قام في سرعة وهو ينظر إلى (رامي) قائلاً:
ـ مش هتصلي يا (رامي)؟
وانطلق (رامي) يسعل في قوة وقد توقفت لقمة من الخبز في زوره. أحمر وجهه حتى كاد يتحول إلى لون ثمرة الطماطم،وقفز المعلم (حسونه) من مقعده وقد رفع أحد حاجبيه في تعجب، وهو ينقل بصره بين ثلاثتنا وقد بدأت حواسه المخابراتية في إطلاق أجراس الإنذار..

يوميات سعيد (١٦):المشهد الثاني والثلاثون

كنت مستمتعاً إلى درجة لم أعرفها من قبل، رغم أنني لا أذكر ما الذي كنت أحياه، إلا أن شعوراً في قلبي جعلني أدرك أنه ربما تكون هذه البداية الجديدة ما هي إلا فرصة قُدمت لي، ولا توهب في الحياة إلا لذوي الحظ السعيد..

أن تُمحى ذاكرتك فتنسى كل ما مررت به من سوء وألم وذكريات حزينة، ألا أتذكر فقداني لعائلتي ولا الثأر الذي أهرب منه ولا حياتي الفقيرة البائسة وعملي كممثل كومبارس صامت لم يرى أحد تفاصيل وجهي على الشاشة من قبل..

هي لابد فرصة رائعة على أن أستمتع بها قدر المستطاع، فما الذي يدريني متى تعود لي ذاكرتي وما الذي سأذكر..

نظرت إلى (راضي) وقد قام يريد أن يذهب للصلاة.. لا أذكر حقاً هل كنت أصلي من قبل أم لا، إلا أنني في تلك اللحظة شعرت أنني أريد أن أفعل هذا وبشدة، أريد أن أتوضأ وأقف أمام ربي في لحظة كهذه وأنا بريء من كل ذنوبي وسيئاتي..

وتعجبت عندما رأيت (راضي) الذي تسمر في مكانه، و(رامي) الذي أخذ يسعل في قوة ويمسح عرقه المتصبب ويفتح أزرار قميصه وكأنه يختنق حتى بدت من تحت القميص تلك السلسلة الفضية..

وتنبهت أن السلسلة تحمل صليباً كبيراً حاول (رامي) إظهاره قدر المستطاع كي ألحظه وقد أنتفض المعلم (حسونه) واقفاً من مقعده وقد شك في الأمر، فأسرعت أقول محاولاً إنقاذ الموقف:

ـ هو مفيش كنيسة قريبة من هنا يا (رامي).

هدأت ملامح المعلم (حسونه) فجأة وابتسم وهو يقول:

ـ آه في الشارع اللي ورانا الكنيسة الكبيرة بتاعة المنطقة.

تنفس (راضي) الصعداء بعد أن كاد يغشى عليه من كمية الأدرينالين

التي لابد أنها تدفقت في دمائه من التوتر.. وتوقف (رامي) عن السعال وهو يقول:
ـ آه يلا بينا.
عدت أقول وأنا أبتسم موجها كلامي إلى المعلم (حسونه):
ـ طيب يا معلم هنروح نصلي إحنا كمان بقى.
أشار لنا المعلم (حسونه) مؤكدا وهو يقول:
ـ اتفضلوا يا بهوات، بس أشوفكم تاني بالليل على القهوة.
ـ إن شاء الله يا معلم.
قالها (راضي) وهو ينطلق إلى المسجد.. بينما تحركت مع (رامي) متوجهين إلى الكنيسة التي تطل قبتها من نهاية الحارة.. وما أن ابتعدنا حتى أخذ (رامي) نفساً عميقا وهو يقول:
ـ كنت هتودينا في داهية، المعلم (حسونه) دا راجل رزل أوي ومش بيفوت حاجة من غير ما يقعد يدقق فيها، عمرك شفت معلم بيقرا قصص شيرلوك هولمز؟
هززت رأسي نفياً وأنا أقول:
ـ مش عارف.
ـ هو الراجل دا بيقرا قصص طول النهار على القهوة وبيحاول يطبق الكلام دا على الزباين، دا مرة مسك زبون وقعد يحقق معاه طول النهار علشان الراجل كان بيلبس في الضلمة وغلط ولبس فردتين شراب لونين مختلفين.
ضحكت وأنا أقول غير عابئ بالأمر:
ـ شكله راجل نكتة.
ـ هو فعلاً راجل نكتة بس يودي في داهية، إنت ناسي إن فيه حد عايز يقتلك ومش المفروض حد يشك فيك ولا يعرف يوصلك لغاية ما نشوف هنعمل إيه.
ـ ما تقلقش أوي كدا.

احتدت نبرته قليلاً وهو يقول:
ـ لا ما تاخدش المواضيع ببساطة، إنت صحيح فاقد الذاكرة ويمكن مش فاكر مشاعر الخوف، لكن صدقني مشاعر الألم مش محتاجة ذاكرة.
ـ يعني إيه؟
ـ يعني لو الناس دي عرفت مكانك أو حد شك فيك والخبر انتشر في الحارة مش هنعرف نلم الموضوع، ولو حد من الناس اللي بتدور عليك عرفت توصلك الموضوع هيبقى خطر جدا.
أومأت برأسي مذعناً وقد بدأ التوتر ينتقل إلى قلبي من كلامه وطريقته في الإلقاء..
ـ خلاص، بس أنا فيه حاجات كتير عايز أفهمها.
ـ أول ما نرجع هفهمك كل حاجة.
قطبت حاجبي في تعجب وأنا أقول:
ـ نرجع منين؟
ـ من الكنيسة يا (منصور).
ونظرت له غير مصدق ونحن نستمر في السير تجاه الكنيسة..

يوميات راضي (١٧):المشهد الثالث والثلاثون

كان الجميع قد انصرف بعد أداء الصلاة إلا عدد قليل من الشيوخ التف بعضهم في حلقة صغيرة و قد أمسكوا بالمصاحف يتلون بعض الآيات سوياً، بينما جلس البعض الآخر متفرقين يسبحون في صمت، وجلس الشيخ (عادل) في أحد الأركان قريباً مني، ورأيت احد شباب الحارة يتجه إليه ليلقي التحية ويجلس..

ـ ازيك يا شيخ (عادل).

ابتسم (عادل) مرحباً وهو يجيب الشاب في ود:

ـ الحمد لله، في نعمة.

كان (عادل) في بدايات العقد الثالث من عمره، ممتلئ الجسم، مبتسم القسمات، تبدو في جبينه علامة السجود بشكل واضح رغم أنها لم تكن موجودة منذ شهور قليلة..

ـ كنت عايز أسألك على حاجة.

قالها الشاب فأومأ (عادل) برأسه في ترحاب وشفتيه تتحركان بالتسبيح، فعاد الشاب يقول:

ـ إمبارح حلمت حلم كدا مش عارف تفسيره إيه.

ـ خير حلمت بإيه؟

ـ حلمت إني كنت باكل بامية.

رفع (عادل) حاجبيه في تعجب وهو يكرر الجملة:

ـ بتاكل بامية؟

ـ آه يا شيخ.. هي البامية فيها حاجة تقلق؟ أنا كنت شاكك برضه؟

هز (عادل) رأسه نفياً وهو يقول:

ـ لا مش قصدي أنا مستغرب على الحلم اللي فيه طبيخ دا.

ـ هو دا اللي حصل.

ـ طيب وبعدين.. كمل.

ضيق الشاب عينيه وكأنه يحاول التذكر ثم عاد يقول:
ـ اللي فاكره إن البامية كانت حلوة أوي وأنا قعدت آكل كتير.. والبامية كانت بايتة، أصل أنا بحب البامية البايتة أوي.
ـ وبعدين.
ـ وبس يا شيخ.
أومأ (عادل) في هدوء بطريقة العارف بالأمور وهو يقول:
ـ إنت تقوم تخرج دلوقت تشتري كيلو بامية من (أم حنفي) وتطلع للوالدة تخليها تعملك حلة بامية، تاكل منها وتاخد طبق توديه لواحد من جيرانك.
أومأ الشاب مطيعاً وهو يقول:
ـ حاضر يا شيخ.
ـ ربنا معاك، اعمل زي ما قلتلك وإن شاء الله خير يجيلك قريب جدا.
ابتسم الشاب في سعادة وهو يقول:
ـ الله عليك يا شيخ عادل، ربنا يسعدك.
قالها ثم قام مسرعاً، ولابد أنه ذهب متجهاً لشراء البامية، فاقتربت من الشيخ (عادل) وسلمت وجلست إلى جواره وأنا أقول:
ـ قولي يا شيخ هو تفسير موضوع البامية دا إيه؟
ابتسم وهو يقول:
ـ معناه إنه جعان يا (راضي) ونفسه في البامية.
ـ جعان؟
ابتسم (عادل) ساخراً وهو يقول:
ـ الناس فاكرة علشان ربيت دقني خلاص بقيت شيخ وجايين يسألوني في تفسير الأحلام والفتاوي، دا أنا سايب دقني بس علشان ما أبقاش أقرع فوق وتحت.
ـ طيب بتعمل إيه معاهم؟
ـ أنا مش برد على الفتاوي إلا اللي سمعته بالنص قبل كدا ومتأكد

منه، ما أنا مش هضلل الناس، بس الواد دا أنا عارفه مش هيفهم لو قلتله معرفش وهيفتكر إني ببخل عليه بالمعلومة.
ابتسمت وأنا أقول:
طيب وإيه موضوع إنه يطبخ ويودي للجيران والكلام دا.
ـ طبخة البامية مش هتضر، واهو خير برضه لما يأكل حد من جيرانه.
ـ عندك حق، بس ياريت تبقى باللحمة هتبقى أحلى.
ـ آه طبعا. بس بقى يا (راضي) بلاش تجوعني.
ضحكنا في صوت خفيض إحتراماً للمسجد قبل أن أتذكر ما جئت من أجله فقلت على الفور:
ـ أنا كنت جاي علشان أسألك على حاجة.
نظر لي في استنكار قائلاً:
ـ حتى إنت يا (راضي)؟
ـ يا سيدي اسمع، الموضوع مش فتاوي.
ـ أمال إيه؟
خفضت صوتي قدر المستطاع وأنا أقول:
ـ عايز أسألك على موضوع السحر.
قطب حاجبيه في تعجب وهو يقول:
ـ سحر إيه؟
ـ عايز حد يفك عمل لواحد صاحبي.
ـ عمل إيه بس وكلام فارغ إيه يا (راضي).
عدت أقول مؤكداً وأنا أحاول أن أضفي على طريقتي في الكلام أكبر قدر من الجدية:
ـ يا عم صدقني أنا بتكلم جد، فيه واحد عمل سحر لواحد صاحبي ولازم أفك العمل دا وإلا هضيع.
ـ طيب إنت تضيع ليه؟

ـ هضيع وخلاص، تعرف حد بيفك الأعمال؟
ـ لا معرفش، هو السحر مذكور في القرآن طبعا مفيش إنكار للموضوع، لكن أنا متهيألي معظم الناس اللي بتعالج دول دجالين ومش هقدر أفيدك.
قلت في عتاب:
ـ ماشي يا شيخ (عادل).
ـ يا سيدي دا أنا لسه بقولك الناس فاكراني شيخ وبتزعل لما مش بجاوب تقوم إنت كمان..
قاطعته في يأس وأنا أقوم من مكاني:
ـ خلاص أنا هتصرف يا عم (عادل).. سلام.
قلتها وانصرفت على الفور لأعرف ما الذي حدث مع (سعيد)، وأبحث عن فكرة جديدة لحل الأمر، أو شخص يعرف كيف يدلني على الطريق لإنقاذه وإنقاذ نفسي من الضياع..

يوميات سعيد (١٧):المشهد الرابع والثلاثون

ـ كنت هتضيعنا يا راجل.
قالها (رامي) بمجرد دخولنا إلى الشقة وهو يرتمي على أحد المقاعد، في حين جلست على المقعد المجاور وأنا أقول في إجهاد:
ـ وأنا هعرف منين يعني، أنا مش فاكر حاجة خالص.
تنهد (رامي) وهو يقول مؤيداً:
ـ عندك حق دي مش غلطتك، بس كويس إنك عملت نفسك دايخ، بدل ما تفضحنا في الكنيسة كمان.
ـ أكيد دي بقى كانت هتبقى مصيبة.
قلتها وأنا أضع يدي على رأسي من الألم، فنظر لي (رامي) وهو يقول في إشفاق:
ـ إحنا لازم نغيرلك على الجرح دا على فكرة.
ـ هنروح المستشفى؟
هز (رامي) رأسه نفياً وهو يقول:
ـ لا مش لازم مستشفى، هنبقى ننزل الصيدلية وهيغيرولك على الجرح.
ـ ماشي.
ـ طيب تحب ترتاح شوية دلوقتي؟
ـ أنا محتاج فعلا أرتاح، بس أنا كنت عايز أسألك يا (رامي)، هو أنا كنت عايش لوحدي؟
ـ آه.
ـ يعني مكنتش متجوز ولا خاطب ولا أي حاجة؟
تعجب من سؤالي ولكنه صمت لجزء من الثانية قبل أن يقول:
ـ لا بس اشمعني؟
ابتسمت وقد تذكرت تلك المرأة التي رأيتها في الحارة اليوم..

ـ طيب قولي يا (رامي).. هي الست اللي كانت موجودة مع (راضي) الصبح دي مين؟
قطب حاجبيه متسائلاً:
ـ (أم حنفي)؟
ـ لا يا راجل أنا بتكلم عن الست التانية اللي كانت واقفة على الباب لما البوليس دخل.
ـ آه.. إنت تقصد (سعدية).
قالها ثم ضيق عينيه ونظر لي في شك وعاد ليقول متسائلاً:
ـ بس بتسأل عليها ليه؟
قلت في بساطة محاولاً صرف انتباهه:
ـ لا مجرد سؤال، أنت عارف أنا مش فاكر حاجة خالص.
ضحك (رامي) وهو يقول:
ـ إنت بتفكر في إيه ولا إيه بس، واحد لسه قايم من حادثة ومش فاكر حاجة وبيفكر في الجواز وبيسأل على واحدة.
ضحكت في خجل وأنا أقول:
ـ دا مجرد سؤال يا سيدي ما تكبرش المواضيع.
أومأ برأسه قبل أن يقول محذراً:
ـ ماشي.. بس إنسي الست دي خالص، دي (راضي) متكلم عليها.
ـ يعني إيه متكلم عليها؟
ـ متكلم عليها يعني زي خاطبها كدا.
قلت في تفهم وقد تذكرت ما حدث من طريقة كلامه معها:
ـ حاضر أنا كنت بسأل بس.
ـ ماشي.
ـ طيب هو أنا عندي بيت أكيد صح؟
قال (رامي) في سرعة محذراً وكأنه لا يريدني حتى أن أفكر في الأمر:

ـ ما تفكرش إنت ساكن فين خالص دلوقتي، أكيد الناس اللي عايزة تقتلك عارفين مكان سكنك.
ـ أمال هعمل إيه وهعيش إزاي؟
ـ إنت هتقعد عندي مؤقتا لغاية ما نشوف هنحل المشكلة دي إزاي.
ـ وهدومي؟
نظر إلى ملابسي وهو يقول:
ـ أنا مقاسي مش هينفعك، هجيبلك هدوم من (راضي)، تمشي نفسك بيهم اليومين دول.
قلت في استسلام:
ـ زي ما تشوف.
قام (رامي) واختفى لحظة بالداخل ثم خرج وبيده جلباب رمادي اللون، ألقاه إلي ثم قال:
ـ خد إلبس دي مؤقتاً علشان تنام فيها.
التقطت الجلباب وتفحصته لحظة قبل أن أقول:
ـ ماشي، وهنام فين؟
أشار إلى حجرة تطل على الصالة وهو يقول:
ـ الأوضة دي فيها سرير تقدر تنام فيها وهتلاقي ملايات نضيفة في الدولاب اللي جوه.
قلت في امتنان:
ـ شكرا بجد يا (رامي)، أنا مش عارف من غيركم كنت هعمل إيه.
ـ ما تقلقش، ارتاح علشان فيه حاجات كتير لازم نفكر فيها بعد كدا، أنا كمان هدخل أريح ساعة بعد القلق بتاع النهاردة.
قالها (رامي) مبتسماً في حين أومأت برأسي مؤيداً قبل أن ينصرف. مددت يدي لأفتح باب الحجرة الذي أصدر صريراً عاليا ربما بسبب عدم فتحه لمدة طويلة..
ثم دخلت إلى الحجرة، كان هوائها راكداً، فقمت بفتح الشرفة قليلاً

حتى يدخل ضوء الشمس وتغير الغرفة هوائها..
ونظرت إلى الحارة..
وسرحت لحظات وأنا أتأمل هؤلاء الناس في كل مكان..
كيف يمكن لإنسان أن يفقد كل تاريخه في لحظات.. تختفي ذاكرته فيُمحى من الوجود كل ما يعرف وكل من يحب وحتى من يكره..
يختفي من حياته الخوف على المستقبل لأنه ليس لديه ما يخسره، ويبدأ في قلبه خوف جديد من نوع أخر لأنه لم يعد يعلم لنفسه مستقبلاً من الأساس..
ويختفي الحزن على آلام مضت لأنه لم يعد يذكر في حياته أي ألام أو أحزان ويبدأ حزن من نوع جديد على حياة خاوية من المشاعر..
هل هي نعمة أن يبدأ المرء حياته من جديد؟ صفحة بيضاء بلا ماض.. وهل يغفر الله لمن فقد ذاكرته فاختفت حياته الماضية بذنوبها..
أم أن ما حدث نقمة وعقاب حيث لم تعد هناك فرصة لتذكر الذنوب كي نتوب منها..

يوميات راضي (١٨):المشهد الخامس والثلاثون

- دا أكيد عمل ذنب في حياته خلاه يقابل الشيخ دا ويشقلبله حاله كدا.

قلتها مؤكداً فنظر لي (رامي) في غيظ وهو يقول:

- برضه عايز تربط الموضوع بالسحر والكلام الفارغ دا يا (راضي)؟ اللي حصله دا لو مصمم تربطه بحاجة ممكن تقول جزاءه على البلاوي اللي عملها في حياته مثلاً، لكن تفسره بالأعمال والدجل والكلام دا لا طبعاً مش معاك.

هززت رأسي معترضاً وأنا أقول في تأكيد:

- إنت ما تعرفش حاجة في الموضوع دا، السحر مذكور في القرآن.. وفي كل حاجة يعني صدقني، هو مش كان فيه سحرة جابهم فرعون لسيدنا موسى.

أومأ برأسه معلناً تأييدي وهو يقول:

- أكيد السحر موجود، لكن الناس الموجودة دلوقتي دول كلهم دجالين، والراجل اللي انت بتتكلم عليه مستحيل يكون ساحر أصلا بالكورة الإزاز اللي بتقول عليها دي.

- لا ساحر صدقني.. طيب هقولك.. هو الراجل اللي اسمه (سعيد حسين) دا كان بيهده حاجة؟ تفسر إزاي اللي حصله من ساعة ما خرج من البرنامج.

- دي صدف يا (راضي) وبعدين لو ساحر يعني ما هو عملك تعويذة ولا معرفش إيه انت كمان، حالك ما اتشقلبش ليه؟

قلبت يدي وأنا أقول مبرراً:

- والله يا (رامي) ما فيه حاجة بتنفع معايا ولا السحر حتى، دا أنا منحوس من يومي.

- يا راجل بطل الهبل دا بقى.

قالها وهو يلقي نظرة على الحجرة التي ينام بها (سعيد) يتأكد من إغلاق الباب، قبل أن يخفض من صوته وهو يقول:

ـ فيه كارثة حصلت كنت عايز أقولك عليها.

ـ كارثة إيه تاني أكتر من كدا؟

تلفت حوله باحثاً عن الجريدة ثم قام ليأتي بها من على منضدة صغيرة بأحد الأركان، ثم عاد ليجلس وهو يقلب صفحاتها حتى استقر على خبر ما، فثنى الجريدة عند تلك الصفحة وأعطاها لي وهو يقول:

ـ شوف الخبر دا في الجرنان النهاردة.

أمسكت بالجريدة في قلق، وأنا أقول:

ـ خير؟

ثم مررت بعيني مسرعاً أقرأ الخبر المكتوب.. كان عن الحادث الذي أصاب سعيد ووجوده في حالة حرجة ونقله إلى منزل العائلة لتلقي العلاج..

ورفعت رأسي إلى (رامي) وقد ازددت حيرة:

ـ يعني إيه الكلام دا؟

ـ معنى الكلام يا (راضي)، إن فيه كارثة بتحصل وإن فيه تكتيم من أسرته على موضوع الخطف من المستشفى.

عدت أقول طالبا المزيد من التوضيح:

ـ يعني إيه برضه؟

عاد (رامي) يقول وهو يضغط علي حروف كلماته بطريقة زادت من توتري:

ـ لو الكلام اللي بتقول إنك سمعته من الراجل في المستشفى سليم يبقى عايزين يخلصوا من (سعيد) فعلاً بشكل رسمي، إعلان إصابته وبعدين وفاته، وكل شيء ممكن يخلص بحيث إن (سعيد) الموجود معانا دلوقتي ما يبقاش ليه وجود في الحياة، ولو ظهر في أي وقت هيخلصوا منه من غير ما حادثة القتل تعمل دوشة للرأي العام.

تجمدت في مكاني أنظر إلى (رامي) في ذهول..
ـ هما ممكن يعملوا كدا فعلا؟
ـ وإيه اللي يمنع؟
ـ عندك حق.
ـ من وجهة نظري هو يستاهل أكتر من كدا.
قالها (رامي) متشفياً، فأحسست ببعض الإشفاق على ذلك الرجل رغم ما سمعت عنه..
ـ بس الراجل اللي جوه دا مش (سعيد حسين) اللي بنتكلم عنه يا (رامي).
هز (رامي) رأسه في عدم فهم، فعدت أقول:
ـ الراجل اللي جوه دا (منصور).. واحد مش عارف حاجة في الدنيا ولا يعرف حتى هو مين ولا الناس عايزة تقتله ليه.
قال مترددا:
ـ تفتكر معنى إنه مش فاكر إنه ما يبقاش نفس الراجل الحرامي المستغل.
قلت في حيرة:
ـ معرفش يا (رامي).
تنهد وبدا أنه يشعر بنفس حيرتي فعاد يقول في استسلام:
ـ ولا أنا.
ـ كل اللي أعرفه إننا بنحاول نحمي الراجل اللي مش عارف حاجة عن نفسه دا لغاية ما ترجعله الذاكرة، وبعد كدا زي ما يكون بقى.
أومأ برأسه مؤيداً وهو يقول:
ـ عندك حق يا (راضي).
وصمتنا سوياً لحظات نفكر في الأمر وكيف أن القلوب تتغير بتغير الأحوال، وأن هذا الرجل الذي نحمل في قلوبنا اليوم خوفاً عليه من الضياع هو نفس الرجل الذي كنا نخشى على أنفسنا من سطوته في الحياة قبل ذلك.. يال هذه الدنيا ويال حيرتنا في الحياة بسبب مشاعرنا نحن البشر.

يوميات سعيد (١٨):المشهد السادس والثلاثون

وضع (مجدي) الصيدلي آخر لمساته على الضمادة الطبية الجديدة التي لفها حول رأسي، ثم أبعد وجهه قليلاً ونظر لي يتأمل المنظر العام لرأسي بالضمادة وكأنه رسام ينظر إلى أحد أعماله الفنية ، ثم ابتسم معلناً انتهاء العملية وهو يقول:

ـ كدا إنت تمام، وعلى فكرة الجرح سطحي وهيخف بسرعة، أنا سايب الشاش دا علشان التلوث بس.

وتلفت يبحث عن شيء في أرفف الأدوية المحيطة به من كل مكان، والتقط علبة ما وقربها من عينيه يقرأ المكتوب عليها، ثم مدها نحوي وهو يقول:

ـ خد الدوا دا علشان شوية الكدمات البسيطة اللي في جسمك دي.. قرص واحد كل ست ساعات.

أمسكت بعلبة الدواء من يده وأنا أقول:

ـ شكراً يا دكتور.

ضيق الرجل عينيه ونظر لي في انتباه وكأنه يراني للمرة الأولى رغم أنه يقوم بربط تلك الضمادات حول رأسي منذ نصف ساعة كاملة، ثم قال:

ـ هو أنا شفتك فين قبل كدا؟

ابتسمت وأنا أقول:

ـ في أيام السادات أكيد، كان لسه بيتعرض في التليفزيون.

رفع دكتور (مجدي) حاجبيه وابتسم وهو يقول في سعادة:

ـ إنت ممثل؟ أنا برضه عمال أقول شفتك فين قبل كدا.. فرصة سعيدة يا أستاذ..

قلت على الفور أكمل له جملته:

ـ (منصور سعيد)

ـ أهلا وسهلا.. حضرتك ساكن جديد في الحارة؟
ألقيت نظرة سريعة إلى خارج الصيدلية أبحث عن (راضي) الذي تركني وذهب ليجري مكالمة تليفونية من المقهى القريب وأنا أقول:
ـ لا أنا قريب أستاذ (رامي) وقاعد يومين كدا، الحساب كام ؟
ـ آه.. الحساب كدا خمستاشر جنيه ونص.
أخرجت من جيبي بعض النقود التي أعطاني إياها (رامي) ومددت يدي للدكتور بها شاكراً، ثم ألقيت التحية وخرجت من الصيدلية على عجل متجهاً إلى المقهى أبحث عن (راضي).. وهناك رأيته واقفاً يتحدث في الهاتف، وقبل أن أصل إليه سمعت صوت المعلم (حسونه) يهتف باسمي، فالتفت إليه فأشار لي ثم أقبل مرحباً:
ـ إزيك يا أستاذ (منصور).
بادلته التحية محاولاً الابتسام..
ـ الحمد لله، إزيك يا معلم (حسونه).
أشار لي أن أجلس على أحد الكراسي ثم سحب طاولة معدنية صغيرة، وسألني عما أشرب في إلحاح فوافقت مرغماً على شرب فنجان من القهوة، فهتف منادياً (حوده) كي يأتيه بالشيشة الخاصة وكوبين من القهوة..
ـ إنت نورتنا يا أستاذ.
عاد المعلم (حسونه) يقول مرحباً من جديد، فأجبرت شفتي على الابتسام وأنا أرد التحية، فعاد يقول وهو يشير إلى الضمادة التي تلتف حول رأسي:
ـ إلا هو إيه اللي في رأسك دا؟
ـ دي تعويرة بسيطة.
ـ أيوه من إيه يعني، خناقة؟
ـ لا وقعت في بلاعة.
ارتسمت نظرة ذهول على وجه المعلم وهو يقول متعجباً:

ـ بلاعة؟
ـ آه.. كنت ماشي وبعدين البلاعة كانت مفتوحة والدنيا ضلمة.
- وبعدين.
ـ وقعت، بس الحمد لله الموضوع جرح صغير وشوية كدمات.
كان صبي المقهى قد جاء بالقهوة فوضعها أمامنا ووضع الشيشة الخاصة بالمعلم (حسونه) أمامه، فقدم لي القهوة ثم أمسك بالشيشة ليسحب نفساً عميقا ويخرج دخاناً كثيفاً صنع حاجزاً ضبابياً حولنا وهو يقول:
ـ ومطول معانا في مصر إن شاء الله.
ـ مش عارف لسه يا معلم.. ربنا يسهل.
مددت بصري إلى (راضي) الذي ما زال يتحدث في الهاتف، أتمنى أن ينتهي من مكالمته حتى نذهب من هذا المكان..
ـ بس أنا شفتك قبل كدا أنا متأكد.
ـ ما أنا بشتغل ممثل.
صاح في سعادة وكأنه أقترب من حل لغز يؤرقه:
ـ أيوه كدا.. هو التليفزيون.. أنا أكيد شفتك في التليفزيون.
ـ أكيد برضه.
أحس الرجل أن أسئلته ربما قد أزعجتني، فضحك وهو يقول:
ـ ما تأخذنيش يا أستاذ أصل الفضول دا من فطريات الشعب المصري.
قلت في تعجب:
ـ فطريات؟
ـ آه فطريات.
قلت ساخراً وقد فهمت أنه يقصد الفطرة:
ـ بس دا كدا الشعب عايز علاج.
هز رأسه نفياً وهو يقول:

ـ لا علاج ولا حاجة، قولي بقى مثلت أفلام إيه أحسن دماغي هتفرقع.
ـ هبقى أقولك بس معلش خليها وقت تاني علشان مستعجل دلوقتي.
ـ على فين؟
رشفت رشفة أخيرة من الكوب قبل أن أضعه على المنضدة المعدنية الصغيرة دون أن أجيب سؤاله شاكراً إياه على القهوة وأنا أستعد للمغادرة وقد رأيت (راضي) أنهى مكالمته وأقبل نحوي مسرعاً.. إلا أنه تباطأ فجأة قبل أن يصل إلى حيث أجلس ثم وقف محدقاً في شاشة التلفاز المعلق بداخل المقهى. كان شيء ما يدور على الشاشة لم أستطع رؤيته من الخارج، إلا أن (راضي) وقف مذهولاً يتابع ما يُعرض، وتوترت ملامحه بشكل أزعجني للغاية..

يوميات راضي (١٩):المشهد السابع والثلاثون

كنت أعلم أنني يجب أن أحاول مساعدته على استعادة ذاكرته، هو فقط يستطيع أن يعلم من يتآمر على قتله ممن حوله ومن يمكنه مساعدته بإخلاص، وكان الأمل الوحيد أمامي هو أن أصل إلى ذلك الساحر الذي قلب أحواله وفشل كعادة جميع من حاول قبله في إصلاح شيء من أحوالي..

وأمام هاتف المقهى وقفت ممسكاً بالسماعة أنتظر مستمعاً إلى تلك الرسائل الصوتية الطويلة الخاصة ببرنامج شقلب أحوالك.. كنت أحاول الوصول إلى شخص من فريق الإعداد، فربما استطاع أن يدلني على عنوان أو طريق للوصول إلى الشيخ (أبو حمزة)..

عدة دقائق مرت والرسائل المسجلة الطويلة لا تزال تطالبني الضغط على أرقام معينة للمتابعة..

ونظرت إلى خارج المقهى حيث تركت (سعيد) في الصيدلية يقوم بتغيير ضمادات جرحه، فوجدته قد انتهى وخرج متجهاً نحوي، إلا أن المعلم (حسونه) رآه يمر من أمام المقهى ولابد أنه أصر أن يجلس معه ليشرب شيئاً محاولاً ممارسة هوايته المعتادة في الاستجواب..

كان الأمر شديد الغرابة، حتى أن (سعيد) نفسه لم يكن ليصدق الأمر إذا اخبره أحد قبل أيام أنه سيجالس المعلم (حسونه) على المقهى في حارتنا..

ـ ألو.

جاءني أخيراً صوت حي لامرأة بعد كل تلك الأصوات المسجلة التي أصابتني بالجنون طوال عشرون دقيقة كاملة..

ـ ممكن أكلم الأستاذ (عبد الله)؟

كان الأستاذ (عبد الله) هو اسم ذلك الشاب معد البرنامج الذي تحدث

معي حين كنا في الأستوديو..
ـ معاك برنامج "شقلب أحوالك" إتفضل قول..
قاطعتها في سرعة:
ـ حضرتك أنا عايز أستاذ (عبد الله) ضروري جداً.
قالت المرأة من جديد:
ـ يا فندم دا برنامج شقلب..
عدت لأقاطعها مرة أخرى في حزم:
ـ عارف يا ستي، أنا عايز أستاذ (عبد الله) اللي في الإعداد.
ـ أستاذ (عبد الله جابر)؟
لم أكن أعرف أكثر من اسمه الأول الذي قدم لي به نفسه..
ـ مش عارف بس هو الأستاذ عبد الله اللي في الإعداد.
قالت في روتينية لابد أنها بسبب طول العمل في الرد على الهاتف:
ـ حضرتك تحب تسيب رسالة؟
عدت أقول في حسم ضاغطاً حروف كلماتي بطريقة لابد أنها جعلتها تشعر بأهمية الموضوع:
ـ يا ستي أنا لازم أكلمه شخصياً في موضوع مهم جداً.. أنا (راضي) اللي كنت موجود في حلقة إمبارح وعايزه في موضوع مهم.
صمتت المرأة لحظة قبل أن تطلب مني أن أنتظر، ثم سمعتها تطلب من أحدهم البحث عن الأستاذ (عبد الله).. وعدت لأنتظر على الهاتف من جديد ملقياً نظرة على (سعيد) الجالس يشرب القهوة على مقهى شعبي في حارة من أفقر حارات مصر.. وابتسمت وأنا أتساءل في نفسي عن نوع الحوار الذي يمكن أن يدور بينه وبين (حسونه).. وهل سيتذكر تلك الأيام التي قضاها معنا عندما تعود إليه ذاكرته !
جاءني صوت رجل من سماعة الهاتف بعد دقائق..
ـ أيوه !
ـ أستاذ (عبد الله).. أنا (راضي) اللي كنت في البرنامج إمبارح.

صمت لثانية يفكر ولابد أنه تذكرني إذ عاد يقول في صوت أكثر ترحاباً:
ـ آه.. أهلا يا (راضي).
ـ الحمد لله يا باشا.
قال مازحاً في لطف:
ـ إيه الأخبار.. السحر نفع معاك ولا إيه؟
عدت أقول في أسى:
ـ معايا لا طبعا بس الساحر دا عمل مصيبة.
لابد أنه فهم أنني أقصد حادثة (سعيد)، إذ قال وقد اختفت لهجته المازحة:
ـ إنت عرفت اللي حصل؟
ـ آه عرفت.
ـ إحنا غلطنا فعلاً إننا وافقنا على استضافة الراجل دا.
قالها في حزن حقيقي، قبل أن يتنهد في حسرة:
ـ المهم قولي إنت كنت عايز إيه؟
ـ أنا كنت عايز حضرتك تخدمني في حاجة.
ـ لو أقدر هساعدك، قول.
ـ كنت عايز أعرف إزاي ممكن أوصل للشيخ (أبو حمزة).
لابد أن طلبي صدمه إذ صمت لبعض الوقت قبل أن يقول متعجباً:
ـ عايز توصله ليه؟
ـ مش هقدر أقول لحضرتك بس أنا محتاج أشوفه ضروري.
ـ إنت مش بتفهم يا (راضي) ولا مخك فيه حاجة؟
ـ يا أستاذ (عبد الله) معلش خدني على قد عقلي وساعدني في الموضوع دا أرجوك.
عاد ليصمت من جديد قبل أن يقول في استسلام:
ـ حاضر يا (راضي).

ثم سمعت صوته يطلب من أحدهم أن يحضر له هاتفه المحمول، ثم مر بعض الوقت قبل أن يقول من جديد:
ـ معاك ورقه وقلم؟
بحثت في جيبي عن ورقة فلم أجد سوى تذكرة أتوبيس فقلبتها لأكتب على المنطقة الخالية بظهرها وأمسكت بالقلم الموضوع بجوار الهاتف..
ـ آه.. إتفضل قول الرقم.
أملاني رقم هاتف محمول، ثم عاد يقول:
ـ أنا طبعا مش فاهم إنت عايز تعمل إيه، بس أكيد حاجة ملهاش علاقة بالبرنامج يا (راضي) إحنا مش ناقصين. وماتجيبش سيرة إني اديتك الرقم.
ـ لا ما تقلقش يا باشا.
ـ ماشي يا (راضي).
شكرته في حرارة وطلبت منه أن يبلغ الأستاذ (أحمد سعد) سلامي، ووضعت سماعة الهاتف وبداخلي شيء من الأمل، أن أجد الشيخ (أبو حمزة) فربما يمكنني استعطافه لفك العمل الذي صنعه، وربما وقتها تعود ذاكرة (سعيد) من جديد..
والتفت لأذهب إلى حيث يجلس المعلم (حسونه) يدخن الشيشة ويستمر في استجواب (سعيد)، وتوقفت أمام شاشة التلفاز المعلقة بداخل المقهى قبل أن أصل إليهما..
وخفق قلبي في عنف وأنا أحدق في الشاشة.. كان (أحمد سعد) يتحدث، في برنامجه وعلى جانب الشاشة تظهر صورة صغيرة للساحر (أبو حمزة)..
لم يكن وجه (أحمد سعد) مبتسماً ككل وقت يظهر فيه، بل كان شاحباً كوجوه الموتى..
كان الصوت مغلقاً في حين يرتفع صوت الأغاني الصاخبة من

الكاسيت بداخل المقهى، وأسرعت أهتف بالفتى "حوده" كي يأتي بجهاز تحكم الصوت حتى أسمع ما يقال..

كان الأمر يبدو هاماً، بل شديد الأهمية، ووجه (أحمد سعد) يزداد شحوباً.. كان وكأنه يختنق على الشاشة، وعدت أهتف بالفتى أن يسرع بإحضار جهاز تحكم الصوت..

وخفق قلبي في شدة، عندما انهار (أحمد سعد) وسط الأستوديو ليسقط من على كرسيه مغشياً عليه، ويتم قطع الإرسال عن البرنامج ..

يوميات سعيد (١٩):المشهد الثامن والثلاثون

على الأرض في شقة (رامي) جلس ثلاثتنا أنا وهو و(راضي)، نشاهد فيلما عربياً قديماً وأمامنا بعض قطع البطيخ قام (رامي) بإخراجها للتو من الثلاجة، كي نستمتع بها ونحن نشاهد الفيلم..
كان كل منا يمسك بقطعة من البطيخ ويقضم منها في نهم ويخرج اللب في يده ثم يقوم بوضعه في طبق كبير على الأرض بيننا..
لا أفهم لماذا جلسوا على الأرض فجلست مثلهم على الرغم من وجود تلك المقاعد حولنا، إلا أنني كنت مستمتعاً للغاية بتلك الجلسة، حتى أنني لم أفكر في ذاكرتي التي ذهبت ومعها حياتي السابقة، ونحن نضحك في هستيرية على حركات (إسماعيل ياسين) وهو يتقافز بأسلوبه المضحك ويمط شفتيه بتلك الطريقة الكوميدية المرحة، ونظرت إلى (راضي)، كان يضحك وإن كانت في عينيه نظرة حزن غريبة لم يستطع إخفائها، منذ جاءني أثناء جلوسي على المقهى مع المعلم (حسونه)..
أنهيت قطعة البطيخ التي في يدي ووضعت البذور في الطبق ثم قمت من مكاني وأمسكت بالطبق كي ألقي بالبذور في سلة المهملات..
ـ رايح فين؟
قالها (رامي) في فزع..
ـ هرمي اللب وأغسل إيدي.
ـ هات يا عم إنت.
ومد يده ليأخذ مني الطبق الضخم وهو يتابع:
ـ إحنا عمالين نحط اللب في الطبق من الصبح وجاي انت عايز ترميه؟
لم أفهم المغزى من الكلام فقلت في تعجب:
ـ مش فاهم، إنت عايز تزرعه ولا إيه؟

ضحك كلاهما بينما قال (راضي) وهو لا يزال يضحك:
ـ يا سيدي اللب دا بيتاكل.
قلت في تقزز:
ـ اللب اللي إحنا طلعناه من... البطيخة.
ـ آه عادي.
هززت رأسي في اشمئزاز أطرد الفكرة من رأسي، حيث لا أرغب أن تكون هذه الذكرى من أوائل ذكرياتي الجديدة، ثم اتجهت إلى الحمام فغسلت يدي قبل أن أعود لأجلس مكاني من جديد..
ـ حد يشرب شاي؟
قالها (رامي) وهو يقوم من مكانه فأجبناه بالموافقة، فاتجه إلى المطبخ يحمل في يده الطبق البلاستيكي المليء ببذور البطيخ..
ونظرت إلى (راضي) وأنا أقول:
ـ مالك يا (راضي)؟
هز رأسه وقطب حاجبيه متعجباً من سؤالي:
ـ مالي فيه إيه؟
ـ شكلك زعلان من حاجة.
ابتسم دون روح وهو يقول:
ـ لا عادي مفيش.
لم أحب أن أزيد في الإلحاح فعدت أقول:
ـ إنت عايش هنا طول عمرك؟
ـ لا دي شقة (رامي)، بس أنا شقتي.. قصدي أوضتي فوق السطوح في نفس البيت.. كان عندنا شقة في الدور الأخير بس رجعتها لصاحب العمارة بعد ما أمي اتوفت وبقيت عايش لوحدي واحتجت قرشين علشان المصاريف.
ـ ربنا يرحمها.
أرخى عينيه في خشوع وهو يقول:

ـ آمين
ثم عاد ينظر لي قائلاً:
ـ إنت مش فاكر حاجة خالص بجد؟
هززت رأسي نفياً وأنا أقول:
ـ ولا أي حاجة.
بدا الحزن على ملامحه من جديد، فعدت أقول:
ـ ممكن أسألك على حاجة يا (راضي)؟
ـ قول.
ـ هو أنا قبل ما أفقد الذاكرة كنت باكل معاكم من اللب دا؟
ضحك (راضي) حتى دمعت عيناه وضحكت أنا الأخر، لم أكن أدري عن نفسي الكثير، ولكن شعوراً في قرارة نفسي كان يخيفني من أن أعرف أشياء من الأفضل نسيانها..
ليت الأمر كان اختيارياً، أن يمكن للمرء أن ينسى وقتما يحب ما يحب، أو يتذكر وقتما يشاء..
قطع تلك اللحظة صوت طرقات خفيفة على الباب، فقام (راضي) في توجس واقترب من الباب بينما أقبل (رامي) وفي يده أكواب الشاي..
ـ مين؟
قالها (راضي) في صوت خائف قبل أن يأتينا الصوت الأنثوي من الخارج..
ـ إحنا شركة (برفكت كلين) بتاعة مساحيق الغسيل.
تنهد (راضي) وهو يفتح الباب الذي أطلت من وراءه امرأة جذابة وورائها مجموعة من الرجال يحملون الكاميرات ووحدات الإضاءة بينما تجمع عدد كبير من نساء وأطفال الحارة حولهم..
ـ أفندم؟
قالها (راضي) وهو ينظر إلى المرأة في ذهول، فابتسمت وهي تقول بطريقة بها رقة مفتعلة:

ـ إحنا شركة (برفكت كلين) وبنقدم جوايز النهاردة علشان العيد العاشر للشركة، وحضرتك ممكن تكسب معانا جايزة عشرين ألف جنيه في البرنامج لو جاوبت على السؤال.. مستعد تشارك معانا؟
ابتسم (راضي) في سعادة كادت تجعله يقفز من على الأرض فرحاً بينما وضع (رامي) الأكواب التي في يده على المنضدة وذهب ليشاهد ما يحدث..
ـ آه طبعا مستعد ونص.
كان الأطفال يحاولون العبث في المعدات بينما وقف مجموعة من المساعدين يبعدونهم عن الكاميرات وملابس المذيعة المتأنقة التي عادت تقول بنفس الطريقة المبالغة في الأداء:
ـ حضرتك مستعد للسؤال؟
ـ آه بس ياريت سؤال سهل وحياتك.
ـ ما تقلقش.. السؤال عن مخترع الغسالة.
كان (راضي) لا يزال على وضعه المترقب وكأنه ما زال ينتظر السؤال، فعادت المرأة تقول:
ـ حضرتك عارف الإجابة؟
هز (راضي) رأسه وهو يقول:
ـ فين السؤال؟
ـ أنا بسأل عن مخترع الغسالة حضرتك تعرف مين؟
نظر إليها (راضي) في ذهول وقد انطفأت السعادة من عينيه ووضع (رامي) يده على رأسه ويحاول التذكر بلا جدوى.. فابتسمت المرأة من جديد وهي تقول:
ـ ما تقلقش هو مخترع الغسالة اسمه (هاملتون سميث).
ـ ما اقلقش إيه بقى ما خلاص خسرت.
قالها (راضي) في حزن شديد فعادت تقول مطمئنة:
ـ لا إحنا لسه ما سجلناش، أنا هرجع تاني واخبط الباب وانت تفتح

وتعمل طبعاً نفسك متفاجيء وهسألك نفس السؤال.
قال (راضي) في سعادة وكأنها أعادت له الحياة من جديد:
ـ بجد؟
ـ آه بجد.. بس فيه حاجة.
ـ حاجة إيه؟
ـ مبلغ الجايزة، إنت هتاخد ألف جنيه بس، وهنقول إنك أخدت عشرين ألف الجايزة الكبرى في البرنامج.. موافق؟
لم أنتظر أن يرد (راضي) بالموافقة أو رفض هذا الاستغلال ولكنني تدخلت صائحاً وقد أثار الأمر غضبي:
ـ إيه النصب دا؟
نظرت لي المرأة في ضيق وهي تقول:
ـ بلاش قلة أدب لو سمحت.. لو مش عايز ممكن نشوف غيركم.
علت أصوات النساء حولها كل منهن تطلب منها أن تجيب هي على السؤال، بينما اندفعت امرأة ما بكتفها لتقف أمام المذيعة في إصرار وهي تقول:
ـ خديني أنا يا أبلة، أنا هقول الإجابة .. (همتون سيمنس).
أمسك (راضي) بذراعي يبعدني عن الطريق راجيا..
ـ اسكت إنت أنا موافق.
سحبت ذراعي من يده موجهاً كلامي للمرأة وأنا أقول في غضب:
ـ لا دا نصب واحتيال.. لما تضحكوا على الراجل دا وتضحكوا علي المشاهدين كمان.. إنتوا شكلكوا شركة نصابة.
قالت المرأة في إحراج وهي تشير إلى رفاقها أن يتبعوها وتلتفت إلى الخلف ذاهبة:
ـ أنا معنديش وقت أضيعه مع واحد زيك.
عدت أصيح من جديد وقد أهانتني الكلمة:
ـ واحد زيي يا نصابين يا حرامية.

كانت المرأة قد انصرفت يتبعها رفاقها وأطفال ونساء الحارة، بينما وقف (راضي) حزينا كمن ضاعت أحلامه هباء ينظر لي في لوم، أما (رامي) فقد وقف مبتسماً بطريقة لم أفهمها، فعدت أقول محاولاً التبرير:

ـ دي شركة نصابة يا (راضي). يعني إيه تاخد ألف جنيه وتقول إنك أخدت عشرين، إيه الكلام الفارغ دا؟

قال (راضي) في حزن:

ـ يا عم يعني هو أنا طايل ألف ولا ميت جنيه حتى، حرام عليك.

عدت أقول محاولاً الثبات على موقفي ونظرت إلى (رامي) ألتمس تأييده:

ـ إحنا لازم نبلغ الشرطة في الناس دي.. اسمها إيه الشركة دي؟

عاد (رامي) يبتسم ابتسامة غريبة وهو يقول:

ـ اسمها (برفكت كلين)، بتاعة رجل أعمال اسمه (سعيد حسين).

قلت في غضب:

ـ إحنا لازم نبلغ عن الراجل الحرامي دا هو وشركته، دول بيبوظوا أخلاق الناس، غش وسرقة كمان.

فغر (راضي) فاه في ذهول وعندما سمع اسم رجل الأعمال، بينما ظهرت (سعدية) على الباب تحمل في يدها صينية كبيرة عليها أطباق مغطاة، تفوح بروائح شهية، وابتسمت وأنا أنظر إليها وقد هدأت ملامحي فجأة قبل أن أقول:

ـ أهلا وسهلا، إتفضلي.

نظر لي (راضي) في غيظ ثم عاد ليقف أمامها مانعاً إياها من الدخول في سرعة وهو يقول مستنكرا:

ـ تتفضل فين؟

وأمسك من يدها صينية الطعام وكأنه يطردها:

ـ شكراً يا (سعدية).

ابتسمت في بساطة ثم قالت:
ـ دي حاجة بسيطة كدا للعشا.. بالهنا والشفا.
ـ ماشي.
عادت تبتسم وهي تقول متسائلة:
ـ مين الناس اللي كانوا عندكم دول، هو كان فيه إيه؟
ـ كان فيه مصيبة سودا يا (سعدية).. اطلعي إنتي بقى، وهشوفك الصبح.
رد عليها (راضي) بتلك الطريقة الفظة فاستجابت دون تعليق ليغلق الباب خلفها وينظر لي وكأنه يفتش في وجهي عن بقايا نظرتي لها، وبدا جلياً في عينيه أنه يغار عليها، وتساءلت بيني وبين نفسي في تلك اللحظة عن أمر غريب، هل من الأشياء التي يتحمل المرء من أجلها عذاب الذكريات المرة أن يكون في حياته شخص يهواه أو أن يتذكر من يحب؟

يوميات راضي (٢٠):المشهد التاسع والثلاثون

ـ مستحيل يكون فيه بني آدم كل الناس مش بتحبه يا (راضي).
قالتها (سعدية) ونحن نتلفت حولنا نبحث عن رقم "فيلا" عائلة (سعيد) الذي استطاع (رامي) الحصول عليه من أحد أصدقائه في الصحافة، كانت المنطقة بأكملها تكاد تشبه الجنة بقصورها الفارهة والأسوار العالية التي تحيط بحدائقها حتى تمنع المتطفلين من النظر إلى ما بالداخل، وكأنها جنة في الأرض حُرم على أمثالنا حتى استراق النظر إليها.. هززت رأسي نفياً في إصرار وأنا أقول:
ـ إنتي ما تعرفيش الراجل دا يا (سعدية)، دا واضح إنه كان عامل مصايب وهو عايش.. قصدي قبل ما يفقد الذاكرة يعني.
ابتسمت (سعدية) وهي تقول محاولة استفزازي:
ـ ليه كدا دا حتى شكله كويس والله.
زغرت لها وأنا أقول:
ـ إتلمي أحسنلك يا (سعدية).
ـ يووه يا (راضي).. إنت هتغير تاني؟ ما قلتلك أنا عمر ما حد هيملى عيني غيرك.
ملأتني كلماتها بالثقة فنفخت صدري كالطاووس وأنا أسير بجوارها، ممسكاً بهاتفي المحمول أحاول الاتصال برقم (أبو حمزة) الذي أخذته من معد البرنامج، كان الرقم غير متاح طوال الوقت، فزفرت في غضب وأنا أقول:
ـ مش فاهم الراجل دا معفرت رقم تليفونه كمان ولا إيه؟
أشارت (سعدية) بيدها وكأنها تبعد عنها الشر وهي تقول:
ـ هو بسم الله الرحمن الرحيم الناس الشيوخ دول بيحتاجوا تليفونات برضه؟
ـ أمال هيتكلموا إزاي يا (سعدية)؟

ـ معرفش بس دي بتبقى ناس واصلة.. وأكيد عندهم خدام.
ـ خدام إزاي يعنى؟
ـ بسم الله الرحمن الرحيم يعنى ما تخلنيش أفسر.
ـ مش عارف بقى.
عادت تقول في صوت خفيض وكأنها تخشى أن يسمعنا أحد:
ـ طيب إنت عارف الشيخ (قناوي) المبروك دا اللي كان ساكن في حارتنا من كام سنة، قبل ما يعزل مرة البت (هنادي) جابت سيرته، الفراخ بتاعتها ماتت كلها في نفس اليوم واتزحلقت في المطبخ رجلها اتكسرت.
ـ ربنا يستر علينا.
قلتها ثم تذكرت أمراً أزعجني فعدت أسأل في سرعة:
ـ شفتي اللي حصل إمبارح في برنامج (أحمد سعد)؟
تذكرت هي الأخرى الأمر فرفعت حاجبيها وفتحت عينيها عن أخرهما لتشاركني الانزعاج وهي تقول:
ـ آه دا طب ساكت فجأة وهو بيتكلم.
قلت في لهفة:
ـ أيوه يعني إيه اللي حصل بالظبط؟ كان بيقول إيه؟
قطبت حاجبيها ورفعت عينيها قليلاً وكأنها تحاول التذكر قبل أن تقول:
ـ هو كان لسه بيبتدي البرنامج وكان شكله متضايق أوي، وجاب سيرة الحلقة بتاعة الشيخ (أبو حمزة) وكان عايز يقول حاجة وبعدين وقع فجأة.
ـ مقالش يعني أي حاجة؟
ـ لا ملحقش.. بس شفت يا (راضي) شكله كان هيقول كلام ما يعجبش الأسياد.. سمعت كلامي؟
أومأت برأسي في صمت، ثم رأيت تلك الفيلا المنشودة على الجانب

الأخر من الطريق فأشرت لها وأنا أقول:
ـ هي دي الفيلا رقم أربعتاشر.
لم تكن لي خبرة كي أحكم على روعة التصميم الهندسي لتلك الفيلات، ولكن وجودي في حارة (زعرب) كان كافيا لأعتقد أن مكاناً كهذا هو النعيم بعينه..
ـ هنعمل إيه دلوقتي يا (راضي)؟
ـ مش عارف.. متهيألي لو قربنا هنبقى شبهة.
وأشرت بطرف خفي إلى العملاقين من رجال الحراسة الذين يقفان أمام البوابة، فقالت (سعدية) في سرعة:
ـ طيب كمل إنت بعيد شوية وأنا هتصرف.
نظرت إليها في عدم فهم:
ـ إزاي يعني، هتعملي إيه؟
ـ ما تقلقش، أنا جاية من البلد وبدور على شغل، ابعد إنت بس.
ـ بتدوري على شغل إيه؟
زغرت لي (سعدية) فتنبهت إلى غبائي فأشرت لها أن تذهب وابتعدت عن الفيلا لأختفي وراء إحدى الأشجار، بينما عبرت (سعدية) الطريق واقتربت من بوابة الفيلا.. فاعترضها واحد من الحراس ورأيتها تتحدث معه إلا أنني لم أسمع حرفاً مما تقول.. أما الرجل فاستمع إليها قبل أن يهز رأسه نفياً وهو يشير إليها بالابتعاد.. وقبل أن تعود (سعدية) لمحاولة النقاش، التفت الحارسان في سرعة لفتح البوابة، وبدا من خلف البوابة امرأتان كتلك النساء التي لا نراهن إلا على شاشات السينما، وبدا أن بينهما نقاش حاد..
لم يكن من السهل تمييز أعمار هؤلاء النساء المتأنقات إلا أن واحدة منهما كانت شقراء الشعر وتبدو أكبر عمراً من الأخرى التي تبكي في حرقة و تدفعها الشقراء إلى خارج المنزل في غير عنف ولكن في جفاء بينما ترفض الأخرى في إصرار..

حاولت الإصغاء فتناهى إلى مسامعي صوت الفتاة الباكية وهي تطلب رؤية (سعيد) في تذلل، لم يكن واضحاً من هي تلك الفتاة الشابة وخاصة أن المعلومات التي استطاع (رامي) أن يحصل عليها عن طريق أصدقائه الصحفيين لم تذكر شيئاً عن زوجة أو أخت.. كان (سعيد) بلا أهل تقريباً سوى أبناء عمومة وشركاء في بعض الأعمال..

واتجهت (سعدية) نحوي في سرعة مستغلة تلك الفوضى حتى لا يلحظ أحد من الحراس أنني كنت أختبئ خلف تلك الشجيرة، واقتربت لتقف إلى جواري وهي تقول:

ـ واخد بالك يا (راضي)؟

ـ من إيه؟

ـ البنت اللي لابسه أزرق دي شكلها خطيبته أو حبيبته، والست التانية أم شعر أصفر دي مش عايزة تدخلها تشوف (سعيد).. شكلها ست معندهاش قلب.

قالتها في حنق على الشقراء، فنظرت إليها وأنا أقول:

ـ تفتكري مين البنت دي؟

لم تنتبه (سعدية) لكلامي ولكنها عادت تقول في إشفاق:

ـ البنت دي شكلها بتحبه أوي يا (راضي).

أومأت برأسي مؤيداً وأنا أقول:

ـ هي حلوة أوي بصراحة.

نظرت لي (سعدية) فتجاهلت النظر إليها وأنا أقول في سرعة مبرراً:

ـ حلو يعني إننا لقينا حد بيحبه وممكن يساعدنا.

وعدت أنظر إلى الفتاة التي بدأت تتجه إلى سيارتها وهي تبكي في حرقة، فقالت (سعدية) وهي تشير إلى لوحات السيارة:

ـ أكتب رقم العربية بسرعة.

أسرعت أخرج من جيبي ورقة وقلما لأكتب رقم السيارة قبل أن

تبتعد، ثم نسرع أنا و(سعدية) لنختفي مبتعدين من المكان في هدوء..
ووضعت الورقة المدون بها رقم السيارة في جيبي وأنا أفكر، فربما كانت هذه الفتاة هي حقاً الشخص الوحيد الذي يحب (سعيد) بصدق، وربما كانت هي من ستنقذه وتنقذنا من هذا الضياع..

يوميات سعيد (٢٠):المشهد الأربعون

ـ شفت ضياع أكتر من كدا؟
قالها (رامي) وهو يتابع النشرة الإخبارية في التلفاز وأنا جالس إلى جواره وقد بدأت أشعر بالملل، ربما كان الأمر مريحاً في بدايته كتجربة، أن تنسى كل شيء وتبدأ من جديد، إلا أنه بعد مرور قليل من الوقت يبدأ في التحول إلى أمر غاية في السخف..
ـ إيه اللي بيحصل؟
وجهت سؤالي إلى (رامي) وأنا لا أدرك ما الذي يتحدث عنه، فنظر لي متعجباً وهو يقول:
ـ أحوال البلد اللي زي الزفت، هيحصل إيه أكتر من كدا؟
قلبت كفي في حركة روتينية توحي بقلة الحيلة أو قلة العلم لعله يفسرها كيف يشاء، قبل أن أسأله:
ـ هو أنت ليه ما نزلتش الشغل؟
ابتسم ورشف رشفة من كوب الشاي الأسود الذي بيده..
ـ شغل إيه إحنا في أجازة دلوقتي.
ـ أجازة إزاي؟ هو النهاردة الجمعة؟
ضحك وهو يقول:
ـ أجازة المدارس، ومعنديش حاجة في الجريدة النهاردة.
هززت رأسي علامة على الفهم، ثم قلت:
ـ طيب أنا مش هنزل الشغل؟
ـ لما يجيلك أوردر تصوير هتنزل أكيد.
قلت في تعجب:
ـ يعني أنا بفضل مستني لما يجيلي أوردر.. غير كدا بفضل قاعد في البيت؟
ـ آه هو شغلك كدا.

ابتسمت وأنا أقول:
ـ نفسي أنزل أمثل بقى، حاسس إن الموضوع واحشني.
ابتسم (رامي) بدوره وهو يقول:
ـ ما تقلقش.
نظرت إليه لحظة في تردد قبل أن أقول في جدية:
ـ (رامي) أنا عايز أعرف أكتر عن نفسي، أنا حاسس إن فيه حاجة غريبة عني معرفهاش.. حاسس إن فيه حاجة غلط.
التفت إلّي ثم ضغط على جهاز التحكم فأغلق التلفاز وهو يقول:
ـ مالك يا (منصور)؟
قلت في ضيق:
ـ حتى الاسم دا أنا مش قادر أحس بيه..
صمت لحظة قبل أن يقول متسائلاً:
ـ مش فاهم.. إنت إيه اللي في دماغك؟
ـ أنا كمان مش فاهم، بس حاسس إن فيه شخص تاني جوايا عايز يطلع ومش عارف.
قال متعجباً وقد صار أكثر انتباها لكلامي:
ـ شخص تاني إزاي؟
ـ جوايا إحساس مختلف عن نفسي مش فاهمه، حاسس إن فيه مشاعر متضاربة جوايا، عارف.. أنا حاسس إني خايف من نفسي.
ـ إنت افتكرت أي حاجة؟ فيه أي ذكريات يعني رجعتلك؟
هززت رأسي نفياً وأنا أقول في أسى:
ـ لا للأسف مش قادر أفتكر أي حاجة.
كنت أشعر أن (رامي) يخفي عني سراً ما عن نفسي، شعرت بذلك في تلك التنهيدة الخفية التي أطلقها وهو يدير وجهه كأنه يبحث عن شيء ما قبل أن ينظر لي من جديد وهو يقول:
ـ ما تستعجلش يا (منصور).. هتعرف كل حاجة.

ـ طيب ما تريحني وتقولي.
ـ أنا معنديش جديد أقولهولك.
لابد أنه رأى الحزن في عيني فعاد يقول في إشفاق:
ـ مش هقولك غير حاجة واحدة.. الناس يا (منصور) جواها الخير والشر، ومفيش إنسان في الدنيا دي كلها جواه الخير بس أو الشر بس، كلنا بشر وفي صراع مستمر مع النفس، كل اللي أقدر أقولك عليه إن اللي بيحصل دلوقتي يمكن يكون فرصة بالنسبالك علشان تفكر إنت عايز تكون إيه مش إنت كنت إيه قبل كدا.. فرصة مش بتحصل لناس كتير ولا بيقدر ناس كتير يستغلوها.. فكر يا (منصور) وإعرف حقيقة الشخص اللي جواك، الشخص اللي أكيد فطرته طيبة ونقية زي ما الرب خلقه، مش زي ما هو عمل في نفسه بخطاياه.
ـ يعني أنا كنت..
قاطعني في رفق:
ـ برضه ما تسألش كتير دلوقتي.
أمسكت برأسي وقد بدأت أشعر بالصداع يحطم رأسي من كثرة التفكير..
ـ يعني أنا فعلاً مش الشخص اللي بتقولوا عليه زي ما أنا حاسس.
ـ إنت ممكن تكون شخص تاني، لكن الحقيقة إن اللي قدامي دا شخص أعتقد إنه أفضل بكتير من اللي كان قبل كدا.. المهم إنت بس تعرف دا.
كان هذا هو ما أخشاه، أن أكون شخصاً غير الذي أعتقد..
ـ بس أنا عايز أعرف أنا مين حتى لو مش هيريحني الكلام.
قلتها في حدة وقد بدأت أشعر بأفكار سوداء تمر بخاطري بينما قال (رامي):
ـ لسه الوقت مش مناسب.
صحت في غضب:

ـ دا مش قرارك ولا قرار أي حد. أنا مش محبوس هنا.
قلتها وأنا أقوم من مقعدي ناظراً له في تحدٍ، متجهاً إلى باب الشقة..
ـ (منصور).
لم ألتفت إليه ولكن صوته جاءني صادقاً:
ـ إنت مش محبوس يا (منصور)، إنت كنت محبوس جوه نفسك ودلوقتي بتعرفها من جديد.

يوميات راضي (٢١):المشهد الواحد والأربعون

ـ هتعرفها إزاي يعني؟
قلتها في تساؤل فابتسم (رامي) في ثقة وهو يقول:
ـ يا (راضي) يا صديقي ما تقلقش.. دي شغلتي بقى.
ثم أمسك بالهاتف وطلب رقماً، وانتظر على الخط لبعض الوقت قبل أن يرفع صوته وهو يقول:
ـ إزيك يا باشا.. أيوه (رامي نصيف).. حضرتك ذاكرتك ماشاء الله.. أنا بخير نشكر ربنا.. مش هعطل حضرتك أنا عارف المشاغل بس كان فيه خدمة صغيرة كدا لو ممكن..
وأشار لي أن أعطيه الورقة المدون بها رقم السيارة في سرعة، فأخرجت الورقة من جيبي ومددتها إليه، فأمسك بها وهو يقول:
ـ ربنا يخليك.. هو رقم عربية.. أنا كنت عايز أعرف اسم وعنوان صاحب العربية دي.
ثم عاد يقهقه بطريقة اهتز لها بطنه الممتلئ قبل أن يقول:
ـ حضرتك تؤمرني يا باشا، في أقرب فرصة نتقابل طبعا.. متشكر.. متشكر.. في الانتظار يا باشا وشكرا لمعاليك.. مع السلامة.
ثم أغلق الخط ونظر لي وعلى شفتيه ابتسامة منتصرة، فقلت في حماس:
ـ ها.. عرفت حاجة؟
قال في فخر:
ـ أنا قلتلك مفيش حاجة صعبة عليا يا (راضي).. كل المعلومات هتبقى عندي في أقل من نص ساعة.
ابتسمت في ارتياح وأنا أقول:
ـ طيب الحمد لله.. بس تفتكر البنت دي مين وهتقدر تساعدنا إزاي؟
ـ مش عارف.. بس دي سكة مهمة لازم نمشي فيها.. كمان أنا

كلمت واحد صحفي نشيط صديقي في جريدة تانية علشان يعرفلي معلومات أكتر عن علاقته بولاد عمه و الست اللي بتقولي عاملة زي ريا وسكينة دي.

ـ تخيل يا (رامي) برغم إنها ست شيك بس لو شفت كانت بتعامل البنت المسكينة المتشحتفة على (سعيد) إزاي كان هيبقى نفسك تضربها بحاجة.

ـ الموضوع دا مهم أوي وأكيد الست دي برضه وراها مصيبة.

ـ أكيد.

ـ كله هيبان قريب جداً ما تقلقش.

عدت أحاول الاتصال برقم الشيخ (أبو حمزة)، وكالمعتاد تصلني تلك الرسالة الصوتية أن الرقم غير متاح..

ـ أنا مش عارف الرقم غلط ولا هو فعلا تليفون الشيخ (أبو حمزة) غير متاح.

قال (رامي) في غيظ:

ـ إنت لسه مصر تكلم الراجل الدجال دا؟

ـ أكيد طبعا.. إنت بس علشان ما تعرفش.. وبعدين خلي بالك من كلامك دا لسه (سعدية) كانت بتحكيلي على اللي حصل للبنت (هنادي) لما اتكلمت زيك كدا.

ضحك (رامي) ساخراً وهو يقول:

ـ أنا مش فاهم بجد إزاي وحد متعلم زيك وبيفكر كدا.

ـ ما علينا إحنا مش هنتفق في الموضوع دا.

قلتها ثم تذكرت شيئاً أزعجني فقلت في سرعة:

ـ صحيح أنا نسيت الموضوع دا خالص.. إنت شفت (أحمد سعد) وهو بيسورق على الهوا؟

قطب حاجبيه في عدم فهم..

ـ إيه الموضوع دا؟

ـ إمبارح بالليل وإحنا علي القهوة كان (أحمد سعد) في البرنامج بتاعه بيتكلم وجايب صورة الشيخ (أبو حمزة)، معرفش كان هيقول إيه، بس فجأة وقع مغمى عليه قبل ما يتكلم.
هز (رامي) رأسه وكأنه فهم شيئاً للتو، قبل أن يقول:
ـ آه، علشان كدا وأنا معدي قدام كشك الجرايد شايف عناوين غريبة عن موضوع (أحمد سعد) دا.
ثم ضحك وهو يقول:
ـ الجرايد الصفرا.. كاتبة نفس الكلام العبيط اللي انت بتقوله وعناوين إن المقدمة اللي قالها كانت توحي بإنه هيقول كلام يعيب في الدجال (أبو حمزة).
ـ يا عم (رامي) ما توديناش في داهية كفاية اللي حصل، بلاش دجال دي.
ـ طيب سيبك من الموضوع دا دلوقتي، شوية وهيوصلني إيه اللي حصل. مفيش حاجة بتستخبى في الوسط بتاعنا.
نظرت إلى الحجرة المجاورة وأنا أقول في صوت خفيض:
ـ هو (سعيد) نايم ولا إيه؟
ـ لا.. (سعيد) نزل الحارة.
حدقت به في ذهول..
ـ نزل يعمل إيه في الحارة؟
ـ ما تقلقش.. هو حاسس بلخبطة، سيبه يعمل اللي هو عايزه شوية، مش هيروح بعيد ولا هيطلع من الحارة.
نظرت إليه في قلق دون أن أتكلم وقد بدأت الوساوس تلعب بعقلي خوفاً من تصرف غير محسوب لا ندري عواقبه..

يوميات سعيد (٢١):المشهد الثاني والأربعون

ـ ما تروحش بعيد يا واد.

قالتها (أم حنفي) بصوتها "السوبرانو" الرنان وهي تتابع ببصرها ذلك الطفل الصغير الذي يلهو بكرته الملونة الصغيرة مثله بالقرب منها، ثم تعود لتطلق بعض الكلمات المنغومة التي لا أفهم تفسيرها ولكنها ولابد طريقة من طرق التسويق لبضاعتها الخضراء، وبين النداء والأخر تنظر إلى الطفل الذي لا يتجاوز العامين.. ترمقه بعين شديدة الطيبة والعطف، وتعود لزبائنها من جديد..

كنت أسير في الحارة، لا أدري إلى أين أذهب ولا ماذا أفعل.. ولكنني كنت أسير مرتدياً ذلك الجاكيت الأخضر الذي حصلت عليه من (راضي)، واضعاً يدي في جيب بنطالي، متمهلاً في الخطوات بلا هدف..

وعند قدمي استقرت تلك الكرة الملونة.. ونظر لي الطفل في خوف للحظات، قبل أن يبتسم ويقبل نحوي في خطوات متعثرة، يقف أمامي وينظر لي مبتسماً في براءة ينتظرني أن ألاعبه..

نظرت إلى وجه (أم حنفي) أطمئن أنها لا تعارض الأمر فوجدتها تبتسم ناظرة نحونا وهي تلف حزمة من الفجل في بعض أوراق الجرائد ثم تناولها لإحدى زبائنها وعلى وجهها ذات النظرة الطيبة، فركلت الكرة ركلة خفيفة تجاه الطفل الذي ضحك ليعدو وراءها ثم ينحني ليمسكها بيديه الصغيرتين ويقف ليمشي بخطواته الرقيقة المتعجلة نحوي من جديد ليضع الكرة تحت قدمي منتظراً أن ألاعبه من جديد..

ـ إنت شكلك ابن حلال.

قالتها (أم حنفي) وهي تنظر لي وتبتسم في طيبة تطل من ملامحها العجوز..

ـ شكرا.
ـ الواد (حمادة) دا مش بيضحك لأي حد.
نظرت للطفل الذي ينظر لي ويضحك ويلاعبني بكرته..
ـ ربنا يخليه يا حاجة ، ابنك دا؟
ـ لا ، دا ابن بنتي (نعمات) الله يرحمها.
قلت في احترام:
ـ ربنا يرحمها.
ثم مددت يدي للطفل فأمسك بأصبعي ليمشي بجواري وأنا أقترب من (أم حنفي) حيث تجلس على الرصيف، قبل أن أقف بالقرب منها ثم أشير لها فيما معناه أن تسمح لي بالجلوس، فأشارت لي موافقة فجلست على الأرض بجوارها والطفل بين يدي يقف في سكون ملائكي.. ونظرت إلى المعروضات أمامها أحاول أن أجد مجالاً للحديث، قبل أن أقول:
ـ بتبيعي خضار من زمان؟
ضحكت المرأة حتى بدت أسنانها التي تساقط بعضها بفعل الزمن..
ـ لا يا ابني مش من زمان ولا حاجة، أنا كنت قاعدة في بيت جوزي، بس نزلت من كام سنة كدا بعد ما راح الكل وما بقاش غيري أنا والواد (حمادة).
قالتها وهي تنظر إلى الطفل الذي جلس بجوارنا كرجل ناضج يتابع حديثنا، ثم عادت تنظر نحوي وهي تقول متسائلة:
ـ إنت منين يا ابني؟
هززت رأسي وابتسمت في أسى:
ـ والله ما عارف يا حاجة.
ـ إزاي يعني؟ ملكش بلد؟
ـ أكيد كان ليا.. بس أنا مش فاكر أي حاجة.
ضحكت وهي تقول معتقدة أنني أمزح:

ـ كلنا عبيد الله في بلاد الله.
ابتسمت ثم عدت أقول في تساؤل:
ـ قوليلي يا حاجة، إنتي بتفتكري جوزك الله يرحمه؟
لمعت عيناها كفتاة صغيرة عندما ذكرتها بزوجها فقالت:
ـ الله يرحمه كان راجل بجد.. أكيد بفتكره، دا أنا مشفتش تعب في الدنيا غير بعد ما مات.
ـ يعني بتفرحي ولا بتزعلي لما بتفتكري إن كان فيه حاجة في حياتك وراحت؟ يا ترى اتمنيني قبل كدا لو تنسي خالص وترتاحي ولا إيه؟
فكرت المرأة لحظات في مغزى كلامي حتى اعتقدت أنها لن تفهم مقصدي ولكنها عادت تقول في حكمة لم أعتقد أنني سأجدها عند امرأة عجوز على الرصيف:
ـ أنسى إزاي بس.. هو عُمر الواحد إيه غير شوية الحاجات اللي بيعيشها.. أنا دلوقتي مبقتش اقدر افرح زي زمان، بس لما بحب أفرح بسرح وأفتكر وأعيش في أيام زمان.
قالتها ورأيت في عينيها دمعة حزينة وهي تقرب الطفل منها قبل أن تقول من جديد:
ـ الحاجة الوحيدة اللي نفسي أنساها هي الواد دا لو راح مني.
قطبت حاجبي ونظرت إلى الطفل وأنا أقول في شفقة:
ـ ليه بس بعد الشر، هو ماله؟
احتضنت الطفل في حنو وهي تقول:
ـ يا عين أمه عنده المرض الوحش.. حتة عيل لا راح ولا جه بس نصيبه كدا.
ثم انهارت دمعة من عينها أسرعت تمسحها في سرعة قبل أن تتابع..
ـ هي دي الحاجة الوحيدة اللي نفسي أنساها لما ربنا يريد، لأني

مش هقدر أعيش يوم واحد بعد كدا.
ترددت الكلمات على شفتي وأنا أرى دموعها..
ـ طيب هو ملوش علاج؟
مسحت المرأة دموعها مرة أخرى وهي تحاول الابتسام مدعية القوة والجَلَد:
ـ كل أسبوع بنتشحطط على المشتشفيات، بيقولوا لازم عملية بس ما يقدر على القدرة إلا ربنا.. إنا حيلتي إيه غير المشنة دي وشوية الخضار.
ـ أنا أسف يا حاجة للسؤال، بس فين قرايبك أو أهل الحارة حتى، ليه محدش بيساعد؟
ابتسمت في أسى وهي تقول:
ـ ولا أهل الحارة كلهم يقدروا على تمن العملية دي، الكل غلابة يا ابني.. وكله عايش على أد يومه.
ـ طيب إيه..
قلتها ولم أجد ما أكمل به جملتي، فقد عجزت عن الرد وقد انهارت دموعي على وجنتي.. لا أذكر متى بكيت أخر مرة، ولكنني في هذه المرة بالذات أحسست أن غشاوة قد أزيحت عن قلبي، وشعرت برعدة تسري في جسدي وكأنني طفل يخرج من رحم الغفلة ليولد في الدنيا من جديد..

يوميات راضي (٢٢):المشهد الثالث والأربعون

دقائق طويلة مرت و(رامي) على هذا الوضع، يتحرك في الصالة جيئة وذهابا وهو ينظر في السقف مفكراً دون أن يجيب عن أسئلتي، خاصة بعد أن جاءته تلك المكالمة الطويلة من أحد زملائه:

ـ إيه الموضوع؟

دون أن ينظر لي أشار بطرف إصبعه أن أصمت حتى لا أقطع تفكيره، في حين استمر في التحرك، حتى أنه بدأ يغمض عينيه وهو يسير..

ـ إنت هتنام و لا إيه؟

لم يجبني بينما استمر في الحركة فعدت أسأل:

ـ طيب مش هننزل نشوف (سعيد) راح فين؟ دا بقاله كتير في الحارة وهو ميعرفش حاجة هنا؟

التفت نحوي هذه المرة و أشار لي أن أتوقف عن الكلام وقد قطب حاجبيه في غضب دون أن يتوقف عن الحركة، وصرخة متألمة أطلقها عندما ارتطم إصبع قدمه الصغير في ساق الكرسي الخشبي الضخم دون أن ينتبه، فابتسمت في تشفٍ بينما جلس هو على الكرسي ممسكاً بإصبعه في ألم..

ـ حد ينام وهو ماشي برضه؟

قلتها ساخراً فقال في غضب وعلامات الألم لم تفارق وجهه بعد:

ـ ينام إيه بس، أنا بفكر يا بني آدم.

ـ طيب ما تشركني معاك في التفكير.

حدق بي للحظات قبل أن يترك إصبعه ويضع ساقا فوق ساق وهو يقول:

ـ البنت اللي ادتني رقم عربيتها دي عرفت عنوانها واسمها من المصادر بتاعتي.

قلت في لهفة:
ـ كويس جداً، مين هي؟
ـ اسمها (ساندي)، كانت خطيبة (سعيد) أو بمعنى أخر كان فيه مشروع جواز وحتى الناس في شركاته بيعاملوها على الأساس دا، هي كمان من عيلة غنية جداً.
ـ وبعدين؟
ـ (سعيد) بقى مفيش حد عايش من أسرته غير ولاد عمه، (أمجد) و (عالية) والاتنين أكبر منه في السن وشركائه بالميراث في أكبر شركاته، بس واضح إن هو اللي مسيطر على كل حاجة.
ـ تفتكر الست اللي شفناها في الفيلا دي هي (عالية).
ـ غالباً.
ـ طيب تفتكر ليه تمنع خطيبته من إنها تشوفه؟
نظر لي وهو يضغط على أسنانه في غيظ قبل أن يقول:
ـ هيسيبوها تشوفه إزاي يا (راضي).. هو موجود هناك أصلا؟
تنبهت إلى الأمر، فعدت أقول مؤكداً:
ـ عندك حق، بس أنا أقصد تفتكر ليه هما مخبيين خبر إننا خطفناه يعني.
لا أدري لماذا يغضب (رامي) سريعاً من كلامي..
ـ خطفناه!.. أنا عارف إني هروح في داهية بسببك يا (راضي).
قلت محاولاً تهدئته:
ـ داهية ليه بس، ربنا يستر.
عاد يقول بنفس اللهجة الغاضبة:
ـ أكيد أنا معرفش السبب الحقيقي اللي يخليهم يخفوا خبر إنه اختفى من المستشفى، بس واضح إن اللي بيحصل دا وراه حاجة مش مظبوطة، وغالباً موضوع إنهم عايزين يخلصوا منه دا ممكن يكون حقيقي.

ـ طيب هنعمل إيه دلوقتي علشان (سعيد)؟
عاد يقول في حماس:
ـ أنا كلمت (ساندي) وقلتلها إن عندي معلومات مهمة عن (سعيد) وهنروح نقابلها كمان ساعة.
قلت في حيرة:
ـ ودي عرفت إزاي تقنعها أصلا إنها تتكلم معانا؟
ابتسم في ثقة وهو يقول:
ـ انت شكلك كدا مش عارف قدراتي.
عدت أقول في قلق:
ـ تفتكر يا (رامي) هنعرف نخرج من المصيبة دي من غير ما نضيع في الرجلين؟
ابتسم وهو يقول مازحاً:
ـ إحنا كدا كدا ضايعين.. قلقان من إيه؟
شاركته الضحك بينما دق جرس هاتفي المحمول ليقطع حديثنا، فأسرعت التقطه من على المنضدة ثم أنظر إلى الشاشة لأجد ذلك الرقم الذي جعل قلبي يخفق في عنف ليسقط بين ضلوعي..
ـ مين يا (راضي)؟
لابد أن الاضطراب قد بدا جلياً على وجهي وأنا أحدق في الرقم ويقف إصبعي عاجزاً عن الضغط على زر الإجابة..
ـ يخربيتك يا (سعدية)، شكل كلامك صح، الناس دي بتعرف.
ـ مين بيتصل يا (راضي)؟
ـ دا (أبو حمزة) بيتصل.
حدق بي (رامي) في ذهول وهو يقول:
ـ (أبو حمزة) الدجال بتاع البرنامج؟
ـ يا عم ما تقولش دجال.
قلتها في خوف و رفعت الهاتف إلى أذني وأنا أضغط زر الإجابة..

يوميات سعيد (٢٢):المشهد الرابع والأربعون

الإجابة التي لا تأتي أبداً..
والفراغ الذي أسبح فيه كلما بحثت عنها..
من أنا، ولماذا يتركني (رامي) إن كان يعرف الحقيقة في هذا الظلام وهذا التفكير الذي لا ينتهي، وهذه الرحلة المرهقة في سديم العقل..
كان الأذان يرتفع في السماء.. "حي على الفلاح "
وفي المسجد البعيد عن الحارة دخلت لأتوضأ.. لا أدري لماذا طافت برأسي فجأة صورة لي وأنا صبي.. أضحك في سعادة وأنا أقف أمام الصنبور أهيل الماء على وجهي لأتوضأ..
هل كانت هذه هي آخر مرة عرفت فيها الوضوء؟.. لا أدري..
ومع تكبيرة الإحرام رفعت يدي على صدري في هيئة الصلاة وراء الإمام ووقفت ساكنا..
وأفكار شيطانية راودتني عن الحياة والموت، ووسوسة في رأسي جعلتني أستعيذ بالله، يسألني الشيطان كيف أذكر إيماني وأنا لا أذكر حتى اسمي..
وبعد الصلاة جلست على الأرض..
كيف هي مريحة تلك الجلسة، أن نلتصق بأمنا الأرض..
كان أغلب الناس قد انصرف بينما بقى حفنة من البشر تفرقوا في أنحاء المسجد وقد قام الخادم فأغلق معظم الأضواء..
وجدت أحدهم يتجه إلى جانب المسجد ثم يتمدد..
وأحببت أن أجرب الأمر فمددت جسدي على الأرض..
ياله من أمر رائع..راحة عجيبة أحسست بها في قلبي.. لابد أنه حنين الأجساد التي خلقت من التراب إلى التراب..
هل أشعر بأن كل الهموم بداخلي تتسرب إلى الأرض.. وطنين بسيط في أذني غير مزعج يسحبني عن الدنيا تدريجياً إلى عالم لا أعرفه..
يا للسخرية، وهل أعرف شيئاً من الأساس..
أغالب النعاس كي لا أنام..
وصمت تام يلفني في عالم من الأنوار البيضاء الناعمة..

يوميات راضي (٢٣):المشهد الخامس والأربعون

ـ مين معايا؟

توترت عندما أجبت الهاتف وأتاني صوته العميق متسائلاً عمن يحدثه، قبل أن أستجمع قوتي لأجيب:

ـ أنا (راضي) حضرتك.

صمت الشيخ لحظة قبل أن يسأل من جديد:

ـ (راضي) مين يعني؟

ـ أنا اللي كنت في برنامج "شقلب أحوالك" حضرتك.

تبدلت نبرة صوته إلى الحدة قليلاً وهو يقول:

ـ عايزين إيه تاني؟

أخافتني حدته، فعدت أقول محاولاً الشرح في سرعة:

ـ حضرتك فاكر (سعيد حسين) اللي كان موجود معانا في البرنامج؟

ازدادت حدة صوته وهو يقول:

ـ أنا لا فاكر (سعيد) ولا (عبد السميع)، ولا عايز أسمع منكم تاني ومش مسئول عن غبائكم.

قلت أحاول تهدئته في رجاء:

ـ يا شيخ اهدى بس.. أنا عارف إنه غلط في حقك، بس هو خد عقابه خلاص والمسامح كريم بقى.

ـ إنت بتتكلم عن إيه يا جدع إنت؟

في تلك اللحظة أحسست بشيء غريب في طريقة حديث الشيخ (أبو حمزة)، لم يكن يتكلم بطريقته المعتادة باللغة العربية ذات اللهجة المغربية، فسألت وقد تسرب الشك إلى نفسي في كنه المتصل:

ـ مين معايا؟

قال في غضب وقد استفزه السؤال:

ـ إنت اللي مين أصلا، أنا لقيتك متصل على الموبايل دا سبعين مرة.

ـ أنا بتصل على رقم الشيخ (أبو حمزة).
مرت لحظة صمت قبل أن يقول وقد خفت حدة طريقته في الكلام:
ـ فكرني كدا إنت (راضي) مين؟
ـ أنا (راضي) اللي الشيخ (أبو حمزة) قالي هيظبط أحوالي ويشقلبها وتبقى تمام.
هدأ صوته فجأة وكأنه تذكرني وهو يقول:
ـ آه.. افتكرتك.
كنت ما زلت لم أجزم أنه الشيخ (أبو حمزة) بعد، فعدت أسال:
ـ حضرتك يعني الشيخ؟.. بس إنت بتتكلم مصري زينا من إمتى؟
ـ مصري زيكم؟
قالها متعجباً ثم فطن إلى شيء ما فعاد يقول:
ـ (راضي) إنت عبيط؟
ـ بص لو انت مش الشيخ قول علشان هقل أدبي عليك.
ـ يا بني آدم إفهم، أنت مش فاهم حاجة.. أنا (شفيق).. قصدي (أبو حمزة) اللي انت قابلته.. بس أنا مش مغربي ولا شيخ ولا حاجة.
قلت في ذهول:
ـ أمال إيه؟
ـ بص يا (راضي)، إنت شكلك غلبان زي حالاتنا.. أنا كومبارس في التليفزيون، والدور دا انطلب مني أعمله دعاية للبرنامج علشان المشاهدات قلت في الفترة الأخيرة.
ـ دعاية؟
ـ هي دي الحقيقة.
قلت في ذهول:
ـ طيب أنا مش مشكلة، أنا عارف حظي نحس على طول، لكن (سعيد) واللي جراله دا يبقى إيه وإزاي؟
ـ تقصد (سعيد) دا رجل الأعمال اللي كان معاك.

ـ آه.
ـ أيوه افتكرت أنا سمعت بالحادثة بس أنا مليش دخل في الموضوع أكيد، إنت عايز توديني في داهية ولا إيه، أنا ممثل ولا ساحر ولا نيلة.
ـ طيب و(أحمد سعد) اللي طب ساكت على الهوا.
ـ يا ابني إفهم.. (أحمد سعد) كان طالع يعترف للجمهور بعد ما الموضوع اتكشف، وهو ومعد البرنامج اتحولوا للتحقيق.. وهو أصلا عنده الضغط والسكر وما استحملش.
قلت في عدم تصديق:
ـ أمال إنت عرفت إزاي إني اتصلت بيك سبعين مرة؟
ـ شركة الاتصالات بعتتلي رسالة أول ما فتحت الموبايل يا بني آدم، وقلت يمكن يكون أي شغل بدل ما أنا قاعد في البيت كدا.
ـ شركة الاتصالات؟
ـ أيوه.
ـ يعني لا فيه سحر ولا عمل ولا حتى شيخ (أبو حمزة)؟
ـ مفيش أي حاجة من دي يا (راضي).. كل دا كلام فارغ.. أنا صحيح غلطت إني سمعت كلامهم في البرنامج دا بس للأسف الحاجة وحشة وأكل العيش مر.
وتنهد في ضيق قبل أن يقول:
ـ ما علينا، الحمد لله.
كانت أفكاري قد اضطربت حتى صارت كحجرة طفل شقي، بينما وقف (رامي) يحدق بي متسائلاً، وقد أصابني الذهول حتى أنني لم أسمع شيئاً مما يقول..
ـ شكرا يا شيخ (شفيق)..
قلتها وأغلقت الخط ثم جلست في صمت، فقال (رامي) في عصبية:
ـ انطق يا بني آدم، إيه اللي حصل؟
نظرت إليه وأنا لا أستطيع أن اخرج من هذه الصدمة:
ـ الشيخ (شفيق) ما طلعش (أبو حمزة).

يوميات سعيد (٢٣):المشهد السادس والأربعون

ما أن وضعت قدمي خارج المسجد حتى التقت عيني بعيني المعلم (حسونه) الذي تجمد في مكانه وهو يحدق في وجهي في ذهول، فابتسمت في حرج وأنا أقول:

ـ إزيك يا معلم.

ظل واقفاً أمامي فاغراً فاه غير قادر على استيعاب الموقف الذي أمامه وهو يراني أخرج من المسجد، قبل أن يجيب بطريقة من اكتشف سراً:

ـ إزيك يا (منصور).

ـ الحمد لله يا معلم.. آ.. نشكر الرب.

ـ إنت كنت في الجامع؟

تعثرت الكلمات على شفتي وأنا أفكر في حل لهذا الموقف..

ـ لا.. آه.. هو أنا مقلتلكش؟

قال متهكماً:

ـ لا مقلتش.

عدت أقول محاولاً تبرير الموقف:

ـ ما أنا كنت هقولك، هو الحقيقة يا معلم أنا مش قريب (رامي).. هو أنا زي قريبه بالظبط.. يعني زي ما تقول كدا متربيين مع بعض بس.

قال مكرراً كلامي في شك:

ـ متربيين مع بعض!

ـ آه من وإحنا في المدرسة.

رفع حاجبه وهو يقول في استهزاء:

ـ ما شاء الله.

أومأت برأسي وأنا أحاول الابتسام قائلا:

ـ بالظبط كدا.

ـ وبعدين؟
قلت في سرعة وأنا أشير إلى مدخل المسجد:
ـ ولا قبلين.. حضرتك داخل الجامع؟
ـ آه.
ـ طيب يا معلم، زي ما انت شايف أنا لسه خارج حالاً، المرة الجاية نبقى نتقابل وإحنا داخلين.. سلام عليكم.
قلت جملتي وذهبت مسرعاً لأبتعد مسافة كافية قبل أن أنظر نحو المسجد بطرف عيني لأرى إذا كان المعلم (حسونه) ما زال يراقبني أم لا، ويبدو أن المعلم (حسونه) قد غير رأيه ولم يدخل المسجد بسبب أمر ما، لأنه بدأ في السير عكس اتجاه المسجد وهو يتحدث في هاتفه المحمول..
ترى ما الذي سيفكر فيه الآن وخاصة أنه مريض بالشك كما أخبرني (راضي).. وعدت أنظر خلفي من جديد قبل أن أسمع ذلك الصوت الغريب..
ـ إزيك يا برنس.
التفت إلى مصدر الصوت فوجدت ذلك البلطجي المعتوه المسمى (شوقي) يقف أمامي ـ في وسط رجلين مفتولي العضلات ـ ينظر لي في تحفز..
ـ فيه حاجة حضرتك؟
ـ حضرتك؟
قالها في تعجب وكأنني وجهت إليه سبة ما فعدت أقول:
ـ طيب عايز إيه؟
قرب وجهه من وجهي فتذكرت تلك الحركة التي رأيت الديكة يفعلونها في الحارة قبل البدء في العراك، ثم قال:
ـ إنت نسيت اللي انت عملته المرة اللي فاتت وأنا سكران ولا إيه؟
قلت محاولاً تهدئته:

ـ يا سيدي أنا معملتش حاجة.. إنت اللي كنت ماسك سكينة ومش عارف عايز إيه.
قال في غضب وكأنه يحفظ كرامته وسط بطلي كمال الأجسام الواقفين بجواره:
ـ اللي انت عملته مكانش رجولة وخدتني على خوانة وأنا سكران.
ثم نظر إلى زميليه وهو يسأل:
ـ رجولة دي ولا مش رجولة؟
أجاب الرجلان في صوت واحد:
ـ لا مش رجولة يا (شوقي).
عاد ينظر لي وهو يقول في لوم:
ـ شفت.. كان لازم تستنى لما أفوق وتبقى مبارزة راجل لراجل، هي دي الأصول.
ـ يا سيدي أسيبك تعورني يعني وإنت سكران.. يصح دا يا جماعة؟
قلت جملتي متعجباً، موجهاً نصفها الأخير إلى العملاقين، فلم يجيبا، فعاد (شوقي) يقول:
ـ آه تسيبني أعورك، إنت دلوقتي عملت في نفسيتي ترسيبات مش كويسة.
ـ ترسيبات إزاي يعني؟
ـ هو كدا، ولازم أخد حقي منك.
ـ عايز إيه دلوقتي؟
ـ عايز كرامتي، إنا لازم أرجع هيبتي قدام الحارة تاني.
قلت محاولاً تهدئته:
ـ أنا ممكن اعتذرلك قدام الحارة كلها على فكرة.
هز رأسه نفياً في إصرار وهو يقول:
ـ لا الكلام دا ما ياكلش معايا..
ـ طيب شوف عايز تاكل إيه وأنا عازمك في المطعم اللي تحبه.

نظر إلى العملاقين ثم أشار لهما بيده وهو يقول:
ـ العزومة دي عندي يا برنس.
ورأيت أحد الرجلين يمسك بكتفي بإحدى يديه إن جاز أن تكون هذه الأشياء مجرد أيدي، ويهبط بيده الأخرى على رأسي في قوة، لتظلم الدنيا أمام عيني تماماً ويختفي كل شيء في لحظة واحدة..

يوميات راضي (٢٤):المشهد السابع والأربعون

ضحك (رامي) حتى دمعت عيناه وهو يقول:
ـ أنا مش قادر أصدق بجد إنت إزاي كنت مصدق موضوع (أبو حمزة) دا.
نظرت إلى (رامي) في خجل بينما نجلس في التاكسي متجهين إلى تلك المنطقة الراقية في طريقنا إلى مقابلة (ساندي)، بعد أن أتصل بها (رامي) وأخبرها بأن لديه معلومات هامة بخصوص (سعيد)..
ـ يا سيدي إنت لو مكاني كنت هتصدق أصلا.
ـ أنا أصدق الكلام الفارغ دا؟ لا طبعاً.
ـ خليك كدا اتريق براحتك.
قلتها في ضيق وقد أحرجتني سخريته فحاول كتم ضحكته ثم تنحنح قبل أن يرسم الجدية على ملامحه وهو يقول:
ـ خلينا في المهم، زي ما قلتلك فيه خبر ابتدى يتسرب إن (سعيد حسين) في حاله حرجة جداً وإشاعة اتسربت عن وفاته بين الموظفين عنده في الشركات.
نظرت إليه في ذهول متسائلاً:
ـ تفتكر دا معناه إيه ؟
نظر لي (رامي) في يأس وكأنه يحادث طالباً غبيا من طلابه وهو يقول في صوت خفيض كي لا يسمعنا السائق:
ـ معناه إن لو نظرية إنهم بيحاولوا يتخلصوا منه طلعت سليمة، إن الوقت قرب على إعلان وفاته، وغالبا الإشاعة دي هدفها التمهيد للموضوع.
هرشت رأسي مفكراً وأنا أقول محاولاً الاستيعاب:
ـ طيب خليني معاك.. لو قالوا إنه مات هيطلعوا الجثة اللي مش موجودة عندهم أصلا إزاي؟

ضحك (رامي) ساخراً وهو يقول:
ـ يعني الناس دي هتغلب إنها تطلع جثة على إنها (سعيد)؟
ـ طيب ولو رجع تاني؟
ـ أكيد فكروا في الاحتمال دا، وأكيد عاملين حسابهم إنه لو ظهر في أي مكان هيخلصوا منه، وهتبقى الحكاية في الآخر جثة لمجهول وخلاص.
قلت في غيظ:
ـ يا ولاد الإيه.
عاد (رامي) يقول :
ـ علشان كدا إحنا لازم نلحق نتصرف بسرعة.
قلت في رجاء :
ـ ياريت تكون (ساندي) دي عندها أي حاجة تقدر تساعدنا بيها.
ـ ياريت..
وأمام تلك الفيلا المنشودة توقفنا وخرجنا من التاكسي، بينما ألقى (رامي) نظرة على العداد، ثم أخرج بعض المال من حافظته وأعطاه للسائق، ثم اتجهنا نحو بوابة الفيلا..
كانت الفيلا تحاكي فيلا (سعيد) في الأناقة،إلا أنه لا يوجد أي حراسة بالخارج..
ـ مفيش حد، هنخبط على الباب ولا إيه؟
قلتها متسائلاً، بينما ابتسم (رامي) وهو يقول:
ـ هنخبط إيه بس..
ثم أقترب من جهاز معلق بجوار البوابة المغلقة وضغط أحد أزراره، فأتاه صوت رجل يسأل عمن بالخارج، فأجابه (رامي) بخصوص موعده مع (ساندي)، تلا ذلك صوت أزيز خفيض من الباب بعدها فُتح الباب تلقائياً..
ـ يلا بينا.

قالها (رامي) وهو يدخل وتبعته متعجباً إلى الداخل ..
ـ إيه دا يا عم؟
قلتها في قلق وأنا أنظر إلى الباب الذي أُغلق ورائنا من جديد، فالتفت لي (رامي) الذي كان قد سبقني بخطوات بسيطة وهو يقول:
ـ فيه إيه؟
ـ تفتكر الموضوع هنا أمان ولا إيه؟
ـ ما تقلقش يا (راضي).
ـ ربنا يستر.
وعلى مسافة غير بعيدة رأيت (ساندي) تقبل من بعيد ومعها رجل ضخم الجثة، لابد أنه حارس شخصي، واقتربت منا حتى وقفت أمامنا، ونظرت إلينا قبل أن تقول في لهجة جادة:
ـ لو صحافة وجايين تعملوا حوارات وكلام من دا أنا حذرتكم من أول مكالمة في التليفون.
نظرنا إلى الرجل الضخم الذي يقف متحفزاً بجوارها، بينما قال (رامي) مطمئناً:
ـ ما تقلقيش يا فندم.
ثم مد يده مصافحاً وهو يقول:
ـ أنا (رامي نصيف)، صحفي في جريدة الحرية، وعندي معلومات يمكن يهمك تعرفيها بخصوص أستاذ (سعيد).
ـ أهلا وسهلا.
قالتها في لهجة أقل حدة من ذي قبل، فأشار (رامي) نحوي وهو يتابع:
ـ (راضي) صديقي.
وصمت لحظة ليترك لها الفرصة كي تتذكرني إن كانت قد شاهدت البرنامج قبل أن يعود ليقول:
ـ لو كنتي شفتي برنامج "شقلب أحوالك" اللي ظهر فيه (سعيد)

بيه، (راضي) كان معاه على الهوا في التليفزيون.
هزت رأسها نفياً وأبدت أسفها أنها لم تشاهد البرنامج، ولكنها بدت أكثر ترحاباً وهي تدعونا لندخل معها إلى الفيلا وطلبت من الرجل العملاق أن يظل واقفاً في الخارج على مسافة قريبة.. دعتنا للجلوس في تلك القاعة العملاقة التي هي أكبر من المسجد الكبير في منطقتنا، ونظرت حولي أتأمل المكان.. كان كل شيء حولنا يلمع في روعة وكأنها قطع فنية متراصة في لوحة من الإبداع.. واقتربت فتاة آسيوية حسناء ووقفت أمامنا مبتسمة، فسألتنا (ساندي) أن تقدم لنا شيئا فطلبنا فنجانين من القهوة، طلبتهما من الفتاة باللغة الإنجليزية، وانتظرت حتى انصرفت تماماً قبل أن تنظر إلى (رامي) وهي تقول:
ـ حضرتك قلتلي إن عندك معلومات تخص (سعيد).
أومأ (رامي) برأسه مؤكداً وهو يقول:
ـ عندي معلومات مهمة جداً.
ـ إتفضل أنا سامعاك.
ـ حضرتك تعرفي مكان (سعيد)؟
هزت رأسها ومطت شفتيها في عدم فهم، ثم قالت:
ـ (سعيد) موجود في الفيلا بتاعته.. مش فاهماك !
ـ حضرتك شفتيه؟
لابد أن الكلمة قد حركت تفكيرها لشيء ما، فصمتت لحظة قبل أن تقول:
ـ الدكاترة مانعين الزيارة عنه.
عاد (رامي) يقول:
ـ الكلام دا مش حقيقي.. (سعيد) مش في الفيلا أصلاً.
ـ إزاي الكلام دا؟
قلت متدخلاً في الحوار:

ـ هي دي الحقيقة.. (سعيد) مش في الفيلا. صدقينا لو حياته تهمك.
قالت في لهفة وقلق:
ـ طيب هو فين؟
قال (رامي) في هدوء:
ـ هقولك بس بشروط.
نظرت إليه في حيرة قبل أن تقول:
ـ شروط إيه دي.. أنا أصلا إيه يأكدلي إن كلامك صح؟
أخرج (رامي) هاتفه المحمول من جيبه، ثم ضغط على بعض الأزرار قبل أن يمد لها الهاتف وهو يقول:
- شوفي الفيديو دا.
صرخت (ساندي) من المفاجأة وهي تشاهد العشر ثوان المسجلة لسعيد وهو نائم على الأريكة في شقة (رامي) ورأسه ملفوف بالضمادات، قبل أن تقول:
ـ قولي فين (سعيد) من فضلك وأنا مستعدة أدفعلكم كل اللي انتوا عايزينه.
قلت في استنكار:
ـ هو حضرتك فاكرانا خاطفينه؟
ـ امال إيه يعني؟
أشار لها (رامي) أن تهدأ وهو يقول:
ـ زي ما قلتلك، هتعرفي كل حاجة بس بشروط.
أومأت برأسها في سرعة وهي تقول وقد بدأت دموعها في الانسياب وهي تشاهد فيديو (سعيد) على الهاتف المحمول مرة أخرى:
ـ أنا موافقة على كل شروطكم أكيد. المهم ما حدش يأذي (سعيد).
ابتسم (رامي) مطمئناً إياها وهو يقول:
ـ ما تقلقيش، بس أول حاجة الكلام اللي هنتفق عليه دا مش لازم حد يعرفه خالص حفاظاً على حياة (سعيد) نفسه، ولو حصل عكس

كدا هتبقي إنتي المسئولة عن أي حاجة تجراله.
انهارت في البكاء وهي تقول:
ـ ما تقلقش.. أوعدك إن مفيش أي حد هيعرف أي حاجة.
نقلت بصري بينها وبين الحارس الشخصي الواقف على بعد عدة أمتار وأنا أقول:
ـ إهدي لو سمحتي مش المفروض حد ياخد باله من حاجة.
حاولت كبح دموعها وهي تقول:
ـ حاضر.
عاد (رامي) يسأل:
ـ قوليلي الأول، تفتكري أولاد عمه ليهم مصلحة إنهم يخلصوا منه؟
ـ إزاي يعني؟
ـ يعني إيه اللي يخليهم يقولوا إن (سعيد) موجود في الفيلا بيتعالج وهو مش هناك؟
هزت رأسها في حيرة وهي تقول:
ـ مش عارفة.
ـ ما أنا بسألك يا ترى تفتكري ليهم مصلحة إنهم يخلصوا منه؟
هزت رأسها نفياً وهي تقول:
ـ (سعيد) وولاد عمه متربيين مع بعض وبيحبوا بعض جدا زي الإخوات.
التفت لي (رامي)، فنظرت إليه ثم عدت أنظر إلى (ساندي) وأنا أقول في تهكم:
ـ واضح إن الأخوات بقت تاكل بعض دلوقتي.
عادت لتهز رأسها في عدم فهم، فتنهد (رامي) ونظر إليها وهو يقول في هدوء:
ـ مش عارف بس اللي وصلني إن ولاد عمه شركا معاه في بعض شركاته، وكمان هما الورثة الوحيدين ليه، وفي الفترة اللي فاتت

كان فيه بينهم خلافات كتير.
ـ هما فعلا شركا مع بعض، بس اللي بينهم خلافات شغل عادية وبتحصل بين كل الناس.
ضيق (رامي) عينيه ورفع حاجبه وكأنه يريد أن يصل بها إلى نتيجة ما، وهو يقول:
ـ مش لو لا قدر الله مات (سعيد)، الموضوع هيبقى أسهل بكتير من فض شراكة وخسارة فلوس.. صح؟
لم تجب (ساندي) فأومأت برأسي مؤيداً وأنا أجيب:
ـ صح.
قلتها ثم تذكرت شيئاً فعدت أقول في سرعة:
ـ دا كمان أكيد وصلهم خبر إنه فقد الذاكرة.
صاحت (ساندي) متعجبة وهي تقول:
ـ مين اللي فقد الذاكرة؟
قال (رامي) موجهاً حديثه نحوي:
ـ هو مين يعرف الموضوع دا؟
ـ الدكتور في المستشفى، (سعيد) اتكلم وقاله إنه مش فاكر حاجة.
ضرب (رامي) بظهر يده على راحة يده الأخرى وهو يقول:
ـ هو دا اللي أنا بقوله.. هما متأكدين إنه مش فاكر حاجة ومش هيسبب أي إزعاج، ولو كان اتخطف يبقى خير وبركة، ولو لا يبقى هيموت زي ما هما مرتبين وتتعمل الجنازة وتتوزع التركة ولما يظهر (سعيد) وقت ما يظهر يخلصوا منه.
صاحت (ساندي) وقد توترت إلى أقصى درجة:
ـ أنا مش فاهمة حاجة خالص.
قال (رامي) مهدئاً:
ـ أنا هقولك الموضوع من الأول، وخلينا نشوف إحنا ممكن نعمل إيه.

ـ إتفضل.

وقبل أن يبدأ بالكلام، دق جرس هاتفي المحمول، فأشرت له أن ينتظر لثانية.. كان الرقم الظاهر أمامي هو رقم هاتف المقهى في الحارة..

ـ ألو..

كانت (سعدية) تصرخ في الهاتف باكية بطريقة لم تجعلني أفهم منها حرفاً، فعدت أقول:

ـ (سعدية).. إتكلمي بالراحة أنا مش فاهم حاجة..

انتبه (رامي) و(ساندي) لي بشدة، وقد توترت إلى أقصى درجة حتى أنني قمت من مقعدي..

ـ ما تعمليش حاجة يا (سعدية)، إحنا جايين في الطريق.

ـ فيه إيه يا (راضي) مالها (سعدية)؟

سألني (رامي) في توتر، فأجبت وقد كاد تدفق الأدرينالين في جسدي يتسبب في وفاتي بنوبة قلبية:

ـ مش (سعدية).

ـ أمال إيه؟

ـ (سعيد).. إتخطف.

يوميات سعيد (٢٤):المشهد الثامن والأربعون

في تلك الحجرة شبه المظلمة أفقت لأجد نفسي جالساً مقيد اليدين والقدمين إلى كرسي خشبي قديم..

ووقف أمامي ذلك المدعو (شوقي) والرجلين ذوي العضلات المنتفخة في تحفز.. كانت الرؤية لا تزال مشوشة عندي إضافة إلى ذلك الضوء الخافت في الحجرة..

ـ حمد لله على السلامة يا برنس.

قالها (شوقي) ضاحكاً بطريقة وقحة، فهززت رأسي وأنا أقول:

ـ الله يسلم حضرتك.

ـ حضرتك تاني؟

قالها وضحك هو وزميليه في صخب، بينما عدت أقول محاولاً التفاهم معه:

ـ أنا عايز أفهم بس إنت عايز إيه؟

ـ ولا حاجة يا صاحبي، أنا إتهزقت في الحارة بسببك.. شوف بقى المفروض التعويض بتاعي يبقى إزاي؟

كنت قد بدأت أستجمع شتات نفسي وأحاول استخدام مهاراتي التمثيلية للحفاظ على ربطة جأشي وأنا أقول:

ـ بالظبط كدا، خلينا نتكلم بالعقل، شوف التعويض اللي انت عايزة.. قول عايز كام؟

ـ إنت عبيط ولا بتستعبط.. هتجيب فلوس منين، من صاحبك (راضي) ولا من الأستاذ التاني اللي مش لاقي ياكل.. أنا حقي هاخده بطريقتي.

قلت في لهجة تمثيلية ونبرات صوت أدهشتني ثقتها وهدوئها ولابد أنها أدهشته أيضاً:

ـ إنت اللي هتخسر.. إنت مصدق إني قريب (رامي) دا؟

لابد أنني كنت ممثلا رائعاً، لأن (شوقي) بدأ يستجيب تدريجيا وهو يقول في شك:
ـ يعني إيه؟
ـ أنا هجيبلك من الأخر.. أنا لا قريب (رامي) ولا كلام من دا.. الحقيقة إني أخدت قرض من البنك وهربان ومستخبي في الحارة لغاية ما أطلع بره مصر بالفلوس، بس أنا مستعد أدفعلك كل اللي تطلبه، ما هو ياروح ما بعدك روح.
نظر لي (شوقي) في غباء وهو يقول:
ـ أوعى تكون بتضحك عليا؟
ـ أكيد مش هضحك عليك أنا مش مستغني عن عمري.
اقترب منه أحد الرجلين وهو يقول في صوت خفيض:
ـ الواد دا شكله ابن ناس صحيح.. خلينا نشتري منه ونشوف آخره إيه.
ابتسمت وأنا أقول مؤكداً كلام الرجل:
ـ الله ينور عليك.. إشتري مني.
قال (شوقي) وقد بدأت نبرة صوته في التبدل لتصبح أكثر لينا:
ـ يعني إنت من بتوع القروض والحاجات دي؟
قالها ثم رفع كفه في الهواء في سرعة وهو يتابع:
ـ عموما ولا يهمني أي حاجة من دي.. أمان يا صاحبي.. قروض بقى ولا غيره براحتك.. بس نصيبي يا برنس.
ـ نتفق.
ـ ماشي نتفق.. أنا عايز خمسين ألف جنيه.
ـ موافق
همس أحد الرجلين في أذنه فعاد يقول:
ـ لا أنا أقصد خمسين ألف لكل واحد فينا.
ـ موافق.

ـ إنت شكلك يا ابن ناس بجد، يا بتحاول تضحك علينا، بس لو طلعت بتحاول تشتغلني يبقى يا خسارة عليك.
قالها وهو يشير إلى رقبته مهدداً فقلت في لهجة واثقة وأنا أحاول الحفاظ على ابتسامتي:
ـ ما تقلقش.
قطع الحديث صوت نغمة جرس هاتف المحمول، فاقترب منه أحد الرجلين يناوله الهاتف، فأمسك به ينظر إلى الرقم ثم ضغط على زر الرد ووضع الهاتف على أذنه وهو يجيب في احترام:
ـ (كريم) باشا، أوامرك يا كبير.
كان يبدو أنه يكلم رجلاً له أهمية ما، أو ربما زعيماً من زعماء العصابات..
ـ قولي عليه وأنا أجيبهولك من تحت الأرض، سعادتك عارفني أجيب الجن الأزرق.. إيه دا كمان في الحارة عندنا؟.. مين دا؟
ثم صمت لحظة قبل أن يقول من جديد:
ـ أوامرك يا (كريم) باشا، علم وينفذ.
قال جملته ثم أغلق الخط ونظر لي في عدم فهم وهو يقول:
ـ إنت مين يا جدع إنت وإيه المصايب اللي انت عاملها؟
لم أرد إذ لم أفهم ما يرمي إليه، فعاد يقول في ذات اللهجة وهو يخرج مطواته من جيبه:
ـ إنت شكلك سرقت فلوس حد مهم أوي.. راسك مطلوبة يا صاحبي وبأعلى سعر.
لم أكن أعتقد أبداً أن الغيرة الفنية قد تصل بأحد إلى هذا الحد الذي تجعله يفكر في قتلي والخلاص مني بهذا الإصرار.. ونظرت إلى (شوقي) في توتر وقد جف حلقي وأنا أرى النصل الحاد في يده ونظرات عينيه تنبئ بالشر..

يوميات راضي (٢٥):المشهد التاسع والأربعون

ـ تفتكر اللي عملناه دا صح؟
وجهت سؤالي إلى (رامي) وأنا أسرع الخطى بجواره في الحارة المتربة، نتجه إلى السطوح حيث تنتظرنا (سعدية) بما تعرفه من التفاصيل، فأجاب وهو يلهث من التعب:
ـ معرفش يا (راضي)، مش عارف إذا كان فيه حل أحسن من كدا ولا لأ.
عدت أكرر ما اتفقنا عليه محاولاً استيعاب تلك الخطة:
ـ يعني إحنا هنكلم (شوقي) ونحاول نعطله، و (ساندي) المفروض إنها هتبلغ البوليس بالمكان.
أومأ برأسه وهو يصعد درجات السلم:
ـ بالظبط كدا.
توقف لحظات لالتقاط أنفاسه فوقفت إلى جواره وأنا أقول:
ـ وهتبلغ كمان على موضوع إن ولاد عمه كانوا مخبيين الخبر علشان يخلصوا منه.
ـ آه.
ـ طيب لو الخطة دي فشلت، أو اتهمونا إحنا بالخطف، هنبقى كدا رحنا في داهية.
عاد (رامي) لصعود السلالم من جديد في صعوبة وهو يقول:
ـ معنديش حل تاني يا (راضي).. وبعدين أصبر لما نشوف المصيبة اللي إحنا فيها دلوقتي.
وعلى السطوح، ما أن رأتنا (سعدية) حتى انتفضت واقفة متجهة إلينا وعيناها منتفختين من البكاء..
ـ إتأخرتو كدا ليه دا زمانهم موتوا الراجل؟
قلت متمسكاً بالأمل:

ـ متقلقيش يا (سعدية) ربنا يستر.
قال (رامي) في سرعة:
ـ قوليلنا إيه اللي حصل؟
صمتت سعدية لحظة كأنها تستعيد التفاصيل في ذاكرتها قبل أن تقول:
ـ زي ما قلتلي أنا كنت موصية الواد (محمود) ابني يمشي ورا (سعيد) من غير ما حد ياخد باله ويفضل قاطره في الرايحة والجاية لغاية ما يرجع البيت.
ـ وبعدين.
ـ المهم هو طلع بره الحارة على الجامع الكبير في الشارع اللي ورانا، وبعدين وهو راجع الحارة قابله (شوقي) ومعاه اتنين بلطجية عند الخرابة اللي على الناصية وضربوه واخدوه معاهم.
ـ وما عرفتيش أخدوه على فين؟
ـ لا طبعا الواد (محمود) أول ما شاف كدا رجع جري.
قال (رامي) في توتر:
ـ يكونوا راحو بيه على فين؟
قلبت كفي في قلة حيلة وأنا أقول:
ـ مش عارف.. بس تفتكر هما خطفوه ليه؟
قالت (سعدية) في قلق:
ـ معرفش بس ممكن يكون علشان الخناقة اللي حصلت قبل كدا.
صمت (رامي) لحظات يفكر قبل أن يقول:
ـ إحنا لازم نلحق نتصرف.
ـ هنعمل إيه؟
قالتها (سعدية) متسائلة، بينما نظرت إلى (رامي) في انتظار الرد..
ـ هنشوف المخابرات.
ـ مخابرات إيه؟

ـ مخابرات الحارة يا (راضي) المعلم (حسونه)، أكيد هيعرف يوصلنا للواد (شوقي).
جاءنا ذلك الصوت المعروف من ناحية مدخل السطوح..
ـ المخابرات وصلت.
التفتنا إلى مصدر الصوت فوجدنا المعلم (حسونه) واقفاً يبتسم..
ـ أهلاً يا معلم.
قالها (رامي) مرحباً في حرج، فاقترب المعلم وهو يقول:
ـ أنا فعلا عارف الراجل بتاعكم فين.
قلت في لهفة كمن وجد طوق النجاة:
ـ فين يا معلم؟
ـ الواد (شوقي) والعيال اللي معاه أخدوه على ورشة ميكانيكا بتاعة واحد منهم وحابسينه هناك.
ـ طيب يلا بينا.
قلتها في تعجل، فأشار لي (رامي) أن أنتظر وهو يقول:
ـ إهدى بس شوية، خلينا نفكر هنعمل إيه.
ثم عاد ينظر إلى المعلم (حسونه) متسائلاً في شك:
ـ بس معلش يا (معلم) أنا عايز اعرف حاجة، أنا كنت متأكد إن عندك خبر بالأماكن اللي ممكن نلاقي فيها (شوقي) بشكل عام، لكن إزاي عرفت موضوع (منصور) بالذات؟
ضحك المعلم (حسونه) وهو يقول في مكر:
ـ تقصد موضوع (سعيد)؟
توتر ثلاثتنا عندما نطق المعلم (حسونه) بذلك الاسم، فاستدرك في سرعة:
ـ ما تقلقوش، سركم في بير، بس مكانش يصح تخبوا علي المعلم برضه.
هزززت رأسي نفياً في محاولة أخيرة للإنكار:

ـ نخبي إيه يا معلم دا.. (منصور) قريب (رامي).
ضحك المعلم (حسونه) بطريقة مستهزئة قائلاً:
ـ (منصور) المسلم ولا المسيحي؟
كدت أن أقول شيئاً في محاولة للتبرير فأشار لي (رامي) مقاطعاً وهو يقول:
ـ خلاص يا (راضي).. هو فعلا (سعيد حسين) يا معلم.
ابتسم المعلم في زهو وهو يقول:
ـ أنا كنت شاكك في الوش دا من أول ما شفته في الحارة، وبعدين قلت إيه اللي هيجيب راجل زي دا عندنا.. بس اللي لخبطني إنه كان متبهدل أوي، والجاكيتة الغريبة اللي كان لابسها دي كمان.
تنحنحت وأنا أقول في حرج:
ـ دي الجاكيتة بتاعتي يا معلم.
نظر لي في استياء قبل أن يتابع:
ـ المهم برضه التفكير ما سابش دماغي، وقلت يمكن يكون مستخفي وبيدرس الحارة علشان مشروع من مشروعاته زي ما بيعملوا في الأفلام، والنهاردة بقى من الصبح شايف الواد (شوقي) وشلته في القهوة وشكلهم بيدبرو ناويين على حاجة، علشان كدا خليت الواد (حوده) يراقبهم من غير ما ياخدوا بالهم.
قلت في سعادة:
ـ تمام كدا يا معلم، إنا كنت عارف إن إنت اللي هتجيب التايهة.
ابتسم المعلم في زهو، بينما نظرت إلى (سعدية) وأنا أقول:
ـ (سعدية) هتبلغي البوليس بالمكان اللي المعلم هيقولنا عليه وإحنا هنروح نحاول نلحقه قبل ما (شوقي) يعمل فيه حاجة.
أجابت (سعدية) بالموافقة بينما عدت أنظر للمعلم مرة أخرى وأنا أقول:
ـ يلا بينا يا معلم.
انتفخ صدر المعلم وكأنه يستعد للحرب وهو يقول في قوة:
ـ ماشي كلامك.. يلا بينا.
وتقدمنا مشيراً لنا أن نتبعه، فأسرعنا جميعاً نغادر السطوح إلى الحارة في خطوات مسرعة..

يوميات سعيد (٢٥):المشهد الخمسون

عندما فتح أحد العملاقين بوابة المكان الغريب الذي يحتجزونني به، رأيت ثلاثة من الأشخاص يدخلون من ضوء النهار في الخارج إلى الظلام النسبي في الداخل، ولا أعرف لماذا هيئ لي في بداية الأمر أنني أرى دبا قطبياً يتبعه طائر بطريق وسنجاب .. ثم تبين لي أنها فرقة الإنقاذ المكونة من المعلم (حسونه) و (رامي) و (راضي)..

كان المعلم (حسونه) قد اتصل بذلك البلطجي (شوقي) ليبلغه أنه يعلم مكانه وعليه أن يسمح له بالدخول للمفاوضة معه بدلاً من الخسائر التي قد تلحق بالطرفين في حال إدخال الشرطة إلى الحارة..

وقبل (شوقي) ذلك على مضض بعد أن استشار صديقيه، إلا أنه استعدادا لأي غدر طلب منهم ترك الهواتف المحمولة وقام بتفتيشهم جيداً قبل السماح لهم بالدخول..

ـ يا مرحب يا معلم (حسونه).

ـ مفيش بينا سلام طول ما انت بتعمل اللي بتعمله في الحارة دا يا (شوقي).

قالها المعلم (حسونه) في غضب وقد انتفخ صدره محاولا التشبه بالعملاقين الذيّن وقفا بجوار (شوقي)، على الرغم من الفارق البدني والصحي الضخم، وابتسم البلطجي تلك الابتسامة المستهترة وهو يقول:

ـ عادي يا معلم.. بشوقك.. عايز إيه؟

ـ الراجل دا يخصنا يا (شوقي).

ـ الراجل دا بقى بتاعي يا معلم خلاص.. ومش هسيبه إلا لما أخد حقي.

تدخل (راضي) في شجاعة تعجبت منها قائلاً:

ـ حقك عندي أنا يا (شوقي).
عاد البلطجي للابتسام من جديد وهو يقول متهكماً:
ـ إنت مين إنت أصلا ياد.. دا أنا لو بعتك كلك على بعضك مش هتجيب حاجة.
هتف (راضي) وقد أغضبته الإهانة:
ـ بقلك إيه، إنت تخلي بالك وإنت بتتكلم معايا احسنلك.
نظر له الرجل في ذهول لحظة ثم انفجر ضاحكاً هو وصاحبيه، قبل أن يقول أحدهما:
ـ هو فيه حد بيتكلم؟ أنا سامع صوت بس مش شايف حاجة.
ثم عادوا للضحك مرة أخرى في صخب، تدخل (رامي) قائلاً:
ـ يا جماعة خلينا نتفق بالعقل، عايز إيه يا (شوقي) وتديلنا الراجل دا؟
ـ ما تقدروش على اللي أنا عايزة.
تدخلت على الفور في الحديث محاولاً تقمص الدور وأنا أقول مدعيا الاستسلام:
ـ خلاص يا (رامي).. كفاية كدا.. أنا قلتلهم على كل حاجة وهدفعلهم اللي هما عايزينه.
ونظرت بطرف عيني إلى (راضي) الذي فغر فاه في بلاهة خشية أن يفسد ما أفعل، بينما رأيت (رامي) يهز رأسه في عدم فهم لما يجري قبل أن يقول:
ـ إنت بتقول إيه؟
قلت في سرعة محاولاً استغلال جملته لصالحي قبل أن يستكمل كلامه:
ـ ما فيش داعي للإنكار خلاص يا (رامي).. إيه المشكلة لما ياخدوا اللي هما عايزينه، واهرب أنا بره البلد واستمتع بباقي الفلوس اللي أخدتها من البنوك.

لمعت عينا (شوقي) جشعاً، في حين بدا أن (راضي) قد فطن للعبتي، ولابد أن تمثيلنا سوياً من قبل جعل كلاً منا يجيد فهم الأخر ومجاراته، فقال في استسلام:

ـ خلاص يا (شوقي) اللي انت عايزة هتاخده، إحنا مش عايزين مشاكل، سيبنا شوية مع بعض لو تسمح يعني، وأوامرك بعد كدا.

نظر لهم (شوقي) بعض الوقت في شك، قبل أن يستشير صديقيه، ثم يلتفت إليهم ملوحاً بالمسدس في يده وهو يقول:

ـ مش عايز أي تفكير في خديعة، فاهمين؟

قالها ثم اصطحب رفيقيه إلى أقصى المكان ليبتعد عنا بضعة أمتار تاركا إياهم ليلتفوا حولي..

ـ ما تقلقش كله هيبقى تمام.

قالها (رامي) مطمئناً، فابتسمت وأنا أقول في سعادة:

ـ إيه رأيك في التمثيل بتاعي.. أنا كنت خايف تقعوا في الكلام.

قطب (رامي) حاجبيه متعجباً وهو يقول:

ـ إنت بتمثل عليهم كل دا؟

نظرت له محذراً كي يخفض صوته قبل أن أجيب:

ـ يعني هو أنا عندي قروض ولا فلوس!

ابتسم (رامي) ولمعت عيناه بفكرة وهو يقول:

ـ ما تقلقش يا (منصور).. هنجيبلهم اللي هما عايزينه.

هززت رأسي في حماس أنتظر الخطة، وقد أعجبني الدور الجديد، قبل أن أقول:

ـ هنعمل إيه؟

ابتسم (رامي) ابتسامة ذات مغزى لم أفهم معناها وهو يقول:

ـ مغامرة بسيطة، هتمثل فيها شخصية رجل أعمال معروف.

قلت متسائلاً:

ـ مين دا؟

أجاب (رامي):

ـ واحد اسمه (سعيد حسين).

هززت كتفي بما يعني أنني لا أعرفه، فعاد يقول:

ـ ما تقلقش الشبه بينكم ملوش حل، فولة واتقسمت نصين.

وابتسمت وأنا أجيب بالموافقة على المغامرة، وتركت (رامي) ليلعب دور المخرج في هذا الأمر، بينما بدأت أستعد لتقمص الشخصية الجديدة..

يوميات راضى (٢٦):المشهد الواحد والخمسون

ارتدي (سعيد) تلك البدلة التي اختارها له (رامي) من محل (أيمن) المكوجي، بينما استعدت الجاكيت الأخضر الأنيق خاصتي، وأمام البنك جلسنا في السيارة لبعض الوقت أنا و(سعيد) مع (شوقي) وأحد رجاله، بينما أصر على احتجاز (رامي) و المعلم (حسونه) في تلك الورشة حتى عودتنا..

نظرت إلى (سعيد) الذي كان منتشياً في سعادة لا أفهم معناها قبل أن أقول مشجعاً:

ـ جاهز يا (سعيد).

أومأ (سعيد) برأسه مؤكداً وهو يقول:

ـ جاهز جداً.

رفع (شوقي) مسدسه أمامنا متعجباً من ذلك الحماس وهو يشير إلى (سعيد) مهدداً:

ـ أوعى حتى تفكر تقل بأصلك، هخلص على صاحبك وبعدين عليك.

ونظر لنا لثوان في صمت يتأكد من أثر التهديد علينا، قبل أن يتابع بنفس اللهجة الجافة:

ـ هتروح تجيب الفلوس من البنك زي ما قلت وتطلع على طول، أوعى تفكر تكلم حد أو تعمل أي حركة.

أجابه (سعيد) بالموافقة فأشار له أن يغادر السيارة، ثم نظر للرجل الذي معه قائلاً:

ـ خليك معاه يا (فرج) وخلي بالك منه.

أومأ الرجل برأسه موافقاً، فعاد (شوقي) ينظر لي وهو يقول:

ـ إنت بقى هتفضل معايا لغاية ما صاحبك يرجع.

ـ بس هو..

لم يمهلني (شوقي) حتى استكمال جملتي

ـ مش عايز كلام كتير.
أومأت برأسي في استسلام بينما هبط (سعيد) من السيارة، متجهاً إلى البنك كأي عميل يتبعه (فرج) عن قرب.. وما أن عبر (سعيد) و(فرج) بوابات البنك ليختفيا بالداخل حتى أسرع (شوقي) ليطلب رقماً على هاتفه المحمول وهو لا يزال يشير لي بالمسدس الذي في يده..
أجابه الشخص على الطرف الأخر، فابتسم (شوقي) في سعادة وهو يقول:
ـ الباشا الكبير.. طلبك جاهز يا (كريم) باشا.. صدقني زي ما بقلك كدا..
صمت لحظات يستمع إلى المتصل وتغير وجهه قليلاً قبل أن يقول:
ـ لو عايزني أخلص بنفسي يا كبير أوامرك.. زي ما تحب.. لو عايز تبعت رجالتك تستلم البضاعة أنا هديلك العنوان.
وبدأ يمليه عنوان البنك الذي نقف أمامه.. ترى كم شخصاً يريد أن يتخلص منك يا (سعيد).. ترك (شوقي) الهاتف وابتسم وهو يقول:
ـ معلش يا (راضي) المصلحة مفيهاش خواطر.
هززت رأسي متسائلاً في قلق وأنا أقول:
ـ ناوي تعمل إيه يا (شوقي)؟
ـ زي ما انت سامع كدا.. صاحبك هيجيب الفلوس من البنك، بس مش هيرجع معانا.. فيه راجل كبير دافع فيه مبلغ حلو أوي.
ـ اللي كنت بتكلمه دا؟
ضحك وهو يقول:
ـ لا دا مقاول أنفار.. واحد بيظبط الشغل للناس الكبار وبيطلع بمصالح زيه زينا كدا.. بس الحق يتقال، راجل حقاني وعمره ما نصب عليا في جنيه.
ـ لا ماشاء الله يا (شوقي).. ربنا يديم المعروف.

ـ آه والله.
قالها ثم نظر لي وهو يقول:
ـ ما تزعلش مني يا صاحبي، ما يرضيكش يعني أضيع المصلحة.
ـ لا طبعا.
ـ إنما قولي صحيح.. الراجل دا طالما معاه فلوس كتير كدا مهربش ليه على بره على طول.
ـ حظه الهباب يا (شوقي).
ضحك وهو يقول:
ـ والله الناس دي بتضحكني يا أخي، بس برضه النفس أمارة بالسوء.
ـ كلامك كله حكم النهاردة يا (شوقي).
ـ لا دا أنا أعجبك أوي.
نظرت إلى الساعة في السيارة وأنا أفكر.. المفترض الآن أن تكون (ساندي) و(سعدية) قد أبلغتا الشرطة، التي يجب أن تكون قد حاصرت الورشة وحررت (رامي) والمعلم (حسونه)، ليبلغا بوجودنا في هذا المكان.. لكن حتى الآن لم تصدر أي إشارة تنبئ أن الأمر تم كما خطط له..
رنين اتصال آخر قطع الصمت، بينما توتر (شوقي) قليلاً.. ولمحت بطرف عيني أن المتصل هو (فرج)..
ـ فيه إيه؟
أجاب (شوقي) الهاتف متوجساً، وحاولت أن أصغي السمع فلم أسمع حرفاً مما قاله له (فرج)، بينما عاد (شوقي) يقول:
ـ أخرج إنت من سكات وبسرعة.
وأغلق الخط ونظر لي في غيظ قائلاً:
ـ صاحبك شكله هيوديكم في داهية يا (راضي).
ـ إيه اللي حصل؟

قال في غضب وهو يضغط على أسنانه:
ـ وحياتك لأخلص عليكم، مش أنا اللي يتضحك عليا.
وعلى بوابة البنك رأينا (فرج) يخرج متجهاً إلينا في خطوات مسرعة، ليفتح باب السيارة ويجلس في المقعد الخلفي يلتقط أنفاسه اللاهثة قبل أن يقول:
ـ هنعمل إيه؟
قال (شوقي) بنفس الأسلوب الغاضب وهو يدير محرك السيارة:
ـ هنستنى يا (فرج) وجهز سلاحك، أنا حقي مش هيضيع.
لم أكن أعلم ما الذي حدث، ولكنني كنت أعرف أن (شوقي) ينتوي الشر بكل المقاييس..
دقائق طويلة مرت قبل أن تقطع أفكاري تلك السيارة الفارهة التي توقفت بالقرب منا، وهبط منها اثنان من الحراس الشخصيين مفتولي العضلات، وامرأة ذات شعر أشقر يتبعها رجل يشبه (سعيد) إلى حد ما، وأدركت من هذا الشبه أنه ولابد ابن عمه.. وعدت أنظر إلى المرأة فتأكدت أنها تلك المرأة التي رأيناها في الفيلا..
لا أعرف كيف جاءت إلى هنا في تلك اللحظة .. وما معنى ظهورهم هنا دون ظهور الشرطة.. وتساءلت في حيرة إن كانت (ساندي) متواطئة معهم في ذلك الأمر..
خفق قلبي في عنف أكبر، وأنا أنظر إلى الحراس المرافقين لهما وأرى كل منهم يقوم بتجهيز سلاحه متحفزاً قبل أن يعيده إلى حزامه من جديد في انتظار الأوامر..

يوميات سعيد (٢٦):المشهد الثاني والخمسون

في انتظار دوري جلست وبجواري جلس (فرج) على طرف كرسيه وقد بدت نظرته مهدِدة، يتلفت حوله بين الحين والأخر ليتأكد أنه ليس هناك مكيدة ما..

كان بعض العاملين يتحرك جيئة وذهاباً في سرعة كخلية نحل، بينما اكتظ البنك في ذلك اليوم لحسن الحظ بالعملاء، ونظرت إلى الرقم المدون به دوري لتنفيذ معاملاتي، كان أمامي عشرون في قائمة الانتظار..

تساءلت في تلك اللحظات عن سبب عدم شعوري بالارتياح في هذا المكان.. لابد أن العمل في التمثيل أفضل كثيراً من تلك الحياة الروتينية المملة التي يحياها هؤلاء الأشخاص..

وبدأت أحاول تناسي ذلك التوتر والاندماج أكثر في الدور حتى تصل الشرطة، فأسندت ظهري في ارتياح إلى المقعد ووضعت ساقاً على ساق في استعلاء..

نظر (فرج) نحوي وتأمل هيئتي وبدا من ملامحه أنه صدق أنني من هؤلاء الأغنياء فعلا، قبل أن يقول متسائلاً:

ـ إنت مستني إيه؟

نظرت إليه في تأفف وأنا أقول بنفس اللهجة المتعالية:

ـ مستني دوري.

قال في تعجب:

ـ دورك إيه هي جمعية؟

أشرت إلى الأرقام التي تظهر على الشاشة وأنا أقول:

ـ شايف الأرقام دي؟

ـ آه مالها؟

ـ كل واحد هنا ليه رقم لما بيظهر على الشاشة بيقوم يروح على

الشباك.
مط شفتيه في استياء وهو يقول:
ـ وليه كل التعقيد دا، ما كل واحد يقوم ياخد فلوسه ويمشي وخلاص.
أشرت إليه أن يصمت، ففعل، ونظرت إلى الساعة الضخمة المعلقة على الحائط.. كان الوقت يمر سريعاً، دون أن أعرف ما الذي سيحدث عندما تهتف تلك الموظفة الالكترونية برقمي لأتوجه إلى الشباك كي أنهي معاملتي الوهمية.. ولا أعرف ما نتيجة الخطة التي وضعها (رامي)..
ـ (سعيد) بيه.
أتى الصوت من جانبي هاتفاً في سعادة وترحاب، فالتفت لأجد رجلاً وجيهاً يقف أمامي وعلى شفتيه أكبر ابتسامة رأيتها في حياتي..
وبنفس الترحاب مد الرجل يده لمصافحتي وهو يقول:
ـ حمد لله على سلامتك يا (سعيد) بيه.. أنا والله مبسوط إني شفت حضرتك النهاردة.
حاولت الحفاظ على هدوئي وأنا أمد يدي لمصافحته، وأنا أقول:
ـ أهلا بيك.
اهتزت الابتسامة على شفتي الرجل قليلاً عندما أحس أنني لا أعرفه..
ـ هو حضرتك مش فاكرني؟
يبدو أنني أشبه (سعيد) هذا فعلاً لأن الرجل لم يشك في الأمر لحظة واحدة، فقطبت حاجبي مدعيا التفكير ..
ـ الحقيقة أنا مش مركز بس.
ـ أنا (مراد الفرماوي) مدير البنك، أنا أتشرفت بحضرتك قبل كدا مع أستاذ (أمجد) ابن عم حضرتك، بس أكيد مشاغل حضرتك كتير، كان الله في العون يا فندم.

ابتسمت وكأنني تذكرت وأومأت برأسي مؤكداً كلامه، بينما جلس (فرج) فاغراً فاه لا يعرف ماذا يجب أن يفعل، في حين عاد (مراد) يقول:

ـ أنا بعتذر والله، حضرتك كان لازم تشرفني في مكتبي على طول، إتفضل يا فندم.

قالها ثم أشار إلى أحد موظفيه الذي أتى مسرعاً وطلب منه أن يتبعنا إلى المكتب، وقام (فرج) ليتبعنا هو الآخر فأخبرت (مراد) أنه سائقي فطلب منه في تهذيب أن ينتظر فوقف لا يدري ماذا يفعل، بينما أوليته ظهري متجهاً مع الرجل إلى مكتبه، وهناك جلست محاولاً الاستمرار في رسم تلك الصورة من الوجاهة الأرستقراطية وطلبت فنجانا من القهوة السادة كعادة رجال الأعمال..

طرقات بسيطة على الباب تلاها دخول شاب متأنق على شفتيه ابتسامه متملقة، فنظر إليه (مراد) وهو يقول آمراً:

ـ (أشرف) شوف (سعيد) بيه عايز يعمل إيه وخلصه حالاً في ثانية.

أجاب الشاب بالتأكيد وسألني مبتسماً عن الذي أريد أن أفعل، فترددت ثانية قبل أن أقول:

ـ لا شكراً أنا كنت هسحب مبلغ بس نسيت الرقم القومي.

انفجر (مراد) ضاحكاً وهو يقول:

ـ دمك خفيف والله يا (سعيد) بيه، حضرتك أؤمر أسحب لحضرتك كام؟

ـ آ.. ميه وخمسين ألف.

ـ حالاً يا فندم.

قالها ثم أشار للشاب أن يفعل، فأومأ الشاب مطيعاً ثم انصرف في سرعة، ثم عاد (مراد) يقول:

ـ حضرتك عارف إن (أمجد) ابن عم حضرتك يبقى صاحبي من أيام المدرسة؟

ـ فعلاً؟
عاد (مراد) يبتسم بينما الساعي يصب لي القهوة ويضعها أمامي ثم ينصرف، قبل أن يقول:
ـ بس الدنيا تلاهي يا (سعيد) بيه..
ـ عندك حق محدش بقى يفتكر حاجة.
قال (مراد) مؤكداً:
ـ آه والله، دا أنا قربت أنسى اسمي من كتر ضغوط الشغل والحياة.
ـ ومين سمعك يا (مراد) بيه.
ـ كان الله في العون يا باشا، حضرتك مسئولياتك أكبر بكتير.
قالها ثم أمسك بهاتف مكتبه وطلب رقماً وهو يقول:
ـ والله فرصة، أنا أكلم (أمجد) بيه وحضرتك عندي بعد إذنك.
تجمد الدم في عروقي وقد أجاب الطرف الأخر، فرفع (مراد) صوته في سعادة وهو يقول:
ـ (أمجد) باشا حبيب قلبي.. واحشني والله.. مقصر معاك والله.. بس قلت فرصة أكلمك واطمّن على أخبارك.. خمن بقى مين عندي وأنا بكلمك دلوقتي.
عدت انظر إلى الساعة وقد بدأت حبات العرق تتكاثف على جبيني رغم برودة جو الغرفة.. وتسارعت دقات قلبي، وارتفع صوته كطبول الحرب حتى كدت أخشى أن يصل الصوت إلى (مراد) الجالس أمامي يتحدث في الهاتف ضاحكاً ويخبر محدثه مؤكداً أن (سعيد حسين) يجلس أمامه الآن..

يوميات راضي (٢٧):المشهد الثالث والخمسون

ـ إنت بتلعب من ورايا يا (شوقي)؟
ارتعد (شوقي) وهو يقف بجوار السيارة أمام ذلك الرجل المهيب ذو اللحية الصغيرة البيضاء كرجال العصابات وهو يقول:
ـ يا كبير أنا مش قصدي أنا كنت بس..
قاطعه الرجل في غضب وهو يهتف:
ـ أخرس مش عايز كلام فارغ.. طمعان في قرشين زيادة كنت قول، لكن اللي انت عملته دا غباء.
أرخى (شوقي) عينيه في استسلام وهو يقول:
ـ لا مؤاخذه يا كبير أنت صح.
التفت الرجل ذو اللحية البيضاء إلى رجاله الأربعة الذين خرجوا من السيارة الضخمة، وتبدو أسلحتهم تحت بدلاتهم السوداء..
ـ خلوا بالكم أول ما يخرج، حي أو ميت مش مهم.
أجاب الرجال في صوت واحد مؤكدين أنهم مستعدين، بينما عاد الرجل ينظر إلى (شوقي) ويقول:
ـ إبعد بالعربية شوية، بس ما تمشيش، لو العملية باظت قول يا رحمن يا رحيم على روحك يا (شوقي)، علشان تخلي الطمع ينفعك.
أومأ (شوقي) موافقاً في تخاذل وعاد ليستقل السيارة ويبتعد بها بضعة أمتار عن البنك..
ـ هما مين دول، وإزاي سايبه يعاملك كدا يا (شوقي)؟
قلتها محاولاً إدعاء البراءة، فنظر لي (شوقي) وهو يقف بالسيارة قبل أن يقول:
ـ مش شغلك يا (راضي).
ـ أنا صعبان عليا بصراحة، بقى الراجل اللي مخوف الحتة كلها يقف بيرعش كدا قدام حد.

لم يرد وإن كانت كلماتي قد بدأت تثير غضبه وخاصة أمام صاحبه الضخم، فعدت أقول:

ـ ولا صحيح عادي بقى، ما هو رجالته كتير وممكن يقطعونا لو رديت عليهم.

ـ ما تسكت يا (راضي).

ـ ماشي يا (شوقي) إنت هتتشطر عليا أنا يعني.

قال في غضب وقد أثارته كلماتي إلى أبعد حد:

ـ كل واحد وليه آخر يا (راضي) والراجل دا واصل وشغله كله مع رجالة كبار.. إحنا هنروح فين فيهم، إحنا غلابة بنلقط رزقنا جنبهم.

قلت في استنكار:

ـ بتلقط رزقك من مين بقى؟

ـ من أي حد.

ـ لا مش من أي حد إنت بتتشطر على الغلابة اللي زيك.

صمت لحظة وكأن كلماتي أصابت شيئاً في نفسه قبل أن يقول:

ـ أنا باخد حقي من الدنيا.

هززت رأسي نفياً وأنا أقول:

ـ إنت بتاخد حق غيرك يا (شوقي) بحجة إن حد تاني بياخد حقك.

أشاح بوجهه عني ينظر إلى الرجال المسلحين الذين وقفوا يراقبون مدخل البنك وهو يقول:

ـ هي الدنيا كدا.

ـ لا مش كدا، ربنا مخلقش الدنيا كدا.. إحنا اللي عملنا الشر دا فيها.

قال في سخرية:

ـ هتقولي خير وشر بقى.. خلي كلامك لنفسك يا عم الملاك.

ـ لا أنا ملاك ولا انت شيطان يا (شوقي).. كلنا بني آدمين.. بس فيه بني آدم بيسمع كلام الشيطان.

ـ بلاش فلسفة يا عم انت.

ـ أنا مش بتفلسف.. بس أنا عارف إن جواك بني آدم كويس.. فاكر زمان لما كنا صغيرين، كنت انت اللي بتحمينا لما حد من حارة تانية يحاول يضايقنا، كنت بطل بالنسبالنا كلنا.

قال في غضب:

ـ أنا بطل غصب عن أي حد.

ـ البطل مش بياخد من الناس، البطل بيحمي حقوق الناس.

ـ دا في الأفلام بس يا صاحبي.. البطل هو اللي يعرف يعيش ويفرض سيطرته.

قالها ونظر إلى صاحبه مهدداً وهو يسأل:

ـ أنا بطل ولا مش بطل ياد.

أجاب الرجل مؤكداً:

ـ بطل طبعا يا (شوقي).

ابتسم وهو يقول في انتصار:

ـ شفت.

ـ ماشي، لو دا هيريحك يبقى ملوش لزوم الكلام.

ـ آه طبعا براحتي.. واسكت بقى خالص مش عايز أسمع صوتك.

وقبل أن أفكر في الرد كان (سعيد) يخرج من البنك يخطو في توتر وتحت إبطه ظرفاً كبيراً منتفخاً.. ورأيت الجميع يتحفز في لحظة واحدة..

الرجال المصاحبين لأقرباء (سعيد) يقفون حول السيارة في تحفز وقد بدأ كل منهم في وضع يده على سلاحه.. والرجال المصاحبين للرجل ذو اللحية البيضاء، أشهروا أسلحتهم وخرجوا من السيارة في سرعة، وتلفت (سعيد) حوله يبحث عنا، ولا يدري أن هناك من يستعد للتصويب نحوه في الثانية التالية..

يوميات سعيد (٢٧):المشهد الرابع والخمسون

في ثانية واحدة كنت قد خرجت من بوابات البنك أسرع الخطى مبتعداً، غير مصدق أنني قد استطعت أن أفعل ذلك، ونظرت إلى المظروف الممتلئ في يدي متسائلاً كيف كان كل هؤلاء الناس بهذه الحماقة، وكيف أنهم صدقوا كوني ذلك الرجل الذي يعتقدون..

تلفت حولي أبحث عن الرفاق، لم أكن أدري ما الذي خطط له (رامي)، ولكن شعوراً رائعاً أحسست به وأنا أمسك بكل تلك النقود، ربما بداخلي مواهب أخرى أكبر من موهبة التمثيل عليّ التفكير في استغلالها..

وتساءلت هل حقاً يراودني التفكير في أن أفعل أمورا كهذه للحصول على المال؟

لا يعرف المرء حقيقته إلا عند التعرض للاختبار.. وأنا لا أعرف نتائجي في اختبارات الحياة السابقة منذ فقدت الذاكرة، وتم محو دفاتر علاماتي لأبدأ من جديد..

وعدت لأتلفت باحثاً عن (راضي) و (شوقي) قبل أن يفطن أحد من موظفي البنك للخدعة إذا قاموا بمحاولة مضاهاة التوقيع.. من حسن الحظ أن مدير البنك خدع في أمري وظن أنني ذلك الرجل المسمى (سعيد) وأفترض الموظف تلقائياً أن توقيعي ليس بحاجة إلى مضاهاة..

كان البنك في منطقة شبه خالية من الناس في إحدى المناطق الراقية، وعلى مسافة غير بعيدة كانت مجموعة من السيارات تقف متفرقة، ولمحت سيارة (شوقي) فأشرت لهم وبدأت في الاقتراب في سرعة وبداخلي مشاعر الانتصار..

وفي الثانية التالية كانت مجموعة كبيرة من الرجال ذوي البدل السوداء يخرجون من بعض السيارات الضخمة كل منهم يحمل

مسدساً في يده.. كان الأمر خاطفاً، إذ ظهر الجميع في ثانية واحدة وأشهرت الأسلحة في الثانية التالية..
لم يكن لدي من الوقت ورفاهية التفكير في من يتبع هؤلاء..ولكنني التفتت أحاول العدو مبتعداً وقد توترت أعصابي إلى أقصى حد، قبل أن تصل إلى مسامعي سرينة سيارات الشرطة تأتي مسرعة من بعيد، ثم يبدأ الجميع في إطلاق النار في نفس اللحظة..
كان الأمر مرعباً بشدة، فالموت لم يكن في حساباتي الآن.. وخاطرة مرت بعقلي وأنا مستمر في العدو.. ترى هل سأحاسب بما فعلت في حياة لا أذكرها أم بما أذكر؟
ألم حاد أخترق ساقي.. فعجزت عن التوازن وسقطت على الأرض.. حاولت أن أقف مجدداً فلم أستطع ونظرت إلى قدمي فوجدتها تنزف بغزارة..
والتفتت لأنظر خلفي، كان الأمر كارثياً بكل المقاييس..
إطلاق نار كثيف بين الجميع، لا أدري من يريد أن يقتل من، وعدد من المصابين والقتلى قد سقطوا مثلي على الأرض..
ما الذي يحدث، ليتني أفهم شيئاً قبل أن أموت..

يوميات راضي (٢٨):المشهد الخامس والخمسون

ابتسمت (سعدية) في بهجة وهي تنظر لي وعيناها تنطقان بالحب وقد جلسنا في ذلك المطعم الراقي المطل على النيل، بينما أقبل الساقي ليضع أمامنا قائمتي الطعام في تهذيب محيياً إيانا وينصرف في هدوء..

ـ مالك يا (سعدية).

ـ مبسوطة أوي يا (راضي).

ـ يعني مبسوطة إنك اتجوزتيني؟

ـ دا كلام؟ هو أنا عمري كنت مبسوطة زي الأيام اللي كنت فيها معاك يا (راضي).

عدت أبتسم وقد زادتني كلماتها ثقة في نفسي وأنا أقول:

ـ أنا كمان يا (سعدية) مكنتش افتكر إني هعيش السعادة دي في يوم من الأيام.

قالت متسائلة وعلى شفتيها ابتسامة ماكرة:

ـ علشان انت معايا ولا علشان ربنا كرمك وأحوالك أتحسنت.

ـ صدقيني يا (سعدية) أنا عمري ما فكرت في أي سعادة في الدنيا إلا وفكرت فيكي انتي كمان من يوم ما عرفتك.

ـ ربنا يخليك ليا.

ـ إنتي كمان يارب.

قلبت في قائمة الطعام في سرعة وأنا أقول:

ـ أطلبلك إيه؟

نظرت في قائمة الطعام لا تدري أولها من أخرها واحمر وجهها خجلا وهي تقول في صوت خفيض:

ـ دي مكتوبة بالانجليزي.. المطعم دا شكله غالي أوي.

ابتسمت مازحاً وأنا أقول:

ـ ما إحنا لازم ناكل في مطاعم غالية بقى، لازم نعيش اللي ما شفناهوش قبل كدا.
قالت في صدق:
ـ تصدقني يا (راضي) لو قلتلك إن أحلى أيامي وأنا معاك في أي مكان حتى لو بناكل على الرصيف؟
ـ مصدقك يا (سعدية).
ـ طيب أطلبلي حاجة بقى على مزاجك. أنا مش عارفة أي حاجة من الكلام دا.
ـ ماشي..
ـ قولي صحيح، بتشوف أستاذ (سعيد)؟
ضحكت وأنا أقول:
ـ لا يا (سعدية)، أنا صحيح بشتغل في مصنع من بتوعه بس مش بشوفه، لكن هو الحقيقة كل ما يعدي على المصنع لازم يسأل ويسلم عليا.
ـ راجل طيب أوي والله يا (راضي).. عرفوا مين اللي كان عايز يقتله؟
ـ آه من زمان.
قالت متسائلة في اهتمام:
ـ طلعوا قرايبه بجد؟
هززت رأسي نفياً وأنا أقول:
ـ لا واحد اسمه (عادل الشامي) على ما افتكر.
ـ ودا كان عايز يقتله ليه؟
ـ كان عليه ديون وفلس وأستاذ (سعيد) أخد شركاته، بس واضح إن الراجل دا بيكرهه أوي علشان يفكر يقتله، بغض النظر عن الديون والخسارة.
أومأت مؤيدة قبل أن تسأل من جديد:

ـ ودا كان من الناس اللي ضربت عليه نار عند البنك؟
ـ ما تفكرينيش باليوم دا يا (سعدية).. هو وصل فعلاً عن طريق (شوقي) بس الحمد لله إن الشرطة وصلت في الوقت المناسب.
قلتها وتلفت حولي أنظر إلى باب المطعم قبل أن أسأل:
ـ هو (محمود) راح فين؟
ـ تلاقيه بيلعب بره.
عدت أنظر من زجاج المطعم فوجدت (محمود) يقف في الجزء المكشوف في الخارج بجوار النيل، وابتسمت عندما رأيت ذلك الصبي الجميل ذو السبع سنوات ابن (سعدية) ينظر نحونا ويبتسم، فأشرت له أن يأتي فأقبل مسرعاً ليجلس بجوارنا، وابتسمت (سعدية) وهي تربت على رأسه قائلة:
ـ أقعد بقى شوية علشان الأكل.
أومأ الفتى برأسه مطيعاً، ثم نظر لي بعينين مذنبتين وهو يقول:
ـ عايز أقولك حاجة.
ـ قول يا (محمود).
ـ فاكر العشرين جنيه اللي أخدتهم منك إمبارح علشان أجيب الكراريس؟
ـ آه مالهم؟
ـ وقعوا مني في الشارع وأنا مروح من المدرسة مش عارف إزاي.
ابتسمت وأنا أقول:
ـ معلش يا (محمود) حصل خير.
ـ يعني إنت مش زعلان؟
وضعت يدي على كتف الفتى وأنا أقول:
ـ عارف يا (محمود) إن أنا مبسوط منك؟
نظر لي الفتى في ذهول وهو يقول:
ـ مبسوط إني ضيعت الفلوس؟

ـ لا.. مبسوط من حاجتين.
ـ إيه هما.
ـ الحاجة الأولانية إنك قلتلي.
ـ والتانية.
ـ الحاجة التانية إنك لما ضيعت الفلوس دي أكيد حد تاني كان محتاجهم وفرح لما لقاهم.. أكيد ربنا جعلك سبب لفرحة بني آدم تاني.
لمعت عينا الفتى ببريق أعرفه جيداً، ذلك النور الذي يشرق في القلب عندما نعلم أن الله سخرنا في الحياة لكي نسعد آخرين، فعدت أقول:
ـ يلا بقى خلينا نطلب الأكل.. عندنا مشوار مهم ومش هينفع نتأخر.
ابتسمت (سعدية) ونظرت لي في امتنان، وابتسمت أنا الأخر.. فلم أكن يوماً من أيام حياتي أكثر رضا ولا سعادة من تلك الأيام..

يوميات سعيد (٢٨):المشهد السادس والخمسون

ضربت باب الفيلا بقدمي في عنف ودخلت إلى صالة الاستقبال الواسعة لأجده بانتظاري، وما أن رآني حتى ارتعدت أوصاله وتراجع بضع خطوات إلى الوراء وعيناه تحدقان بي في رعب..

ـ كنت فاكر إني مش هعرف أوصلك؟

عجز عن التفكير وخرجت الكلمات من فمه ثقيلة مترددة وهو يقول في خوف:

ـ إنت عايز إيه؟

أخرجت مسدسي من جعبته ووجهته نحوه وأنا أتذكر كل الألم الذي سببه لي قبل أن أقول في صوت بارد كالثلج:

ـ تفتكر هكون عايز إيه؟

ازدادت نظراته فزعاً وهو يقول في رجاء:

ـ اعقل بلاش تهور.

ـ مبقاش عندي عقل خلاص.

ـ أنا هديلك كل الفلوس اللي انت عايزها.. كل حاجة تطلبها بس بلاش تموتني.

ـ حياتك قدام حاجة واحدة بس.

قال في لهفة وقد بدأت الدموع تنهال من عينيه:

ـ إيه هي؟

ـ قولي مين اللي دبرلي الحادثة وليه؟

ـ هقولك كل حاجة..

وقبل أن ينطق سمعت صوت رصاصة جعلتني التفت مسرعاً إلى مصدر الصوت شاهراً سلاحي في تحفز، وعدت لأنظر إليه فوجدته مرتمياً على الأرض غارقاً في دمائه بلا حراك وقد أصابته الرصاصة في رأسه، بينما لا يوجد أثر لأي شخص أخر سوانا في المكان..

أسرعت أقترب من النافذة الزجاجية الضخمة أنظر خارجها فوجدت رجلاً يعدو مبتعداً ليختفي في الظلام..

"هايل جداً... Cut "

قالها المخرج وقد أعلن انتهاء تصوير المشهد، ثم أقبل نحوي وهو يقول في حماس:

ـ ممتاز جداً جداً..الفيلم دا هيكسر الدنيا.

قلت متسائلاً:

ـ بس المشهد دا مضايقني شوية.

نظر لي المخرج في تعجب قبل أن يقول:

ـ مضايقك ليه؟

فكرت لحظة قبل أن أقول:

ـ أنا مش فاكر شفته فين قبل كدا، بس متهيألي مكرر أوي في الأفلام.

ضحك وهو يقول:

ـ ما تشغلش بالك وهو إيه في الحياة مش مكرر.

أومأت برأسي مؤيداً وأنا أقول:

ـ أيوه فاهمك بس فين الجديد في الموضوع؟

عاد يبتسم وهو يقول:

ـ الجديد إحساسك اللي هتوصله للمشاهدين بطريقتك، إنت إزاي كنت دافن نفسك في البيزنس والسياسة والكلام الفارغ دا.

ضحكت وأنا أقول:

ـ مش دايما الواحد بيعمل اللي هو عايزه، بس المهم انه يبقى ناجح في اللي بيعمله.

أشاح بيده في ضجر وهو يقول:

ـ برضه لسه بتقول كلام كبير من بتاعكم.

عدت أضحك قائلاً:

ـ ما بقاش بتاعي بقى خلاص، أنا نويت أتفرغ للفن شوية.
صفق بيديه في سعادة وهو يقول مشجعاً:
ـ أيوه كدا، برافو عليك.. ما تتأخرش بكره بقى عن ميعاد التصوير، خلينا نلحق قبل الغروب.
ـ ما تقلقش هكون موجود في الميعاد.
حييته وانصرفت نحو زوجتي (ساندي) التي كانت تقف مبتسمة في انتظاري لأضع يدي حول كتفها وننصرف من الأستوديو..
وفي ذلك المطعم البسيط في القاهرة القديمة جلسنا وابتسمت في حماس وأنا أقول:
ـ إيه رأيك في الأكل؟
قضمت (ساندي) قطعة من شطيرة السجق التي أمامها في توجس ثم لوكتها قليلاً في فمها قبل إن تسترخي ملامح وجهها وتبدو السعادة عليها وهي تقول:
ـ حلوة أوي.
أخذت قطعة من الشطيرة التي أمامي ووضعتها في فمي أكلها في استمتاع وأنا أقول:
ـ علشان تصدقيني لما قلتلك.
نظرت لي في إعجاب وهي تقول:
ـ أنت اتغيرت أوي يا (سعيد).
ضحكت قائلاً:
ـ للأسوأ ولا للأحسن؟
ـ مش كدا ولا كدا بس انت اتغيرت.
ـ طيب عاجبك؟
ـ آه طبعا عاجبني في كل حالاتك.
عدت لأبتسم وأنا أمد يدي لألتهم قطعة من "المخلل"..
ـ ممكن تاكلي؟ أنا هخلص الأكل لوحدي كدا.

عادت (ساندي) لتقضم قطعة صغيرة تناسب طريقتها في الأكل، بينما عدت أقول:
ـ بس أنا لسه مش فاكر أي حاجة عن نفسي قبل كدا.
هزت رأسها مؤيدة وهي تقول محاولة مواساتي:
ـ الدكتور قال إنك كويس وإن فقدان الذاكرة هيتعالج بالوقت.
ابتسمت متسائلاً:
ـ تفتكري لو رجعتلي الذاكرة دي حاجة كويسة ولا وحشة؟
صمتت لحظه تفكر ربما في إجابة دبلوماسية، فضحكت لأعفيها من الإجابة وأنا أقول:
ـ أنا مبسوط زي ما أنا دلوقتي، مش محتاج أفتكر حاجة من اللي فات خلاص.
ـ شكلك نويت تفضل ممثل ولا إيه؟
ـ آه طبعا.
ـ زي ما تحب، هتبقى ممثل أو رجل أعمال أو حتى شيال، أياً كان اللي انت هتختاره أنا معاك.
ـ تفتكري هتقدري تستحملي لو اشتغلت شيال؟
قالت مازحة بطريقتها الطفولية:
ـ جرب إنت بس.
ضحكت من جديد، قبل أن أقول في حيرة:
ـ المشكلة كلها إني لسه بفكر هعمل إيه في الشغل والشركات، بس بفكر إن (أمجد) ابن عمي يمسك إدارة الشركات كلها، هو أكيد هيبقى أحسن مني في الموضوع دا.. إيه رأيك؟
ابتسمت في حب وهي تقول:
ـ أياً كان قرارك أنا بشجعك عليه يا (سعيد).
ـ على فكرة ولاد عمي دول طيبين أوي.
أومأت برأسها مؤيدة:

ـ آه طبعا أنا عارفة أنهم بيحبوك جداً.. حتى لما (راضي) قالي انه شاكك فيهم أنا مقدرتش أصدق، بس بلغت البوليس برضه، مكانش ينفع أغامر بحياتك أياً كان.
ـ ما تقلقيش هما مش زعلانين منك، بالعكس هما كل ما يشوفوكي يعتذروا عن معاملتهم ليكي خلال الفترة اللي كنت مختفي فيها.
ـ بس تخيل أنا محاولتش اسأل لغاية دلوقتي هما ليه عملوا كدا.
ـ الشرطة هي اللي طلبت منهم يعملوا كدا علشان يلخبطوا المختطف و يحموني من محاولة الاغتيال لغاية ما يوصلوا لمكاني.
ـ آه فهمت.
أشرت إلى الأطباق وأنا أقول:
ـ طيب كلي بقى.
ـ لا أنا شبعت أوي.
ـ طيب زي ما تحبي، بس أنا لازم ألحق مشوار مهم.. تحبي تيجي معايا؟
ـ آه لو معندكش مانع.
ـ لا تعالي
قلتها وأشرت للرجل أن يأتي بالحساب فأقبل في سرعة ونظر إلى الأطباق الممتلئة ثم قال:
ـ معجبكش الأكل يا بيه ولا إيه؟
ـ لا الأكل زي الفل.
ـ طيب تحب ألف السندوتشات "دريفلي"؟
قطبت (ساندي) حاجبيها للحظات لا تستطيع الفهم، فابتسمت قائلاً:
ـ آه ياريت.
رفع الرجل الأطباق ثم ذهب في خطوات سريعة، فعادت (ساندي) تنظر لي متعجبة:
ـ هو بيقول هيعمل إيه؟

ـ هيجهزلنا الأكل "تيك أواي".
ـ أمال إيه اللي هو بيقول عليه دا؟
ـ لا ما تاخديش في بالك.
ـ طيب هتاخدني معاك فين؟
ـ ما تستعجليش، هتعرفي.
ـ بحبك يا (سعيد).
ـ أنا كمان يا زوجتي العزيزة.

يوميات راضي (٢٩):المشهد السابع والخمسون

انطلقت أهرول في سرعة ممسكاً بيد (سعدية) يتبعنا (محمود) الذي يحاول محاكاة خطواتنا ليلحق بنا، ودقات قلبي تتسارع في عنف، ويغمر العرق جبيني وبرودة غريبة تسري في أطرافي بسبب التوتر..

وفي طرقات ذلك المستشفى الشهير وقفت لحظات أستجمع أنفاسي اللاهثة وأقوم بخلع الجاكيت الذي يقيد حركتي وأرخي ربطة العنق التي أرتديها مخففاً الضغط على أوردة رقبتي، قبل أن نعود للهرولة في سرعة من جديد..

وعلى باب غرفة العمليات وقفنا لحظات..

كانت (أم حنفي) جالسة تبكي بجوار (ساندي) التي طوقتها بيدها تحاول أن تشد من أزرها وتعطيها بعض الأمل .. بينما (سعيد) على بعد عدة أمتار يتحرك جيئة وذهاباً في قلق..

أسرعت (سعدية) لتقترب من (أم حنفي) وتقبل وجنتيها الشاحبتين المبللتين بالدموع، ثم تصافح (ساندي) التي ابتسمت في سعادة وهي تخبرها أنها كانت تنتظر رؤيتها منذ وقت طويل..

كانت (أم حنفي) تبكي وترتجف في خوف وأقبلت أمسك بيدها وأقبل كفيها في حنان مشجعاً وأنا أدعو لحفيدها أن تنهي تلك العملية الجراحية مرضه للأبد..

والتفتت إلى (سعيد) الواقف وحيداً واقتربت منه فابتسم عندما رآني وأقبل مصافحاً في سعادة وهو يقول:

ـ إزيك يا (راضي).

ـ حضرتك عامل إيه يا أستاذ (سعيد).

كان يحاول أن يتماسك بالرغم من رجفة بسيطة لاحظتها على وجهه من الخوف، فعاد يحاول الابتسام وهو يقول:

ـ أنا كويس.
قلت مطمئناً وكأنني أبث روح الأمل في نفسي وإياه:
ـ ما تقلقش (حمادة) هيقوم بالسلامة إن شاء الله.
غالب (سعيد) دموعه وهو يقول مبتهلاً:
ـ يارب.. إن شاء الله.
قلت في شفقة وأنا أنظر إلى (أم حنفي):
ـ ربنا مش هيسيب الست دي لوحدها في الدنيا ما تقلقش.
ـ أكيد.
قالها ثم تلفت حوله يبحث عن مقعد، بعد أن أجهده التوتر والوقوف الطويل فلم يجد، فوضعت الجاكيت الذي بيدي على الأرض وجلست فوقه وأشرت له بالجلوس، فجلس إلى جواري مسنداً ظهره إلى الحائط ثم أرجع رأسه إلى الوراء وأغمض عينيه يستجمع شتات نفسه، فقلت محاولاً الابتسام:
ـ مفكرتش تزورنا في الحارة من زمان.
تنهد وابتسم وكأنه تذكر شيئاً محبباً قبل أن يقول:
ـ وحشتني الحارة على فكرة.
ثم التفت لي وهو يسأل:
ـ هو مش إنت عزلت؟
ضحكت في هدوء وأنا أقول:
ـ عزلت بس لازم أروح الحارة كل يوم جمعة الصبح أفطر عند عم (زناتي) و(سعدية) تزور قرايبها، كمان علشان (محمود) يلعب مع ولاد خاله.
ضحك (سعيد) بدوره وهو يقول:
ـ فكرتني بالفول بتاع عمل (زناتي)، الراجل دا لازم أفكر أعمل معاه مشروع كبير.
ـ مش كل حاجة تنفع مشروع كبير يا أستاذ (سعيد)، فول عم

(زناتي) حلو طول ما هو في الحارة وعلى العربية، دي بركة المكان والناس الطيبة.
ابتسم (سعيد) في صمت وعاد يسند رأسه إلى الحائط من جديد وهو يفكر، ثم نظر نحو (أم حنفي) وهو يقول في قلق:
ـ هما طولوا في العملية كدا ليه؟
هززت رأسي في حيرة وأنا أقول:
ـ مش عارف، بس إن شاء الله خير.
مرت فترة من الصمت كان (سعيد) يتمتم ببعض الآيات، ونظرت إلى (أم حنفي) فوجدتها تضحك مع (سعدية) و(ساندي) وقد بدا أنهما استطاعتا تسليتها لبعض الوقت..
ـ كنت عايز أسألك على حاجة.
قالها (سعيد) وقد عاد ينظر نحوي في اهتمام، فأجبت على الفور:
ـ إتفضل.
ـ إنت سعيد دلوقتي؟
ضحكت وأنا أقول مازحاً:
ـ لا طبعا أنا (راضي).
ضحك لدعابتي السخيفة، قبل أن يسأل:
ـ لا أنا بتكلم جد، قولي إنت حاسس إنك سعيد؟
ابتسمت قائلاً:
ـ مش هضحك عليك، أنا في أسعد حالاتي الأيام دي أكيد.
ـ علشان بقى معاك فلوس؟
هززت رأسي نفياً وأنا أقول في صدق:
ـ الموضوع مش فلوس.
ـ امال إيه؟
أشرت إلى (سعدية) التي جلست ممسكة بكف (أم حنفي) في حنو وأنا أقول:

ـ أنا سعيد علشان خرجت الست دي من الحزن اللي شافته في حياتها، وعلشان ابنها (محمود) اللي عمره ما شاف أبوه ودلوقتي بقاله أب.
ثم ابتسمت وأنا أقول:
ـ وقريب هيبقاله أخ كمان.
ابتسم (سعيد) وهو يربت على كتفي في فرح:
ـ مبروك يا (راضي).
ـ عقبالكم إن شاء الله.
قلتها وأنا أنظر إلى (ساندي) قبل أن التفت إلى (سعيد) مرة أخرى وأنا أقول:
ـ طيبه أوي مراتك على فكرة.
ـ آه فعلاً.
ـ صحيح، إنت ابتدت الذاكرة ترجعلك؟
ابتسم ابتسامة ذات مغزى وهو يقول:
ـ مش بالظبط .
تساءلت مقلداً طريقته في الإلقاء:
ـ مش بالظبط إزاي يعني؟
ظل محتفظاً بابتسامته المحيرة ولم يجب، فابتسمت وأنا أقول:
ـ الحمد لله خليك مش فاكر.. دا إنت كنت فظيع يا راجل.
قلتها مازحاً فنظر لي في ذهول ثم انفجرنا نضحك حتى دمعت أعيننا، قبل أن أتمالك نفسي من جديد وأنا أقول:
ـ سواء افتكرت اللي فات أو ما أفتكرتش إنت جواك حد كويس أوي، وكفاية اللي أنا شايفه قدامي دلوقتي.
ابتسم في بساطة وهو يقول:
ـ أنت كمان إنسان كويس أوي يا (راضي).
قالها ثم تذكر شيئاً فعاد يسأل في اهتمام :

ـ أنا وصلني إنك مرضتش تقبل الترقية، صحيح الكلام دا؟
ابتسمت في هدوء وأنا أقول:
ـ يا أستاذ (سعيد) أنا ما أستحقش الترقية دي، حقيقي أنا بشتغل وبحاول أعوض السنين اللي راحت مني، بس أستاذ (عبد المحسن) المدير بتاعي كان عايز يرقيني علشان شافك أكتر من مرة وإنت بتسأل عليا، أنا اشتغلت عندك في الشركة لأني مكنتش لاقي اللي يديني حقي، بس أنا مش عايز أخد حق حد يستاهل الترقية دي أكتر مني.
ابتسم (سعيد) في صمت، ورأيت في عينيه تلك النظرة الطيبة التي أعتدت أن أراها في عيني (منصور)، فقلت محاولاً تغيير الموضوع:
ـ أنا شفت إعلان الفيلم الجديد بتاعك.
ـ صحيح؟
ـ آه.. حلو جداً.
ابتسم وقد طرأت على ذهنه فكرة أعجبته فقال:
ـ بقلك إيه ما تيجي نعمل الحكاية بتاعتنا دي فيلم أو مسلسل.
ـ إيه دا بجد ينفع؟
ـ آه بجد.. دا هيبقى حلو أوي.
ـ خلاص خلينا نفكر في الموضوع.
ـ طيب ما تفكر معايا في اسم.
ـ إيه رأيك في يوميات سعيد وراضي ؟
ـ تقليدي شوية، بس ماشي .. هتمثل معايا ؟
ضحكت وأنا أقول:
ـ لا طبعا أنا مش بعرف أمثل.
ـ إزاي ! مش إحنا كنا كومبارس مع بعض في التليفزيون!
قالها فضحكنا سوياً في براءة ثم عدنا للصمت من جديد ننظر حيناً إلى باب غرفة العمليات ننتظر في رجاء أن يفتح ليخرج لنا الفتى

سالماً، ونتشاغل بالنظر حولنا إلى لا شيء حيناً آخر.. وتأملت وجوه الجميع..
كانت شفاه الكل تبتهل بالدعاء في صمت، وأعينهم تفيض بالرجاء..
ينتظرون بوابة أمل جديدة وراء أبواب تلك الغرفة المغلقة..
ويؤمنون في قلوبهم جميعاً أن الخير سيأتي لا محالة وأن فرجاً قريباً قد أوشك على الظهور..
وأن شمس الغد لن تشرق إلا وقد عادت (أم حنفي) تحمل ابتسامتها الراضية وقد جلست على قارعة الطريق من جديد لتعلن عن بضاعتها بصوتها المميز الرنان..
وأن طفلا سيبرأ من آلامه ليبدأ رحلته في الحياة،لا ندري أي طريق سيختار لنفسه، ولكنني أعرف يقيناً أن من سُقى بالحنان لن يعرف أبداً إلا الحب..

تمت بحمد الله